**خُلاصةُ شُبهات المُستشرقينَ و أبرزُ الرُّدودِ المُفحِمَةِ عليها**

**الدكتور راجح إبراهيم السباتين**

**\*\*\*\***

 تفرَّغت مجموعةٌ من الرهبان الكاثوليك في العصور الوسطى للعملِ على التأسيس للاستشراق الدّيني ومِن ثمَّ للدراسات الاستشراقية، وعكفوا على دراسة الإسلام بهدفِ تفنيده والردِّ عليه والدِّفاع عن عقائدهم في مواجهتها له.

ومن الجدير ذكره هنا أنّ قائمة هؤلاء الرهبان المستشرقين طويلةٌ تكاد لا تنتهي، وإنّما وقع اختيارُنا للردّ على بعضهم على وجه الخصوص لِشَدَّةِ خطورتهم على الإسلام، ولاشتهار مؤلَّفاتهم الجدليّة التي وضعوها، وذلك ضمنَ حلقات الحرب الفكريّة والعقديّة التي أعلنوها على الإسلام منذ زمنٍ بعيدٍ. ومن المفيد هنا حصرُ وتلخيصُ أبرز النقاط المشتركة والشُّبهات التي خَرَجَ بها هؤلاءِ ، لأنَّها في مجموعها وتراكُمها ساهَمَتْ في ترسيخ صورةٍ سلبيّةٍ مُرعبةٍ عن الإسلام، وقد استمّرت هذه الصّورةُ حتّى يومنا هذا ولكن مع تعديلٍ طفيفٍ وتغيُّراتٍ شكليّةٍ لم تمس جوهرَها.

**ولعلَّ أبرز ما استقرّ لديهم عن الإسلام ونبوّةِ محمدٍ ما يلي:**

أولاً: الإسلام هرطقةٌ مسيحيّةٌ شديدة الخطورة يجب التصدّي لها ومواجهتها بكُلِّ ما هو ممكنٌ ومتاح.

ثانياً: المسلمون هَرَاطِقَةٌ تجب محاربتهم، أو على الأقلّ إعادتهم إلى المسيحيّة الصحيحة.

ثالثاً: تاريخُ المسلمين مُضحِكٌ، وهو مليءٌ بالأكاذيب والقصص المعيبة.

رابعاً: يعبدُ المسلمون إلهاً غيرَ حقيقيٍّ، وهو الإله الذي دعاهم محمدٌ إلى عبادته.

خامساً: المسلمون جبريّون، يقولون بعدم حريّة الإرادة البشريّة.

سادساً: محمدٌ شريرٌ ، وقد قام بتعليم أتباعه إنكارَ الدّين المسيحي.

سابعاً: مارس محمدٌ السّلبَ والنّهبَ، وكان دائم الاعتداء على جيرانه من القبائل العربيّة واليهوديّة تحت مُسمّى الغزو والجهاد.

ثامناً: اتّسع مُلكُ محمدٍ وتوسّعت رقعة إمبراطوريّته وانتشر دينُه عن طريق السّيف وقوّة السّلاح والإكراه والإجبار.

تاسعاً: أَخَذَ محمدٌ تعليمات الإسلام عن طريق بعض الرهبان المهرطقين، مثل بحيرا النُّسطوري وورقة بن نوفل.

عاشراً: ادّعى محمدٌ النبوَّةَ وسط مجموعاتٍ من البدو الذين لم يفهموا شروط النبوّة ولم يعرفوا علاماتها، فلمّا عرفوا كذبَهُ طردوه من مكّة.

حادي عشر: عرف محمدٌ اسم (جبريل) من الكتاب المقدّس.

ثاني عشر: قدّم محمدٌ الجنّة في القرآن الذي جاء به لأتباعه في صورةٍ حسّيّةٍ مليئةٍ بالشهوات.

ثالث عشر: اتخّذ محمدٌ لنفسه العديد من الزوجات الصغيرات السنّ والكبيرات، وكان مُفِرطاً في الزِّنى.

رابع عشر: مارس محمدٌ عمليات القتل الجماعيّ وخطّط للعديد من الاغتيالات لأبرز أعدائه وخصُومه.

خامس عشر: ضيَّق محمدٌ على القبائل اليهوديّة وسلبَ أموالها وقسّمها بين أصحابه بعد أن أخذ الخُمسَ منها.

سادس عشر: تميَّز محمدٌ بشهوانيةٍ مفرطةٍ منافيةٍ للأخلاق، ورغبةٍ شديدةٍ في النّساء حتّى أنّه لم يتردد في أمرِ خادمه زيد بن حارثة بأن يُطلّق زوجته الجميلة ليقوم هو بالزواج منها بعد ذلك.

سابع عشر: كانت صنعةُ محمدٍ التي أبدع فيها تدبير الحروب وتوجيه الطّلائع لشنّ الغارات.

ثامن عشر: سَرقَ محمدٌ قصص الأنبياء من التوراة والإنجيل بعد اطّلاعه عليهما، فحكاها لأصحابه وأتباعه زاعماً أنّ وحيّاً من السّماء نزل بها عليه.

تاسع عشر: حرصاً منه على إيجاد أتباعٍ يتّسمون بضيقِ الأفق ولا يسعون لاكتشاف زيف شريعته، منع محمدٌ أتباعه من قراءة التوراة والإنجيل.

عشرون: لو كان محمدٌ رسولاً لما مات بسبب الأكل من شاةٍ مسمومةٍ.

الحادي والعشرون: لم يأتِ محمدٌ بالمعجزات، وكلُّ ما جاء به إنما هو كتابٌ مليءٌ بالمتناقضات المنافية للعقل سمّاه القرآن.

الثاني والعشرون: كلُّ ما وافق الكتابَ المقدّسَ من كتاب محمدٍ (القرآن) إنما هو صحيحٌ، سرقه محمدٌ ونحلَهُ من الكتاب المقدّس، وكلُّ ما خالف الكتاب المقدّس والعقائد المسيحيّة من آيات كتاب محمّدٍ فهو مكذوبٌ وباطلٌ من افتراءات محمدٍ واختلاقه.

الثالث والعشرون: محمدٌ رجلٌ فاقت سيئاته كلَّ حدٍّ معقول، عاش حياةً غير حميدةٍ وكان غارقاً في حمأة الدنيا وشهواتها.

الرابع والعشرون: كان محمدٌ واسع الحيلة، وكان يمارس السّحر، وعن طريق ذلك ثبّت دينه وأغرى الناس باتِّباعه.

الخامس والعشرون: يُنكرُ المسلمون ألوهيّة المسيح ويُنكرون واقعة صلبه ويرون أنّه رسولٌ فقط.

السادس والعشرون: محمد مهرطقٌ مسيحيٌّ تزوّج أرملةً ثريّةً استغلَّ أموالها، وكان مصاباً بنوباتٍ متتاليّةٍ من الصَّرع.

نعم، هذه – و للأسفِ - هي خلاصةُ ما ترسَّخَ في عقول هؤلاء عن الإسلام وعن الرسول الكريم . وهذا لم يكن ناتجاً عن قلّة المصادر المُنصفة المُعَرِّفة بالإسلام بين أيديهم،لا ولكنّه كان ناتجاً وبالدرجة الأولى عن كراهيتهم لهذا الدِّين وأهله ورفضهم له، بغضِّ النظر عن كلِّ الذي فيه من سعادةٍ للبشريّة وخيرٍ للخلق أجميعن. (قد بَدَتْ البغضاءُ من أفواهِهِم وما تخفي صدورهُم أكبرُ)([[1]](#footnote-1)). ولئن كانت الكراهية الناجمة عن الجهل بالشيء مؤلمةً فإنّ الكراهية الناجمة عن العلم بالشيء لهي أشدُّ إيلاماً وأَمَرُّ وأدهى. يقول الأب الكاثوليكي "روبير كاسبلر": "إنّ الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً، ولم يحاول ذلك مُطَلقاً. وحتى خِيرة المسيحيين القلائل الذين كانوا يعيشون على مقربةٍ من الإسلام ... لم يتمكّنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته، وهي: التصعيد إلى الله الواحد الأحد. ولعلَّ ذلك يرجع أساساً إلى أنّ الغرب المسيحي اكتفى قروناً طويلةً بتلطيخ الإسلام ونبيِّهِ بأَسْخَفِ الأقوال، مِن دون أن يُكلِّفَ نفسه عناء دراسة هذه العقيدة"([[2]](#footnote-2)).

وممّا يُلاحظُ في هذا الشَّأنِ ، أنّ معظم الذين عَمِلوا في الاستشراق الدّيني مِن الرُّهبان قديماً وحديثاً قد عملوا على ترجمة القرآن الكريم - أو بالأصحّ قاموا بمحاولات خبيثةٍ فاشلةٍ لترجمة القرآن الكريم - وأنّهم قد استندوا في مؤلَّفاتهم ضدّ الإسلام على الترجمات المغلوطة لأسلافهم مثل: بطرس المبجل وروبرت ألكيتوني وهيرمان دلماتا ويوحنا السيغوفي ونيكولاس الكويسي لكتاب الله العزيز، وهيَ ترجماتٌ مليئةٌ بالتشويه و الأكاذيب والانحراف عن جادّة الحقّ والصواب. والغريب في الأمر أنّ المُستشرقين المُتأخِّرين في القرنين الماضيين إنما تأثروا بهذه الترجمات المغلوطة المشوّهة السّابقة، واتخذوها قواعدَ ينطلقون منها في فهمهم للإسلام والتعريف به. **ومسألةُ تشويه هؤلاء لتفسير القرآن الكريم وترجماته مسألةٌ ينبغي التوقّفُ عندها مطوّلاً؛ ذلك أنّها لم تكن مسألةً عشوائيةً أو محضَ صُدفَةٍ، لا، وإنما كانت تلك مسالةً ناتجةً عن دراساتٍ مُعَمَّقةٍ وتخطيطٍ مسبقٍ يستهدف ضرب القرآن الكريم بوصفه أبرز مصادر التشريع الإسلامي، ولقد قامت هذه المسألة على منهجيةٍ محسوبةٍ، وتمّ تنفيذها وفق آلياتٍ نسْتطيعُ أن نلتمسَ أبرز معالمهما فيما يلي([[3]](#footnote-3)):**

* إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.
* التحكُّمُ فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص.
* تحريف النصِّ تحريفاً مقصوداً.
* حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يُثبتَ أنَّ القرآن كلام الله.
* تصيُّدُ النّصوص الملائمة والموافقة لهواهم.
* الخلط بين شيءٍ قليلٍ مما هو مبثوث في المصادر وبين ما كانت تمليه تخيُّلاتُ وتكهّناتُ المستشرقين.
* اندفاعهم نحو الترجمة الكيفيّة لا الصحيحة والعلمية، أو حتى النسبية إلى حدٍّ ما، إمعاناً منهم في التحريف والتضليل.
* اهتمامهم بنشر الترجمات التي تنطوي على الأضاليل والأخطاء الفنيّة والشّطحات بدافع الحقد والتعصب.

وعلاوةً على ما سبق فقد اتَّسموا جميعاً، ولكن بتفاوتٍ، في الجهل بأسرار اللغة العربية، والفهم المقتصر على جانبٍ واحدٍ من المعنى، والخلط بين معاني الكلمات العربية المختلفة، والجهل بالتورية القرآنية، والانحراف بالنّص عن قصده الحقيقي، والجهل بالمعاني الدقيقة للكلمات العربية. "كما أنهم كانوا يُمَهِّدوُنَ لعملهم هذا بكتابة دراساتٍ ومقّدماتٍ لا تًحصى عن القرآن [توضَعُ في بداية الترجمة]، وهي غالباً ما تتضمن التشهير بالإسلام والنبيّ ، لكي يترسَّخَ في ذهن القارئ الغربي بالدرجة الأولى زيف الإسلام وكراهيته"([[4]](#footnote-4)).

**الردودُ الشافيةُ الكافيةُ على ما تَقَدَّمَ مِن شُبهاتٍ ومَطَاعنَ ونقضُها تَفصِيلاً**

تكمن خطورة هذه الشّبهات كذلك في إصابة سهامها لقلوب بعض العوام من المسلمين حيث أصابتهم بالتشكُّكِ في دينهم والحيرة والقلق، فتركَتْهم يتساءلون عن هذا النّبأ العظيم، وهم لا يدرون كيف يردّون عنه سهام الباطل والكيد والأذى ...

وقد استدعى هذا الأمرُ، قديماً وحديثاً، نهوض علماء الأمّة ودعاتها والأساتذة وطلبة العلم فيها ليقوموا بالدّور المطلوب منهم في هذا الصّدد، فلم يقصِّروا ولم يُبطّئوا ـ جزاهم اللهُ خيراً ـ وهم يدركون تماماً أنَّ نهوضهم هذا إنّما هو جزءٌ من حقِّ الله تعالى عليهم. "ومن بعض حقوق الله على عبده ردُّ الطاعنين على كتابه ورسولهِ ودينهِ، ومجاهدتُهم بالحجّة والبيان، والسيّف والسّنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبّةُ خردلٍ من إيمان"([[5]](#footnote-5)).

نحنُ على يقينٍ تامٍّ بأنّ هذا الدِّينَ متينٌ، واضحٌ لا تشوبُه شائبةٌ، ولن تُنقِصَ من علوِّ قدره ومنزلته الشتائم والمطاعن التي يُثيرها رجالات الكنيسة الغربيّة، فقد سبقهم إلى مثل ذلك كُفّارُ قريشٍ الأوائل ... ولكن يجب أن يَعلمَ هؤلاء الكارهون الطاعنون وكلُّ مَن دار في فلكهم أنّ لهذا الدِّين فرساناً جاهزين على مدار السّاعة، لكُلِّ أنواع المواجهات وعلى رأسها وفي مقدّمتها الفكريّة العقديّةُ. لأنّ السّكوت في عالم اليوم لن يؤّدي إلاّ إلى مزيدٍ من ارتياب المُبْطلين وتماديهم في غيِّهم، ولن يُفهَمَ إلاّ على أنّه عجزٌ عن الردّ وبالتالي صحّة المطاعن والشّبهات والشُّكوك.

هذا بغيٌ أصابنا في ديننا ورسولنا الكريم وبالتالي وجبَ الانتصار لهما والذّودُ عنهما مصداقاً لقوله تعالى: " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ"([[6]](#footnote-6)). مع التذكير بأننا في حديثنا هذا لا نقومُ لحمل السيوف أو لإطلاق الرصاص أو لإخضاع المخالِفِ لنا بالقوّة والقهر، لا وإنّما ننهضُ وبين أيدينا مصدرٌ يُعلّمنا كيفيّة النهوض وآدابه ومقتضياته، ننهضُ كما نهضَ محمدٌ ، لا شتّاماً ولا سبّاباً ولا طعّاناً، ننهض لنُخاطب العقول والقلوب وننفضَ الغبار عن فطرة الناس السليمة التي فطرهم اللهُ عليها مواجهين الحجّةَ بالحجّةِ ودافعين بالحسنة السّيئةَ، لِتستبينَ السبيلُ لكُلِّ مَن عُمِّيَ عليه وفُرضت عليه نظّارةٌ سوداء لا يلبسها إلّا حين ينظر إلى الإسلام والمسلمين ونبوّة الحبيب المصطفى .

وتجدر الإشارة قبل الشروع في إيراد الردود على الشبهات أنّ مُطلقي هذه الإشاعات والشّبهات قد أخذوا جذورها وأصولها من كتب التراث الإسلامي (مثل بعض كُتُبِ التفسير وشرح الحديث والتاريخ الإسلاميّ) ثُمَّ صاغوا لها القوالب والأشكال التي تلائم هواهم وأهدافهم، وبالتالي فهم مُطالَبونَ بالقبول بالتّوضيحات والتفسيرات التي جاءت في نفسِ الكتب التي يزعمون أنّهم استقوا معلوماتهم منها. ونذكِّرُ بادئ ذي بدءٍ، بأنّ كثيراً من المواضيع التي تناولَتْهَا الشبهاتُ قد سَبَقَ لأئمّةِ الكُفرِ وصناديده الأوائل من قريشٍ أن أثاروها وتعلّقوا بها، فقذفوه، ، بالسِّحر والجنون والتتلمُذِ على يد الأعاجم، وما إلى ذلك من الاتهامات. وقد كان واقعُ حال النبي ، آنذاك يُكَذّبهم، ويدفعُ اتهاماتهم وشبهاتهم حتى إنّها لتبدو في صور الأباطيل المتهالكة التي لا يُلقى إليها بالٌ ولا تنال الكثيرَ من الاهتمام والرّواج.

**الشّبهة الأولى ودفعها:**

**كان محمدٌ مُصَاباً بالصَّرع، وكان يُعَلِّلُ حالات الصَّرع التي تُصيبه بأنّها وحيٌ ينزلُ عليه من السماء بواسطة مَلَكٍ اسمه جبريل. وقد حدث ذات مرّةٍ أن غابت عنه حالات الصّرع الذي يُسميّه وحياً لفترةٍ غير قصيرةٍ فشرعَ محمدٌ في الانتحار.**

- هذه الشبهة مركّبةٌ من جزأين، أولهما أنّ رسول الله كان يُصاب بالصرع وثانيهما أنّه، حاشاه، عليه قد شرع في الانتحار.

**- أما عن أكذوبة إصابة النبي بنوباتٍ من الصّرع فيكذبها ما يلي:**

"إنَّ المريض بالصرع يُصاب بآلامٍ حادّةٍ في أعضاء جسمه كافّة، يحسُّ بها عندما تنتهي نوبة الصرع، ويظل حزيناً كاسف البال، وكثيراً ما يحاول مرضى الصرع الانتحارَ من قسوة ما يعانون من الآلام. فلو كان ما يعتري النبيَّ عند الوحي صرعاً، لَحَزِنَ لوقوعه ولَسَعِدَ بانقطاعه، ولكنَّ الأمر بخلاف ذلك. ثمّ إنّ الثابتَ علمياً أنَّ المصروع أثناء الصرع يتعطَّلُ تفكيرُه وإدراكه تعطُّلاً تاماً فلا يدري المريضُ في نوبته شيئاً عمّا يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه. والنبيُّ بخلاف هذا كلِّه كان يتلو على الناس، بعد انتهاء لحظات نزول الوحي، آياتٍ بَيِّنَاتٍ وعظاتٍ بليغاتٍ، وتشريعاً مُحكَماً، وأخلاقاً عاليةً، وكلاماً بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، فهل يُعقلُ أن يأتيَ المصروعُ بشيءٍ من هذا؟؟"([[7]](#footnote-7)).

ثمَّ إنْ كان محمدٌ مصاباً بالصرّع فلماذا سكتت عن ذلك نساؤه رضوان الله عليهنّ؟؟ ثم لِمَ اتّبَعهُ أحكمُ رجال قريشٍ وأعقلهم كالفاروق والصدّيق وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم؟؟ وقبل هذا كلّه وذاك فلماذا يسكت صناديدُ قريش من أعدائه عن ذلك، وهم الذين يتربّصون به ريب المنون آناء الليل وأطراف النهار؟؟ لماذا يسكتون وهم كانوا بانتظار ولو هفوةٍ أو زلَّةٍ ليجعلوا منها مأخذاً عليه وعلى نبوّته؟؟ لعمري لو كان هذا صحيحاً لسَرَتِ الفضيحةُ في السرّ والعلن، ولسار بخبرها الرّكبانُ ولعِلمَ بها القاصي والداني. ولكنّها شمس الحق عندما تشرق فتغطيّ على كل نورٍ سواها، شمس الحقّ التي تشرقُ كلّ يومٍ على ما يزيد عن المليار والنصف من سكّان هذه الأرض الذين يؤمنون بدعوة هذا الحبيب المصطفى .

**- أمّا عن أكذوبة شروعه في الانتحار**، فقد بنى الكاذبون شبهتهم وفريتهم هذه على ما ورد في بعض كتب السِّيَرِ والتفسير من أنّ النبي قد حزن حزناً شديداً لمّا فتر الوحي وأصابه ضيقٌ وألمٌ لذلك. فزعم المفترون أنّه عليه السلام قد فكّر بالانتحار وقتلِ نفسه بسبب ذلك وأخذ يتنقّلُ في رؤوس الجبال ليُلقي نفسه من أعلاها، فنزل القرآن مُعاتباً له يقول "فلعلّك باخعٌ نفسك". وفسروا ذلك بقولهم: أي فلعلّك تقتلُ نفسك غمّاً!!! وكلام هؤلاء باطلٌ مردودٌ ليس له ما يدعمه من حديثٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ولا حتّى ضعيف. وليس هناك تفسيرٌ عند أيٍّ من علمائنا الأفاضل يؤيّده، فقوله تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً"([[8]](#footnote-8)) يُجَسِّدُ وبكلِّ وضوحٍ حرص النبي على هداية قومه ويُظهرُ تألُّمَهُ بسبب تكذيبهم له وصدّهم عنه، وذلك إشفاقاً منه عليهم بسبب ما ينتظرهم من عذاب الآخرة إن هم بقوا مصرّين على كفرهم وعنادهم.

فكيف فَهِمَ هؤلاء الزاعمون دلالةَ هذه الآية على محاولة النبيّ الانتحار ورغبته فيه لاندري!!! ثمّ كيف يُعقَلُ أن يقوم النبي بذلك وقد رَفَضَ الصلاة على رجلٍ قتل نفسه بنصلِ سهمٍ، وكذلك أخبرنا بأنّ المنتحرَ خالدٌ مُخلَّدٌ في نار جهنم!! روى الإمام النسائي([[9]](#footnote-9)) في الجزء الرابع من سننه في كتاب الجنائز في (باب ترك الصلاة على من قتل نفسه) قال: "أخبرنا إسحق بن منصور قال أنبأنا أبو الوليد قال حدثنا أبو خيثمة زهير قال حدثنا سماك عن ابن سمرة أنَّ رجلاً قتل نفسه بمشاقص([[10]](#footnote-10)). فقال رسول الله أمَّا أنا فلا أصلّي عليه. أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال حدثنا خالد قال حدثنا شعبة عن سليمان سمعتُ ذكوان يُحدَّثُ عن أبي هريرة عن النبي ـ ـ قال: مَن تردّى من جبلٍ فقتلَ نفسه فهو في نار جهنم يتردى خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومن تحسَّى سُمّاً فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً. ومَن قتلَ نفسه بحديدةٍ ثم انقطع عليَّ شيءٌ خالدٌ يقول كانت حديدتُه في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً".

ونقول تأكيداً على ما سبق: إن كان النبي ـ ـ قد رفض الصلاة على من مات منتحراً فكيف يُعقل أن يكون عليه السلام قد شرع في الانتحار؟؟ لعمري إنه كلام تقشعر له الأبدان.

**الشّبهة الثانية ودفعها:**

**إن كان محمدٌ يزعمُ أنّ كتاباً أُنزِلَ عليه من السّماء، فإنّ هذا الكتاب عينَه يُخبرنا أنّ محمداً كان مُذنباً (واستغفِرْ لذنبكَ) كما يُخبرنا هذا الكتاب كذلك أنّ محمداً كاد أن يُفتنَ (وإن كادوا ليفتنوك).**

- هذه الشبهة هي الأخرى مركبةٌ من جزأين أولهما اتّهامُ الرسول ـ ـ بارتكاب الذنوب وثانيهما اتّهامه بأنّه كاد أن يُفتنَ.

**- أمّا عن شبهة ذنوب النبي فتفنيدها هو التالي:**

من الطبيعيّ والمتوقَّع أن يقودَ أخذُ الآيات الكريمة السابقة على ظاهرها إلى فهمٍ غير صحيحٍ لها، حيث أنّ المعنى الظاهر هنا يُعارضُ عصمةَ الله تعالى لأنبيائه ورسله عن الوقوع في المعاصي والآثام والذنوب، إذ لا يصلُحُ مذنبٌ وآثمٌ وعاصٍ لأن يكون قدوةً للناس يأخذ بيدهم إلى الخير والفلاح ويقودهم لتطبيق تعاليم شرع الله تعالى "فذنبُ الرسول ليس ذنباً حقيقياً، قائماً على فعل المعصية، وإنما هو ذنبٌ معنويٌ يقوم على نوعٍ من تركِ الأَولى، والسهو والغفلة والنسيان، الذي لا يؤدي إلى ترك واجبٍ أو فعلِ محرَّمٍ. وقد يفعل الرسول خلافَ الأَولى، فيعاتبه الله، وقد يمر بحالةٍ من السهو اليسير أو الغفلة البسيطة، فيتداركه الله، وهذا نوعٌ من التقصير، يستدعي أن يستغفرَ اللهَ منه، ليبقى في كامل تألُّقِه وارتقائه. وقديماً قيل: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين. إنَّ استغفار الرسول وتوبته نوعٌ من أنواع ذكره الله، وعلى هذا قوله : "إنه ليُغاَنُ على قلبي فأتوبُ إلى الله واستغفره في اليوم مئة مرة" فاستغفاره لله صورةٌ من صور ذكره وشكره له"([[11]](#footnote-11)).

وعلى ذلك يكون الأمر بالاستغفار أن يستغفر النبي من الأمور التي اجتهد فيها، من غير وحيٍ إليه فيها، فتَرَكَ الأولى (الأحسن) وأخَذَ بالحَسَنِ وكان من أمثلة ذلك أنه عليه الصلاة والسلام قد أَذِنَ لبعض المنافقين بالتخلُّف عن إحدى الغزوات والقعود عن الجهاد، وكذلك قبوله ـ عليه السلام ـ أخذ الفدية من أسرى معركة بدرٍ، وكذلك أيضاً عندما عبسَ وجهُهُ عليه الصلاة والسلام، وأعرضَ لأَجَلٍ عن عبد الله بن أم مكتوم في وقتٍ كان منشغلاً فيه، عليه السلام، بعرض الإسلام على بعض كبار وأشراف غير المسلمين. وبالعودة لقوله تعالى: " لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ"([[12]](#footnote-12)) فإننا نذكِّرُ هؤلاء الذين أجروها على معناها الظاهر فاتَّهموا الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب والآثام بإنّه لو كان مذنباً ـ كما يظنّون ويزعمون ـ لَمَا أيّده اللهُ تعالى بنصره وتوفيقه، ولَما أتّم عليه نعمته وهداه صراطاً مستقيماً، فهذه كلها أمورٌ لا تنبغي للمذنبين والعصاة والآثمين أبداً.

لقد كان من الجدير بهؤلاء الرهبان المستشرقين القدامى والمعاصرين الذين يتّهمون الحبيب المصطفى بارتكاب الذنوب ـ التي لا زالوا غير قادرين حتّى هذه السّاعة على إثبات واحدٍ منها ـ كان من الجدير بهم الالتفات إلى كتابهم المقدّس الذي وَسَمَ أنبياء الله تعالى بكُلِّ مالا يليق بهم من أوصافٍ قبيحةٍ وذنوبٍ عظيمةٍ، حيث وصَفَ الكثيرين منهم بالكذب والسُّكر وزنا المحارم والرّقص عُراةً والأمر بممارسة القتل والإبادة الجماعيّة!!!.

**ـ وأما عن شبهة "كاد محمدٌ أن يُفتنَ"** فتفنيدُها ما يلي:

إنَّ هذه الشبهة مبنيةٌ على فهمٍ خاطئٍ وتفسيرٍ مغلوطٍ لقوله تعالى: " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً \* وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً"([[13]](#footnote-13)). وقبل الشروع في إيراد التفسير الصحيح لهاتين الآيتين الكريمتين نشيرُ إلى أنّ فيهما ردّاً صريحاً ومباشراً على كُلِّ أولئك الذين اتّهموه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنّه جاء بالقرآن من عنده وأنّه المؤلِّفُ الحقيقيّ له. لأنّه لو كان كذلك، حاشاه، فلماذا يكتبُ آياتٍ يُعاتبُ نفسه فيها؟؟؟

وقد ذكر المفسّرون أسباباً متعدّدةً، ولكنها متقاربةٌ في معناها، لنزول هاتين الآيتين الكريمتين، وقد ساقها الإمام السيوطي، رحمه الله، في تفسيره، وكان من أبرزها ما يلي([[14]](#footnote-14)):

1. أخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم وابن مردويه، عن ابن عباسٍ قال: إنّ أميّةَ بن خلف وأبا جهل بن هشام ورجالاً من قريشٍ، أتوا رسول الله فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك. وكان رسول الله يشتدُّ عليه فراقُ قومه ويحبُ إسلامهم، فرقَّ لهم فأنزلَ الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ .. " إلى قوله " نَصِيراً".

2. وأخرج ابن مردوية من طريق الكلبي، عن باذان عن جابر بن عبد الله مْثِلَهُ.

3. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله يستلم الحجر فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا. فقال رسول الله : وما عليَّ لو فعلتُ واللهُ يعلم منّي خلافه؟ فأنزل الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ .. " إلى قوله " نَصِيراً".

4. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب قال: كان رسول الله إذا طاف يقول له المشركون: استلم آلهتنا كي لا تضرَّك فكاد يفعل فأنزل الله "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.

5. وأخرج ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه، أنَّ قريشاً أتوا النبي فقالوا له: إنْ كنتَ أُرْسِلْتَ إلينا فاطرد الذين اتّبعوكَ مِنْ سقاط الناس ومواليهم لنكونَ نحن أصحابك. فركن إليهم فأوحى الله إليه "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.

6. وأخرج ابن جرير وابن مرديه عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ ثقيفاً قالوا للنبي : أجّلْنا سنةً حتى نهدي لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهدى للآلهةِ أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة. فَهَمَّ أن يُؤجِّلَهم فنزلت "وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ" .. الآية.

 وخلاصة هذه المعاني والتفسيرات والأسباب السابقة هو: يا محمّدُ لقد قاربتَ أن تستجيبَ لما عرضوه عليك ولكنّك لم تفعل وذلك بسبب عصمة الله لك وتثبيته إيّاك. وكاد المشركون أن يفتنوا النبي لكنّه لم يُفتن وذلك لعصمة الله تعالى وحمايته له.

**الشبهة الثالثة ودفعها:**

**يتَّبعُ المسلمون رجلاً مسحوراً اسمه "محمد". وقد ذكرت التعاليمُ التي كان محمدٌ يلقِّنُها لأصحابه والمُسَمّاة "الحديث النبويّ" أنّ محمداً قد سُحِرَ وأنّ يهودّياً هو الذي قام بذلك.**

ممَّا لا شكَّ فيه أنّ هذه واحدةٌ من الشّبهات الخطيرة التي أثارها الرهبان المستشرقون وتكمنُ خطورة هذه الشبهة في القول بأنّ كلَّ ما جاء به من آياتٍ قرآنيةٍ إنّما هو ناجمٌ عن السِّحر الذي أصابه وذَهبَ بعقله، فهو مسحورٌ في كلِّ ما يصدرُ عنه من أقوالٍ وأفعالٍ.

**ـ وتفنيدُ هذه الشّبهة والردّ عليها وتوضيح ما حدث هو التالي**: لقد حاول بعض العلماء الأفاضل، كالجصّاص (في كتابه أحكام القرآن) والقاسميّ في تفسيره، إنكارَ هذا الحديث لتكون الشبهة مردودةً تلقائياً لأنّها مبنيةٌ عليه. والصَّواب أنّ الحديث الذي ذكرَ سحرَ النبيّ حديث صحيحٌ ذكره **الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه في كلٍّ من كتاب بدء الخلق وكتاب الأدب وكتاب الجزية، وهذه الروايات هي التالية:**

1. صحيح البخاري كتاب (الأدب) باب قوله الله سبحانه: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" حدَّثنا الحميدي حدّثنا سفيان حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: مكثَ النبي كذا وكذا يُخَيَّلُ إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي. قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: يا عائشة إنّ الله أفتاني في أمرٍ استفتيتُه فيه. أتاني رَجلان فجلس أحدهما عند رِجلي والأخر عندَ رأسي فقال الذي عند رجلي للذي عند رأسي: ما بالُ الرجل. قال: مطبوب يعني مسحوراً قال: ومَن طَبَّهُ قال: لبيد بن أعصم قال: وفيم. قال: في جُفّ طلعة ذكرٍ في مُشطٍ ومُشاقةٍ تحت رعوفةٍ في بئر ذروان فجاء النبي فقال: هذه البئر التي أرِيتُها كان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين وكأنّ ماءها نقاعةُ الحناء فأمر به النبي فأخرج قالت عائشة: فقلتُ يا رسول الله: فهلا تعني تنشَّرتَ فقال النبي : "أما الله فقد شفاني وأمّا أنا فأكره أن أُثير على الناس شراً" قالت: ولبيد بن أعصم رجلٌ من بني زريقٍ حليفٌ ليهود.

2. صحيح البخاري كتاب (بدء الخلق) باب صفة إبليس وجنوده ... حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى عن هشام عن أبيه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سُحِرَ النبيُّ . وقال الليث: كتبَ إلي هشامٌ أنه سمعه ووعاه عن أبيه عن عائشة قالت: سُحِرَ النبيُ حتى كان يخيَّلُ أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتّى كان ذات يومٍ دعَا ودعا، ثم قال: أشعرتِ أنَّ الله أفتاني فيما فيه شفائي. أتاني رَجلانِ فقعَدَ أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجعُ الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومَن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم قال: فيما ذا؟ قال: في مُشطٍ ومشاقةٍ وجُفِّ طلعةٍ ذكرٍ قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. فخرج إليها النبي ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين فقلتُ: استخرجتَه فقال: لا "أمّا أنا فقد شفاني الله وخشيتُ أن يُثيرَ ذلك على الناس شراً ثم دُفِنَتْ البئرُ".

3. صحيح البخاري كتاب (الجزية) باب هل يُعفى عن الذميِّ إذا سَحَر ... حدثني محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا هشام قال: حدثني أبي عن عائشة أنَّ النبيّ سُحِرَ حتّى كان يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه.

وبعد إيرادنا لهذه الأحاديث نقول: من المعلوم أننا إذا أردنا استخراج حكم مسألةٍ ما، فإننا نجمعُ الروايات الواردة فيها لنَخرجَ من مجموعها بفهمٍ صحيحٍ متكامل. لقد ركَّز المستشرقون والطاعنون على عبارةٍ في الأحاديث السابقة هي (وكان يخيلُ إليه أنّه صنع شيئاً ولم يصنعه) وتناسوا عبارة (كان يخيّلُ إليه أنّه يأتي أهله ولا يأتي) والتي هي مفتاحُ الفهم الصحيح للقصَّة كلّها، والتي تتلخّص في أنّ السِّحّر تعلّق بموضوع إتيان النبي لزوجاته مع أنه لم يأتهنّ، وهذا الأمر لا علاقة له بالوحي ولا بالرسالة التي بعثه اللهُ بها من قريبٍ ولا من بعيدٍ. "فالإنسان قد يأخذ قرصاً معيناً من الدواء فلا يستطيع أن يأتي أهله، أو قد يكون مُتعباً نفسياً أحياناً، فلا يستطيع أن يأتي أهله، وكل هذه الأمراض التي لها علاقة بالصفات البشرية، وليس لها علاقة بالوحي والرسالة، فالنبي معصومٌ في تأديته للرسالة، ومن المستحيل أن يزيغ عن الوحي أبداً"([[15]](#footnote-15)). قال القاضي عياض، رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مُبيِّنةً أنّ السحر إنّما تسلَّطَ على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده([[16]](#footnote-16)).

ولعلّ اتهامات الرهبان المستشرقين هذه للنبيّ محمدٍ بأنّه مسحورٌ تتعارض مع اتهاماتٍ سابقةٍ لأسلافهم زعموا فيها أنّ محمداً ساحرٌ مُحترِفٌ وأنّ ممارسته للسحر كانت السّببَ المباشر وراء سُرعة انتشار الإسلام وإقبال الناس عليه بُسرعةٍ عجيبةٍ.

ثم لماذا لم يذكر هؤلاء الطاعنون عبارة أمّا **"أنا فقد شفاني الله"** التي وردت على لسانه في الحديث السابق والتي كانت نهايةً للحادثة؟؟؟ إنها العقلية الانتقائية المريضة التي تحاول الاستدلال الخاطئ بنصٍّ صحيحٍ على أمر خاطئٍ، واتّباعٌ لمنهج (فلا تقربوا الصلاة) أو (فويلٌ للمصلّين)! ثم كيف يُعقلُ أن يُقال "إنّ محمداً مارس السحر"، في الوقت الذي عَدَّ فيه هذا الرسولُ الكريم السّحرَ من السّبع الموبقات المهلكات؟؟ حيث قال: "اجتنبوا الموبقات: الشّركَ بالله والسِّحرَ"([[17]](#footnote-17)). وحين قال : "اجتنبوا السّبعَ الموبقات. قِيلَ يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: الشرك بالله والسَّحَر ... الحديث"([[18]](#footnote-18)). وقد ذكر الإمام النووي، رحمه الله تعالى، في شرحه لهذا الحديث الشريف "ومذهب الجماهير أنَّ السحر حرامٌ من الكبائر فعله وتعلُّمه وتعليمه"([[19]](#footnote-19)).

**الشّبهة الرابعة ودفعها:**

**كيف يُسمّي محمدٌ نفسه أوّلَ المسلمين، والقرآن الذي بين يديه يذكر أنّ إبراهيم كان حنيفاً مُسلماً؟؟ ومعلومٌ أنّ إبراهيم عاش قبل محمدٍ بمئات السّنوات!!!**

- يحاول هؤلاء الرهبان المستشرقون الطاعنون أن يوُهموا الناس بوجود التناقض في القرآن الكريم. ويحاولون أن يضربوا القرآن الكريم بعضه ببعضٍ ليخرجوا بتناقضٍ يُثبتُ بشريّة مصدره وأنّه من عند محمدٍ وليس موحىً به.

**- والجواب على هذه الشبهة ما يلي**: لقد ذكرَ القرآنُ الكريم أنّ إبراهيم عليه السلام كان مُسلماً، قال تعالى: " مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"([[20]](#footnote-20)). كما ذكرَ القرآنُ الكريم كذلك قوله تعالى على لسانٍ محمدٍ بأنّه أولُ المسلمين، قال تعالى: " قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ"([[21]](#footnote-21)) والإجابة على ذلك تُخبرنا بها كتبُ التفسير، حيث ذكر معظمها أنّ معنى قوله (وأنا أولُ المسلمين) أي أولُ المسلمين من هذه الأمّة([[22]](#footnote-22))، فالنبي هو أولُ مَن انقاد لله تعالى من أمّته ـ عليه السلام ـ وهو يخبرنا ويُعلّمنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا أصبحنا أن نقول "أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبيِّنا محمدٍ وملّةِ إبراهيم حنيفاً مُسلماً وما كان من المشركين"([[23]](#footnote-23)). وهذا الحديث الشريف واضحٌ تماماً في الدلالة على أننا ورسولنا المصطفى مِن قَبلنا مُعْتنقون لدين إبراهيم الحنيف الموحِّد عليه السلام، وهذا الدين هو الإسلام.

**الشّبهة الخامسة ودفُعها:**

**إنّ محمداً لم يأتِ بمعجزاتٍ، على خلاف موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل. وفي هذا دليلٌ واضحٌ على عدم صدق نبوّته، بل إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ للناس يقول، وبكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ "وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ"([[24]](#footnote-24)).**

- يبدو أنّ هؤلاء الطاعنين لا يدركون حقيقةً مفادها أنّ الله تعالى هو الذي يؤيِّدُ الرسل بالمعجزات، وأنَّ الرّسلَ عليهم السلام لا يقدرون على الإتيان بالمعجزات من تلقاء أنفسهم، ويشهد لهذه الحقيقة قوله تعالى: " وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ"([[25]](#footnote-25)). واستشهادهم بالآية السابقة من سورة الاسراء "وَمَا مَنَعَنَا أَن نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ" باطلٌ تماماً، فهذه الآية الكريمة لا تُلغي الآيات المعجزات ولا تنفي فائدتها على الإطلاق "وإنما تنفي استجابة الله لطلب المشركين إنزال الآيات. فلم يستجب الله لهم، ولم يُنزل الآياتِ التي طلبوها؛ لأنه يَعلمُ أنه لو أنزلها كما طلبوا فإنهم لن يؤمنوا بها، وبعد ذلك سيعذّبُهم ويهلكهم، ولذلك لم يستجب الله لهم رحمةً بهم، لئلا يُعذّبهم ... وليس معنى هذا أنَّ الله لم يُنزل الآيات على النبي ولا على غيره من الأنبياء السابقين"([[26]](#footnote-26)).

ومن الواضحُ أنّ هذه الشبهة قائمةٌ على الكذب الخالص، وذلك لأنّ كتاب الله العزيز، والأحاديث النبويّة الشريفة، والأخبار المتواترة، التي جمعها علماؤنا ذكرت الكثير الكثير من هذه المعجزات، والتي منها على سبيل المثال:

1. القرآن الكريم: وهوأعظم هذه المعجزات على الإطلاق، ولئن زَعمَ الرهبان المستشرقون ومن وافقهم من الطاعنين ضعف نصوص القرآن وتعارضها مع بعضها البعض وإنّها من عند محمدٍ ، فإنّ التحدي بهذا القرآن لا يزال قائماً حتى قيام الساعة، وهم مُطالَبون بالإتيان ولو بعشر سورٍ مفترياتٍ تصلُحُ لأن تُقابَلَ بسور القرآن الكريم وآياته. ولا زال التحدّي للخلق على الإتيان بمثل القرآن الكريم قائماً حتى هذا العصر، عصر الحاسوب والإنترنت والاختراعات والاكتشافات العلميّة على مدار السّاعة. ألا فليأتوا بمثل ذلك إن استطاعوا.

2. معجزة انشقاق القمر، قال تعالى: " اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ"([[27]](#footnote-27)) وقد كان هذا الانشقاق للقمر الذي حدث في زمن رسول الله معجزةً للنبيّ وآيةً دالةً على صدق نبوّته، وتوضيحُ ذلك وارد في صحيح الإمام البخاري، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، الذي جاء فيه([[28]](#footnote-28)): حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضّل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه "إنّ أهل مكّة سألوا رسول الله أن يُريهم آيةً فأراهم القمر شقّين، حتى رأوا حِراءً بينهما". ويُفهُم من مجموع روايات الحديث الشريف السابق أن هذا الانشقاق استمرّ ما يقارب الساعة من الزمن. ولئن أنكر الرهبان المستشرقون والطاعنون المعاصرون صحّة وقوع ذلك فإننا نحيلهم إلى الموقع الإلكتروني <http://the-moon.wikispaces.com>. الذي نشر صورةً للقمر كانت قد التقطتها وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) والتي يظهر فيها وبُكلِّ وضوحٍ ما تبقّى من آثار التئام هذا الانشقاق ويبلغ طوله مسافة ثلاثمائة كيلو متراً أي ما يعادل 186.4 ميلاً([[29]](#footnote-29)). بكُلِّ جلاءٍ ووضوح.

وما من شكٍّ أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كانا المصدرين الوحيدين اللذين ذكرا حادثة بل معجزة انشقاق القمر آنذاك. وهنا نتوجّه بالسؤال للرهبان وللطاعنين فنقول: هذا اكتشافٌ علميٌ معاصِرٌ، وكان القرآن الذي جاء به محمدٌ قد أخبرنا به قبل مئات السنوات فبماذا تجيبون على ذلك؟؟ ليسَ هناك سوى إجابةٍ واحدةٍ **إنّها النبوَّةُ.** ولقد آثرنا ههنا التركيز على ذكر معجزة انشقاق القمر لأنها معجزة ماديّةٌ حسيّةٌ تحاكي فهم هؤلاء الرهبان الطاعنين للمعجزة إذ أنها عندهم لا تتجاوز حدود المادة والحسّ.

لن نُطيل في ذكر وتفصيل المعجزات التي ذكرها القرآن الكريمُ والتي أجراها الله تعالى إظهاراً لصدق نبوّةِ محمدٍ ولكننا سنذكر، وعلى عجالةٍ، بعض هذه المعجزات والنبؤات والأخبار الصحيحة الإسناد التي حدثت بعده، عليه الصلاة والسلام، وكلّها شواهدٌ على معجزاته في الإخبار عن الغيب الذي سيقع ثمّ وقع، ومن ذلك([[30]](#footnote-30)):

1. أخبر الصحابةَ رضي الله عنهم، بفتح بيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وقد وقع ما أخبر به .

2. أخبر أنَّ الإسلام سوف يسود حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، وقد وقع ما أخبر به .

3. أخبر أنّ خيبرُ تُفتحُ على يد عليٍّ، رضي الله عنه، في غد يومه، وقد فُتحتْ على يد عليٍ رضي الله عنه كما أخبر .

4. أخبر أنَّ المسلمين يقسّمون كنوز ملك فارس وملك الروم، وقد فتح المسلمون تلك البلاد، وقسَّموا كنوز ملوكها كما أخبر ، فأخذ سراقة بن مالك رضي الله عنه وغيره ما وعدهم به النبي .

5. أخبر أنّ عثمان بن عفان رضي الله سيُقتلُ وهو يقرأ القرآن، وقد كان كما أخبر.

6. أخبر أنَّ عمار رضي الله عنه تقتلهُ الفئةُ الباغية، فوقع كما أخبر النبي .

7. أخبر أنّ الموتان أي: الوباء (الطاعون) يكون بعد فتح بيت المقدس، وقد وقع في خلافة عمر، رضي الله عنه، بعمواس في بلاد الشام من قرى بيت المقدس، وبها كان عسكره، وهو أول طاعونٍ في تاريخ الإسلام، مات على أثرهِ عددٌ كثيرٌ منهم لا يقلُّ عن سبعين ألفاً.

8. أخبر أنّ فاطمةَ بنت النبي أولُ أهلهِ لحوقاً به بعد موته، فماتت ـ رضي الله عنها ـ بعد ستة أشهر من وفاته ، فكانت أول آلِ بيت النبي وفاةً بعده .

9. أخبر أنّ الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ سَيّدٌ يُصلحُ الله على يده بين فئتين من المسلمين تقتتلان، وقد حدث ما أخبره به .

**الشّبهة السادسة ودفعها:**

**لو كان محمدٌ رسولاً لما ماتَ مسموماً ولما تحلَّلَ جسده حتّى تعفّن**

- تتكوّن هذه الشبهة من جزأين، أولهما أنّه مات مسموماً، وثانيهما أنّ جسده تحلَّلَ وتعفَّنَ بعد موته.

- **أمّا عن تفصيل القول في الجزء الأول من هذه الشبهة** فلا نُسَلِّمُ به أبداً. نعم، أكل النّبيُ من شاةٍ مسمومةٍ قدّمتها له يهوديةٌ بخيبر، لكنّه لم يمت من ذلك بل مات بعد ما يزيدُ على الثلاث سنوات بعد غزوة خيبر([[31]](#footnote-31)). وقصّة أكله، عليه السلام، من الشاة المسمومة ذكرها الإمام البخاري في صحيحه عند حديثه عن غزوة خيبر، كما ذكرها الإمام أبو داود في سننه في كتاب الدّيات فقال([[32]](#footnote-32)): حدثنا وهب بن بقية في موضعٍ آخر عن خالد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة ولم يذكر أبا هريرة قال: كان رسول الله يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة. زادَ فأهدَتْ له يهوديةٌ بخيبر شاةً مصليةً سَمَّتْها فأكل رسولُ الله منها وأكل القوم فقال: "ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة". فمات بِشرُ بن البراء بن معرور الأنصاري فأرسل [الرسول ] إلى اليهودية ما حَملكِ على الذي صنعتِ؟ قالت إنْ كنتَ نبياً لم يضرك الذي صنعتُ وإن كنتَ ملكاً ارحتُ الناسَ منك فأمر بها رسول الله فَقُتِلَتْ ثم قال في وجعه الذي ماتَ فيه ما زلتُ أجدُ من الأكلة التي أكلتُ بخيبرَ فهذا أوانُ قَطَعَتْ أبْهَري.

وقد ورد في بعض الروايات الأخرى أنّ هذه المرأة اليهودية قد سَأَلَت عن أيِّ عضو أحبَّ إلى رسول الله ؟ فقيل لها الذراع، فأكثرت السُّمَّ فيها، ثم سمّمت الشاة ... والوجه الصحيح الذي تُفهمُ هذه الحادثة بناءً عليه هو التالي:

إنَّ رسول الله لم يَمُتْ بتأثير السمِّ، ولو مات بتأثير السمِّ لمات فوراً، أو بعد ساعات أو أيام أو أشهر، مثل بشر بن البراء الذي مات فوراً. وقد عاش رسول الله بعد حادثة السم أكثر من ثلاث سنوات!.

"صحيح أنه بلغ أثر السم، لكنَّ هذا الأثر لم يُؤدِّ إلى وفاته، لأنّ الله تكفل بحمايته وعصمته من الأعداء، فكم حاول الأعداء اغتياله وقتله، ولكنَّ الله عصمه وحماه، وأخبره عن ذلك في قوله تعالى: " يَـأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ"([[33]](#footnote-33)). وصحيحٌ أنّ رسول الله قال لعائشة رضي الله عنها: "ما زلتُ أجدُ أثر السم الذي قُدِّمَ لي في خيبر" وأنه قال لها أيضاً: "هذا أوانُ انقطاع أبهري". وهذا معناه أنْه كان يمرضُ من أثر ذلك السم، وكان أكبر الأثر على أبهره، وهو وريده، لكن فرقٌ بين أن نقول: كان يمرضُ من أثر السم، وبين أن نقول: مات مُتأثّراً بالسم"([[34]](#footnote-34)).

**- أمّا عن زعم الرهبان المستشرقين والطاعنين بأنه قد تحلَّلَ جسدُه وتعفّن بعد موته،** فمسألةٌ خطيرةٌ، وقد بنى هؤلاء هذه الشبهة على حادثةٍ رواها الإمام الدارميّ، رحمه الله تعالى، في سننه في باب وفاة النبي ، هذا تفصيلها كاملاً:

"أخبرنا سليمانُ بن حرب حدَّثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: تُوفِّي رسول الله يوم الاثنين فَحُبِسَ بقية يومه وليلته والغد حتى دُفِنَ ليلة الأربعاء، وقالوا: عن رسول الله لم يَمُتْ ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسى، فقام عمر فقال: إنّ رسول الله لم يَمُتْ، ولكن عُرِجَ بروحه كما عُرِجَ بروح موسى، والله لا يمت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم. فلم يزل عمرُ يتكلَّم حتى أزبد شدقاه مما يوعد ويقول، **فقام العباس فقال: إنّ رسول الله قد مات وإنه لبشرٌ، وإنه يأسنُ كما يأسن البشر. أيْ قَومِ، فادفنوا صاحبكم** فإنّهُ أكرمُ على الله من أن يُميته إماتتين أيميتُ أحدكم إماتهً ويُميته إماتتين، وهو أكرم على الله من ذلك؟ أيْ قومِ فادفنوا صاحبكم، فإن يكُ كما تقولون فليس بعزيزٍ على الله أن يُبحثَ عنه التراب. إنَّ رسول الله والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، فأحلَّ الحلال وحرَّم الحرام، ونكح وطَلَّقَ وحارب وسَاَلمَ، ما كان راعي غَنمٍ يتبعُ بها صاحبُها رؤوسَ الجبال يَخبُطُ عليها العِضاهَ بمخبطهِ ويمدرُ حوضها بيده بأنصَبَ ولا أدابَ من رسول الله كان فيكم. أيْ قومِ فادفنوا صاحبكم. قال: وجعلتْ أمُ أيمن تبكي فقيل لها يا أم أيمن تبكي على رسول الله ؟ قالت: إني والله ما أبكي على رسول الله أنْ لا أكونَ أعلمُ أنَّه قد ذهب إلى ما هو خيرٌ له من الدنيا، ولكنّي أبكي على خبر السماء انقطع. قال حمّادٌ: خنقتِ العَبْرَةُ أيوبَ حين بلغ ها هنا"([[35]](#footnote-35)).

ولعلّ أبرز عبارةٍ واردةٍ في هذه الرواية ركَّز عليها الرهبان هو قول العبّاس رضي الله عنه وأرضاه "إنّ رسولَ الله قد ماتَ وإنهُ يأسنْ كما يأسنُ البشرُ أي قومِ، فادفنوا صاحبكم". ومن الواضح لكلّ ذي فهمٍ سليمٍ أن قول العباس، رضي الله عنه، السابق ليس إخباراً عن أمرٍ قد وقع أو عن وصفٍ لجسد رسول الله بعد وفاته. وإنما هو ظنٌّ منه بأنّ ما يسري على سائر الأجساد يسري على جسده بعد الموت. وقوله هذا ومن دون أدنى شكٍّ يُثبتُ عدم سماعه لقول رسول الله "فإن الله عزُ وجلّ قد حَرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"([[36]](#footnote-36)). "وقد قال هذه المقولة ترهيباً وتنبيهاً لعمر، رضي الله عنه، حين رفض قبول مصيبة موت رسول الله فضلاً عن دفن جسده الكريم، وصرخ من هول المصيبة متوعداً يقول: إنّ رسول الله قد مات.

إذاً جسد رسول الله لم يكن قد أَسنَ، وإنما طالب العباسُ ـ رضي الله عنه ـ بدفن البدن الشريف إكراماً له وترهيباً من تركه حتى يأسن اعتقاداً منه أنَّ ذلك محتمَلٌ مع رسول الله بحكم بشريته وطبيعته الإنسانية. و"الملاحَظُ أيضاً أنّ هذا الحديث مُرسَلٌ منقطعُ السند لا يصحُّ ومع ذلك كانت أجابتنا على الشبهة بفرض صحته"([[37]](#footnote-37)).

**الشّبهة السابعة ودفعُها:**

**كان محمدٌ ضالاً على غير هدى، والقرآن الذي جاء به يشهدُ على ذلك " وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى"([[38]](#footnote-38)).**

- مِن المضحِك في سلوك هؤلاء الرهبان الطاعنين أنهم يرجعون للتفسيرات التي لربّما وافق بعضها هواهم، فإن لم يجدوا شيئاً من ذلك فإننا نراهم يذكرون النصَّ ولا يوردون تفسيره أبداً. ومن ذلك ذكرهم للآية الكريمة السابقة دون إيراد أيٍّ من أقوال العلماء في تفسيرها. ودورنا هنا يقتصرُ على إيراد بعض هذه التفسيرات شبه المتطابقة لهذه الآية، ومنها:

1. فسّرها الطبري([[39]](#footnote-39)) بـ "وجدكَ في قومٍ ضُلاَّلٍ فهداك".

2. فسّرها الزمخشري([[40]](#footnote-40)) بـ "ضالاً عن عِلم الشرائع".

3. فسّرها السيّوطي([[41]](#footnote-41)) بـ "ووجَدكَ بين ضالّين فاستنقذك من ضلالتهم".

4. وفسَّرها صاحب التفسير الميسَّرِ بـ "ووجدكَ لا تدري ما الكتاب والإيمان فعلَّمكَ ما لم تعلم ووفّقك لأحسن الأعمال".

ونرتأي في معرض حديثنا عن شبهة وفرية ضلال النبيّ، وما سبق أن ذكره الرهبان الطاعنون سابقاً من ارتكابه للذنوب والمعاصي، نرتأي أن نلفتَ نظر القارئ الكريم إلى أنّ صدور هذه الاتهامات ومثلها عن هؤلاء الرهبان أمرٌ غيرُ مُستغرَبٍ أبداً؛ فهم يؤمنون بالكتاب المقدّس كلِّه بعهديه القديم والجديد، وبما اشتمل عليه من العجائب والقبائح التي أُلصقت بالأنبياء المذكورين فيه. ولنستعرض منها على سبيل المثال، لا الحصر، ما يلي:

1. كان نوحٌ يشرب الخمر ويسكر ويتعرّى! "وابتدأ نوحٌ يكون فلاحاً وغرسَ كرماً وشرب من الخمر فَسَكَرَ وتعرّى داخل خبائه"([[42]](#footnote-42)).

2. ارتدَّ سليمان في آخر حياته عن عبادة الله تعالى! "وكان في زمن شيخوخة سليمان أنّ نساءه أملنَ قلبه وراء آلهةٍ أخرى ولم يكن قلبهُ كاملاً مع الربّ إلهه كقلب داود أبيه"([[43]](#footnote-43)).

3. شربَ لوطٌ الخمرَ وزنا بابنتيه! "فحبلت ابنتا لوطٍ من أبيهما"([[44]](#footnote-44)).

ومن المدهش في نهاية حديثنا عن فهم هؤلاء للعصمة ولضلالات الأنبياء أن نُذَكِّرَ بما يعتقدونه من ثبوت العصمة "للبابوات"، وهو الأمر الذي لا زال مثارَ شكٍّ واستهجانٍ إلى يومنا هذا!! ولكي نبرهن على صحّة معتقدنا ببطلان عصمة هؤلاء "البابوات" فإننا نسوق بين يدي القارئ الكريم نماذج من ممارسات هؤلاء الذين يؤمُن الرهبان بعصمتهم في الوقت الذي ينفونها عن الحبيب المصطفى ومنها([[45]](#footnote-45)):

1. حَكَم البابا أدريان الثاني بجواز الزواج المدني، ثم جاء بعده البابا بيوس الرابع فحكم ببطلانه.

2. قال البابا غريغوريوس الأول: إنَّ أيَّ إنسانٍ يرضى بلقب "البابا العالمي" فإنه ضِدُّ المسيح. وجاء بعده البابا يونيافس الثالث فأرغم الإمبراطور على أن يخلع عليه هذا اللقب، وسار على مَوَّالهِ من أتى بعده من البابوات. أي أنّ بابوات روما قبل ذلك إنما كانوا يُعرَفون بأساقفة روما فحسب.

3. حكم البابا إيوغين الرابع على جان الأركونية بأن تُحرقَ حيةً لأنها ساحرةٌ، بينما أعلن البابا بندكت الخامس عشر بعد ذلك في عام 1919م أنها قديسةٌ!.

4. أجاز البابا سيكستوس الخامس قراءة كتابهم المقدس للعامة، بعد أن منعوا من ذلك منذ عام 1229م، ثم جاء بعده بابوات آخرون، وعلى رأسهم البابا بيوس السابع، فمنعوها مرّةً أخرى. وحتى اليوم فإن الكنيسة الكاثوليكية لا تُجيزُ للعامة قراءةَ وفهمَ نصوص العهد القديم والعهد الجديد بمفردهم، وإنْ كان لا بُدَّ من اقتناء نسخةٍ منهما فلتكن ـ وجوباً ـ النسخةَ المحشوّةَ بتعليقات وتفسيرات الآباء والبابوات!.

5. وهذا بيوس السابع نفسه يصدر أمره في السابع من أغسطس عام 1814م بإعادة اليسوعيين إلى حظيرة الكنيسة، بعد أ ن كانت طائفتهم محظورةً محرومةً بأمر من البابا كلمنت الرابع عشر الصادر في الحادي والعشرين من يوليو عام 1773م.

**الشبهة الثامنة ودفعها:**

**عَلَّم محمدٌ أتباعه بعض العبادات الوثنيّة، ومن ذلك أنه كان يُقبّل الحجر الأسود ويُعظّمه. وقد ذكر القرآنُ الذي جاء محمدٌ حقيقة عبادة محمدٍ للأوثان والأصنام بقوله: "وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ".**

- تكاد هذه الفريةُ تكون أسخف ما اتَّهمَ به الرهبان الطاعنون رسولَ الله ، وهم الذين يعظّمون أصنام المسيح، عليه السلام، وتماثيله وصوره، وتماثيل مريم، عليها السلام، وصورها ويقدّسونها!! أمّا بالنسبة لقوله تعالى في سورة المدثّر "يأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنذِرْ \* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ"([[46]](#footnote-46)) فليس فيها ما يدلُّ مِن قريبٍ ولا بعيدٍ على أنه كان يعبدُ الأصنام أو يعّظمها. وحتى يتضح تفسير معنى قوله تعالى " وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ" في ذهن القارئ، فمن المستحسن أن نورد بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرها ومن ذلك:

1. فسّرها الطبري([[47]](#footnote-47)) بقوله: الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون [يقصد قريشاً] أَمرَهُ أن يهجرها فلا يأتيها ولا يقربها، وقال آخرون: بل معنى ذلك والمعصيةَ والإثمَ فاهجر.

2. فسّرها الزمخشري([[48]](#footnote-48)) بقوله: الرجز هو العذاب. ومعناه: اهجر ما يؤدّي إليه عبادة الأوثان وغيرها من المآثم. والمعنى الثبات على هجره، لأنه كان بريئاً منه.

3. وفسّرها السّيوطي([[49]](#footnote-49)) بقوله: عن ابن عباسٍ قال: والرجز هو الأصنام. والرجز فاهجر: أي أترك المعصية. ثم قال السيّوطي عبارةً هامّةً في نهاية ذكره لهذه التفسيرات وهي (وعلى كلِّ تقديرٍ فلا يلزم تلبُّسه بشيءٍ من ذلك).

ونظنّ أنَّ ذكر هذا القدر من التفسيرات كافٍ لبيان المقصود من قوله تعالى. ولا ننسى هنا أنَّ واحداً من أبرز الأعمال التي قام بها رسول الله عند فتح مكّة قيامه بتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة المُشرَّفة فقد "أمر الرسول بتحطيم الأصنام وتطهير البيت الحرام منها، وشارك في ذلك فكان يهوي بقوسه إليها فتساقطُ وهو يقرأ " وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً"([[50]](#footnote-50)). وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب، ولَطَّخ بالزعفران صور إبراهيم وإسماعيل وإسحق وهم يستقسمون بالأزلام وكانت هذه الصور داخل الكعبة، وقال: قاتلَهم اللهُ ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام.وفي روايةٍ أنَّ صورة مريم كانت داخل الكعبة أيضاً. ولم يدخل الرسول الكعبة إلا بعد أن مُحيتْ هذه الصور منها. ثم دخلها فصلّى فيها ركعتين"([[51]](#footnote-51)).

ولا ندري كيف سيفسّر لنا الرهبان الطاعنون قيام النبي بتحطيم هذه الأوثان في الوقت الذي يتهمونه فيه بعبادتها، حاشاه!!.

ويخبرنا التاريخ الإسلاميّ أنّ النبي لم يكتفِ بتحطيم الأصنام التي كانت موجودةً حول الكعبة، بل إنّه قام بإرسال مَن يقوم بتحطيم أصنام مُضَر وهذيل "ولا شكَّ أن تطهير البيت من الأصنام كان أكبرَ ضربةٍ للوثنية في أرجاء الجزيرة العربية، حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها، وما أن تمَّ فتحُ مكة وطُهِّرت الكعبة حتى أرسل الرسولُ خالدَ بن الوليد إلى نخلة لهدم العُزَّى التي كانت مضر جميعاً تعظّمها فهدمها. وأرسلَ عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل فهدمه. وأرسل سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل (ناحية قديد على طريق مكة ـ المدينة) فهدمها، وبذلك أُزيلت أكبر مراكز الوثنية"([[52]](#footnote-52)).

نعم لقد نهى النبي المسلمين عن عبادة الأوثان لأنّها شركٌ بالله تعالى وكُفرٌ به سبحانه، فكانت تلك بدايةً لعهدٍ جديد في حياة الصحابة، رضوان الله عليهم، عهدٍ من التوحيد الخالص لله تعالى، ولقد سّجل هذه البداية بحروفٍ من نورٍ جعفرُ بن أبي طالب، رضي الله عنه، في حواره الشهير مع النجاشي ملك الحبشة عندما سأل المهاجرين الأوائل عند دينهم فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: "أيها الملك كُنّا قوماً على الشرك، **نعبد الأوثان** ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحِلُ المحارم، بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرّمه. فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى أن نعبدَ الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره.

ونظنّ أن هذه الفرية قد تهاوت بما سلف ذكره وإيراده من النصوص والوقائع.

- **أمّا عن تقبيل الرسول للحجر الأسود** فهو أمرٌ لا ننكرُه بل نثبته، وقد ذكره الإمام البخاري، رحمهُ الله تعالى، في صحيحه في كتاب الحج، فقال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان بن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال: إنيّ أعلم أنك حجرٌ لا تضرّ ولا تنفع ولولا أني رأيتُ النبيَّ يقبّلك ما قبلتك"([[53]](#footnote-53)).

وقد شرح الإمام ابن حجر العسقلاني، يرحمه الله، هذا الحديث في "فتح الباري" فقال: "قال الطبري: إنّما قال ذلك عُمَرُ لأن الناس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام فخشي عُمَرُ أن يظنَّ الجُهّالُ أنّ استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية. فأراد عمرُ أن يُعَلّمَ الناس أن استلامه اتّباعٌ لفعل رسول الله ، لا لأنَّ الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان ... وفي قول عمر هذا التسليمُ للشارع في أمور الدّين وحُسن الاتباع فيما لم يُكشف عن معانيها، وهو قاعدةٌ عظميةٌ في اتّباع النبي فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"([[54]](#footnote-54)).

ثمّ أنّ هذا الحجر الأسود يختلف عن كلّ أحجار الأرض إذ أنّه ليس منها، بل هو من أحجار الجنّة، كما أخبرنا رسول الله "نزل الحجرُ الأسود من الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج فسّودته خطايا بني آدم"([[55]](#footnote-55)).

فهو عليه السلام لم يقبّله بوصفه وثناً أو صنماً كما فهم الطاعنون من الرهبان. ويُشار هنا إلى أنّ تقبيل الحجر الأسود بعد استلامه في الطواف حول الكعبة المشرّفة مُستحَبٌّ وليس واجباً. "إذا لو كان الأمرُ فيه عبادة أصنامٍ وشركٌ كما يهمز المعترِضون لكان الأمر على الوجوب، فشتّان بين مَن يأتي ذلك طاعةً لله ورسوله مُعتقِداً أنّ الحجر لا يضرّ ولا ينفع كما يذكر الحديث الذي ذكرناه، وبين مَن يقدّسُ الأوثان التي نهى الله سبحانه وتعالى عن الاقتراب منها"([[56]](#footnote-56)).

لم يكن محمدٌ عابداً للأوثان ولا معظِّماً لها أيها الرهبان الطاعنون، ولكنّ كنيستكم الكاثوليكيّة هي التي كانت ولا زالت تمارس طقوس الوثنية من خلال إصرارها على وجوب تقديم المسيحيين للإكرام وسجود الاحترام لصور المسيح، عليه السلام، وأمّه مريم عليها السلام، وهما بريئان من ذلك، والله تعالى يشهد، لم يكن محمدٌ وثنياً ولم يأمر أصحابه ولا أتباعه بوضع بقايا أجسادهم وأشلائهم أو جثثهم في المساجد أثناء بنائها كما فعلتم.

ولربما يُكَذِّبُ مُكَذِّبٌ كلامنا هذا فنُجيبُه بالقول: إرجع إلى قرارات المجمع المسكوني السابع الذي عُقِدَ في مدينة نيقية عام 787 للميلاد الذي عَقَدَ ثماني جلسات عملٍ خلال شهرٍ واحدٍ فقط إنتهت "إلى وجوب تكريم وتقديس صور وتماثيل المسيح وأمه مريم وجمع القدّيسين وذلك بإحناء الرأس لها وتقبيلها وإضاءة الشموع أمامها وحتّى السجود لها. كما جاء ذلك في إعلان المجمع أو ما نسميّه في الأسلوب الحديث بالبيان الختامي له، فقد قالوا فيه: [... نحددُ بكلِّ جزمٍ وتدقيقٍ أنه كما يُرفع الصليبُ الكريم المحيي، هكذا يجب أن تعلَّق الصِّورُ الموقَّرةُ المقدّسة المصبوغةُ بالدهان ... أو من موادَّ أُخرى في كنائس الله المقدّسة، وأن توضع على الأواني المكرسة والحلل الكهنوتية، وأن تُرفع وتعلّق في المنازل وفي الطرق، **ونعني بذلك صورة ربِّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وصورة سَيدتِنا الكليِّة الطهارة والدة الإله، وصورة الملائكة المكرّمين، وصور كلّ القديسين، وكلّ الأشخاص الأتقياء ...، ويجب أن يُقَدّمَ لهذه الصورة الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها]**. بل ورد في القانون السابع من مجموعة قوانين هذا المجمع ـ وعددها اثنان وعشرون قانوناً ـ وجوب وضع بقايا مَنْ سمّوهم بالقديسين والشهداء (من آباء الكنيسة المتوفين) أو جثثهم في الكنائس أثناء تشييدها أو تدشينها، وأنّ أيَّ أسقفٍ يدشِّن كنيسةً بدون جثث أو بقايا هؤلاء الآباء يجب عزله لمخالفته تقاليد الكنيسة"([[57]](#footnote-57)).

**الشّبهة التاسعة ودفُعها:**

**زَعمَ الرهبانُ الطّاعنون،كما زعم أسلافهم من كُفّار قريش سابقاً، أنّ القرآن الكريم من تأليف محمدٍ جاء به من عنده لا من عند الله، وأنّ هذا المؤلَّفَ [القرآن] كان نتيجةً لجهدٍ متواصلٍ من جمع ومزج أساطير السّابقين.**

- يتركّبُ هذا الادّعاء الزائف من جزأين اثنين، كان القرآن الكريم قد أشار إليهما في قوله تعالى على ألسنة كفّار قريش " وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَـذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"([[58]](#footnote-58)). وقد سجَّلَ القرآنُ الكريم فرية (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا) مرّةً واحدةً فقط، بينما سجّل فرية (أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) تسع مرّاتٍ، والسبب في ذلك كما هو واضحٌ "أنّ أخفَّ المقولتين مؤنةً على النفس هي أكثرهما ذكراً على اللسان. فوصفُ المنكرين للقرآن بأنه أساطير الأولين لم يكن يكلّفهم أكثرَ من النطق بهذه الفرية. ولذا فقد رَدَّدُوها كثيراً في مواجهتهم للقرآن. أمّا دعواهم الإتيان بمثله فكانت تكلِّفهم ما هو فوق طاقاتهم جميعاً، وهو الإتيان بمثله فعلاً، ولأنهم قد أحسّوا بضعفهم أمام هذا الادعاء فإنهم لم يكرروا القول به. ففي التكرار تحميلٌ لهم بما ليس في قدرتهم، وبما فيه إدانةٌ لهم، إذا هم لم يأتوا بمثله، وما هم بفاعلين. ولهذا كله لم تساعدهم أنفسهم على تكرارها وإذاعتها أمام الخصوم"([[59]](#footnote-59)).

وقد تدرّجَ القرآن الكريم في التحدّي، فبعد أن كان القدر المطلوب الإتيان بمثل هذا القرآن، حُدِّد في مرحلةٍ لاحقةٍ بالإتيان بعشرِ سورٍ من مثله، ثم حُدِّد أخيراً بالإتيان بسورةٍ واحدةٍ من مثله. ولكنّ العجز عن الإتيان بذلك ظلَّ قائماً إلى يومنا هذا، وسيبقى إلى يوم الدّين، وهذا التحدّي هو ذاته الذي نواجه به الرهبان الطاعنين ألا فليأتوا بسورةٍ واحدةٍ من مثله إن استطاعوا.

إنّ هنالك العديد من الملاحظات والأمور والحقائق التي يجدرُ بمن يزعم أنّ القرآن من عند محمدٍ أن يقف عندها، ليدركَ من خلالها بطلان هذه الدّعوى وهذا الزعم، ومن ذلك ما يلي([[60]](#footnote-60)):

1. إنَّ أسلوبَ القرآن الكريم يُخالفُ مخالفةً تامّةً أسلوبَ كلام محمد ، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعتْ أقوالَ محمد وقارنّاها بالقرآن الكريم لرأينا الفرق الواضح والتغاير الظاهر في كلِّ شيءٍ، في أسلوب التعبير، وفي الموضوعات، فحديث محمد تتجلى فيه لغةُ المحادَثة والتفهيم والتعليم والخطابة في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافّة، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذي لا يُعرف له شبيهٌ في أساليب العرب.

2. إذا افترض الشخصُ أنّ القرآن الكريم إنتاجُ عقلٍ بشريٍّ فإنه يتوقع أن يذكر شيئاً عن عقليّة مؤلِّفه. ولو كانت تلك الادعاءات حقيقيةً فإنَّ أدلة ذلك ستظهر في القرآن الكريم، فهل توجد مثل تلك الأدلة؟ وحتى نتمكن من الإجابة على ذلك فإن علينا معرفة الأفكار والتأملات التي دارت في عقله في ذلك الوقت ثم نبحث عنها في القرآن الكريم.

3. محمد أُميٌّ ما دَرَسَ ولا تعلَّم ولا تتلمذ، فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أيّ تناقض، فأقر بعظمة هذا التشريع القريبُ والبعيدُ، المسلمُ وغيرُ المسلم؟ فكيف يستطيع هذا الأميُّ أن يكتبَ هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً ... هل يمكن لهذا الكتاب أن يكون من عنده؟! وهل يجرؤ على تحدّي ذلك بقوله " أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً"([[61]](#footnote-61)) هذا تحدٍّ واضحٌ لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد خطأ فيه.

4. إخبار القرآن بالغيب ووقوعه كما أخبر والتوقيت الذي حدَّد (كما في نصر الروم). لو أن محمداً هو الذي كتب القرآن فما الذي يدفعه إلى الجزم بوقوع شيءٍ في المستقبل القريب جداً بل ويحدِّدُ له موعداً لا يتجاوزه، ولا يترك التوقيتَ مفتوحاً كما في قوله تعالى " آلـم \* غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ"([[62]](#footnote-62)). ماذا لو لم يحدث مثلُ هذا في الموعد المحدّدِ (بضع سنين) وهو ما لا يزيد عن تسع سنين؟ لو لم يحدث هذا لسقطت مصداقيةُ الدعوة تماماً، ولثبتَ للعالم أجمع أنَّ هذا القرآن ليس كلام الله. إنه ليس مضطراً أبداً لمثل هذا، لكنه كلامُ عالِمِ الغيب والشهادة.

5. لم يرد على لسان النبيّ ما يشبه القرآن قبل البعثة قال تعالى " فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"([[63]](#footnote-63)) ألم يكن سيدنا محمد يعيش بين قومه قبل البعثة أربعين عاماً، كيف لم يَظْهر في كلامه مثلُ هذا القرآن البليغ المذهل، ولو كان قد ظهر من قبل لكان هذا حجّةً تلقَّفها المشركون ولقالوا له، إنه كلامك مذ عرفناك والله ما هو بجديدٍ.

6. لومُ القرآن للنبي محمد : إنَّ القرآن نزل في غير موضعٍ يلوم الرسولَ ويُعاتبه على بعض أفعاله، فهل هو محمد الذي يلوم نفسه؟؟

7. لماذا يؤلِّفُ محمدٌ القرآن وينسبه إلى غيره؟ فالعظمةُ تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعملٍ يعجز عنه العالمُ كلُّه، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيُرفَعُ إلى مرتبةٍ أسمى من مرتبة البشر، فأيُّ مصلحةٍ أو غايةٍ لمحمد في أن يؤلِّفَ القرآن ـ وهو عملٌ جبارٌ مُعجِزٌ ـ وينسبه لغيره؟

8. في القرآن أخبار الأوَّلِينَ بما يُغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام محمد ، فإنَّ القرآن الكريم يحتوي على معلوماتٍ كثيرةٍ لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله. مثلاً: من أخبر محمداً عن ذي القرنين وعن سفينة نوحٍ وناقة صالح؟؟!.

نختتمُ الحديث عن هذه الفرية بقولنا: لقد أخبرَ القرآن الكريم أنّ أبا لهبٍ سيصلى النار ويكون من أهلها، وقد كان هذا من باب الإعجاز في الإخبار عن غيب المُستقبل. وهنا نتساءل: ألم يكن بإمكان أبي لهبٍ أن يُكَذِّبَ محمداً والقرآنَ الذي جاء به فيعُلِنَ إسلامه، ولو تظاهُراً بذلك؟؟ بلى لقد كان بإمكانه ذلك، ولكنّه لم يفعل، لماذا؟ لأنّ محمداً لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

**الشبهة العاشرة ودفعها:**

**أخذ محمدٌ الإسلام والقرآن عن مصادر بشريّةٍ وبالتحديد من اثنين من أبرز الرُّهبان والقسيّسين آنذاك، وهما ورقة بن نوفل وبحيرا سرجيوس حيث قاما بتعليمه وتلقينه ما يريدان.**

- تتكوّن هذه الشبهة من شقّين، أولهما أنّ محمداً أخذ الإسلام والقرآن عن ورقة بن نوفل وثانيهما أنّه أخذه عن الراهب بحيرا سرجيوس.

**- أما عن ورقة بن نوفل** فقد التقى به رسول الله بُعيدَ فترةٍ قصيرةٍ من نزول الوحي عليه عندما رجع من غار حراء إلى خديجة، رضي الله عنها وأرضاها، ترجُفُ بوادرهُ وقال لها: زمّلوني زمّلوني. وقد أخرج الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، هذا الحديث في صحيحه كما يلي:

عن عائشة زوج النبي قالت: كان أول ما بُدئ به رسول الله الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حُبِّبَ إليه الخلاءُ فكان يلحق بغار حراءٍ فيتحنث فيه ـ قال: والتحنُّثُ التعبُّدُ ـ الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ... فانطلقت به خديجةُ حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها وكان امرأً تنصَّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبيُ (خبر ما رأى)، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى. ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حَيّاً حين يُخرجكَ قومُك، قال رسول الله : "أو مخرجيّ هم؟" قال ورقة: نعم، لم يأت رجلٌ بما جئتَ به إلا أُوذي ـ وفي روايةٍ: عُوديَ ـ وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصراً مؤزَّراً، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفِّيَ، وفتر الوحي فترةً حتى حزن رسول الله ([[64]](#footnote-64)).

ونقول بعد أن سقنا هذا الحديث الصحيح الذي وضَّح لقاء النبي بورقة بن نوفل لمدّة قصيرةٍ جداً ما يلي:

أولاً: إن كان الرهبان الطاعنون يزعمون أنّ محمداً قد سمع وتعلّم من ورقة بن نوفل فليخبرونا على وجه التحديد ما الذي سمعه محمدٌ منه؟ ومتى كان ذلك؟ وأين كان؟؟

ثانياً: خلال ثلاثٍ وعشرين سنةً من نزول الوحي على رسول الله لم يلتقِ، عليه السلام، بورقة سوى دقائق معدودةٍ، فالرجلُ مات بعد لقائه حبيبنا المصطفى بفترةٍ قصيرةٍ، وهو لم يَعاصِر التسلسلَ الزمني والفعلي للإسلام على مدى هذه الأعوام الثلاثة والعشرين إذ أنّه "توفي في أول البعثة، فأين ورقةُ مِن سؤالٍ يسأله المشركون أو اليهود أو غيرهم للرسول فنرى الإجابة قد وجدت في حينها وجاء القرآن يشرحها ويحِّددُ موقفه منها كسؤالهم عن الأهلّة وعن الحيض وعن الخمر ... كثيراً ما كان المؤمنون أو اليهود أو المنافقون أو المشركون، يسألون عن أشياء يريدون فهمها أو عن أشياء يريدون تعجيز الرسول وإظهاره بمظهر عدم العارف ليُضعِفُوا من شخصيّته ومهابته، وكان نزول القرآن مفرقاً يتيح للرسول أن يتلقّى الرد عليهم من جبريل بما يريد الله، ولذلك نجدُ كثيراً في القرآن (يسألونك) أو (يسألك الناس)، ونجدُ الرد بعد ذلك. حتى بلغ (يسألونك) نحو خمسة عشر سؤالاً وُجِّهَتْ للرسول في أوقاتٍ مُتباعدةٍ، ونزل القرآن للرد عليها فأين هو ورقة بن نوفل من هذه الأسئلة؟ أين ورقةُ من أحداثٍ تمّت بعد وفاته وقد تحدَّثَ عنها القرآن الكريم؟ فليخبرنا هؤلاء الرهبان الطاعنون هل عاصر ورقةٌ غزوةَ الأحزاب التي تحدَّثَ عنها القرآن الكريم؟ وهل عاصر يومَ حنين الذي تحدَّثَ عنه القرآنُ؟ هل عاصر قصةَ زيد التي تحدث عنها القرآن الكريم؟ هل عاصر حادثةَ الإفك التي تحدث عنها القرآن؟ هل عاصر قدومَ وفدِ نجران والدعوة للمباهلة؟"([[65]](#footnote-65)).

ثالثاً: في القرآن الكريم آياتٌ لا توافق عقيدة المسيحية فكيف يكتبها ورقة؟ فعلى سبيل المثال: إذا كان القرآن مصدره ورقة، وورقةُ شخصٌ نصرانيٌ فكيف يُنِكرُ القرآن صلب المسيح؟

رابعاً: إنّ المشركين من أهل مكة قد دأبوا على أن يجدوا أيَّ صلةٍ أو علاقةٍ تدلُّ على كذب رسول الله فيما جاء به عن ربه؛ ولو صحّ لديهم أو شاع عندهم أنه كان يستعين ببعض أهل الكتاب لكانت تلك فرصتهم، وحجّتهم القوية على أنّهُ غير صادقٍ فيما جاء به من الوحي. ومن الثابت تاريخياً أنّ اتهامات المشركين ـ بمن فيهم اليهود ـ لم يكن فيها [أنّ محمداً استعان بعناصر من أهل الكتاب]، مع أنّ الفرصة أمام اليهود والنصارى كانت سانحةً لهم ليوجّهوا له مثل هذا الاتهام، أما وإنهم لم يفعلوا ذلك ـ مع توافر الدواعي ـ فقد دلَّ هذا على أن هذه المقولة كاذبةٌ، ولا تمتُّ إلى الحقيقة بِصِلةٍ.

ثم على فرض أن هذا الادعاء لم يكن أهل مكة يعرفونه، فمن المفروض أنَّ مصدر الاستعانة ـ لو صحَّ هذا ـ وهم أهل الكتاب كانوا موجودين زمن البعثة المحمدية، بدليل أن بعض وفود أهل الكتاب قد جاءت إلى رسول الله ، ولم ينقل إلينا التاريخُ أنَّ أحداً منهم أعلن أنَّ محمداً أخذ عنهم أو استعان بهم.

خامساً: لا يملك أيٌّ من هؤلاء الرهبان الطّاعنين أدنى دليلٍ على أنّ ورقة بن نوفل كان راهباً أو قسّيساً. وإلاّ فليخبرونا عند مَنْ درسَ المسيحية ومن الذي كان يعلّمه إياها؟ وفي أيِّ ديرٍ أو كنيسةٍ؟ ومتى كان ذلك؟ وفي أيِّ بلدٍ؟ وما هي المؤسّسة التي كان ينشرُ المسيحية من خلالها؟ ومن هم الذين تنصّروا على يديه ومتى؟؟

سادساً: ولئن كانت هذه القدراتُ كلها عند ورقة بن نوفل فلماذا لم يُعلنها هو؟ لماذا لم يُعلن للملأ عن تأليفه لكتابٍ عظيمٍ كالقرآن الكريم؟ ولماذا ترك المجالَ لمحمدٍ ليُعلنَ عنه ويصدع به؟ لماذا تركَ هذه الفرصةَ الذهبيةَ للإفصاح عن مواهبه وقدراته؟ ولماذا لم يُعلن أنّه الأستاذ وأنَّ محمداً كان تلميذاً عنده؟؟ لماذا ولماذا؟؟

إننا نؤكد في هذه الدراسة بكلِّ مسؤوليةٍ وأمانةٍ رجوعنا إلى ما كتبه الرهبان الطّاعنون قديماً وحديثاً حول تلقين وتعليم ورقة بن نوفل الإسلام والقرآن لمحمدٍ ، فما وجدنا لها أصلاً ولا دليلاً معتمَداً في أيٍّ من الكتب التاريخيّة المعتمدة. حتى أننا لم نجد اسماً لشخصٍ بعينه أو لمجموعةٍ من الأشخاص تزعم هذه المصادرُ أنها أخذتْ أو روتْ عنهم هذه الفرية، إذ أنّ الأصل أن تُبنى مثل هذه الادعاءات والافتراءات على روايةٍ أو رواياتٍ ولو لشخصٍ واحدٍ عَاصَرَ ورقةَ بن نوفل أو رآه أو سَمِعَ منه، ممّا يُثبتُ أنّ هذه الفرية لا أصلَ لها ولا دليلَ. وممّا يُثبتُ كذلك أنّها جاءت لاحقةً ومتأخِّرةً عن عصر ورقة بل وعن عصر صدر الإسلام كلّه.

**- أمّا عن الراهب بحيرا أو سرجيوس بحيرا** كما تسمّيه المصادر المسيحيّة فالحديث عنه يطولُ ويطولُ، وكُنَّا قد عرضنا في المبحث الثاني من الفصل الأول لهذه الدراسة تلخيصاً لتتبُّع المؤرخ الألماني لودفيغ هاغمان لفرية تتلمُذِ محمد على يدا بحيرا الراهب خلال فترةٍ قاربت الأربعمائة سنةٍ، حيث أكَّدت الكثير من المصادر التاريخية المسيحية هذه الحادثة ووصفت هذا الراهب بإنّه نسطوريٌ حيناً وآريوسيٌّ حيناً وإبيونيٌّ حيناً آخر!!.

أمّا بالنسبة لورود قصّة لقاء رسول الله بهذا الراهب بحيرا في المصادر الإسلامية فملخّصها ما يلي:

قال الإمام الترمذي([[66]](#footnote-66)): حَدَّثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي: حَدَّثنا عبدالرحمن بن غزوان أبو نوح: أخبرنا يونس بن أبي إسحق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالبٍ إلى الشام وخرج معه النبي في أشياخٍ من قريشٍ فلمّا أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرّون به فلا يَخرجُ إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلّون رحالهم فجعل يتخلّلهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله قال: هذا سَيِّدُ العالمين، هذا رسولُ ربّ العالمين، يبعثه الله رحمةً للعالمين فقال له أشياخٌ من قريش: ما عَلَّمَكَ؟ فقال: إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبيّ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفلَ من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلمّا أتاهم به وكان هو في رعيه الإبل قال: أرسلوا إليه. فأقبل وعليه غمامةٌ تظلّه فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلمّا جلس مال فيءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مالَ عليه قال فبينما هو قائمٌ عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا إلى الروم، فإنَّ الروم إذا رأوه عرفوه بالصِّفَةِ فيقتلونه .... الحديث".

ولقد ثارت بين العلماء نقاشاتٌ مطوّلةٌ حول مدى صحّة هذا الحديث وصلاحيته للاحتجاج به، فمنهم من أنكر صحّته ومنهم من حكم عليه بالقبول ونقد بعض متنه، ومنهم مَن أقرَّ بصحّته وصلاحيته للاستدلال به([[67]](#footnote-67)). والذي نميلُ إليه ونأخذ به في هذه الدراسة رأي الأستاذين أكرم ضياء العمري وزياد سليم العبّادي؛ فقدخلص الأستاذ العمري بعد دراسة مفصّلةٍ لهذه الرواية سنداً ومتناً إلى القول: **ويمكن أن تطمئنَّ النفسُ إلى إثبات سفره مع عَمِّه إلى بُصرى،وتحذير الراهب بحيرا لعمِّه من يهودٍ والروم بالاعتماد على رواية الترمذي، والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى.**

كما خَلُصَ الدكتور العبّادي في نهاية بحثٍ مفصَّلٍ أعدَّهُ حول هذه الرواية إلى القول: من خلال بحثي المضني والذي استقرأتُ من خلاله عشرات الكتب للوصول إلى إجابةٍ شافيةٍ، لحالة حديث بحيرا في ميزان القبول والرد، فإنني أُنبِّهُ على ما يأتي:

1. ما تطمئنُّ له نفسُ الباحث ثبوت قصة بحيرا، وإن كان ثمة نقد لبعض الألفاظ الواردة فيه، ولكنّها لا تطيح بالحديث، كما سبق بيانه.

2. جماهير العلماء أثبتوا صحة الحديث نصّاً، أو استشهدوا به في كتبهم مُقرّين له دون نقدٍ، بل أشار ابن الأثير للإجماع على قبوله، وقد يُقَبلُ ذلك منه؛ لأنني لم أجد أحداً سبقه في ردّ الحديث، وما بين وفاته ووفاة الإمام الذهبي ما يقرب من مائةٍ وأربعين عاماً.

3. الإمام الذهبي هو مّن تزَّعَم نقد الحديث، وقد انصبّ نقدهُ على المتن، وكلُّ مَن جاء بعده ناقداً للحديث؛ فإنّما كان صدىً لكلامه دون إضافةٍ هامّةٍ.

4. جميعُ الشبهات التي أُثيرتْ حول القصة أمكن الإجابة عنها بما يُثبتُ أصلَها وصحّةَ وقوعها، وفي ذلك إثبات جزءٍ هامٍ من سيرة النبيّ ([[68]](#footnote-68)).

ويُستحسنُ بعد الاستئناس برأي هذين الأستاذين الفاضلين في إثبات وقوع لقاء النبي عندما كان صغيراً ببحيرا الراهب، الردّ على الرهبان الطاعنين الذين زعموا أنّ محمداً قد تلقّن القرآن والإسلام وأخذهما عن هذا الراهب عند لقائه إياه ويتجلّى ردّنا على هذه الفرية وأصحابها فيما يلي:

1. اتّفق مؤرّخو السيرة النبويّة وعلماؤها المختصّون بها وبعلوم الحديث الشريف على أنّ النبي كان أميّاً لا يعرف القراءة والكتابة، فهل يُعقلُ أن يتلقّى صبيٌ أميٌّ في سن الثانية عشرة وفي وقتٍ قصيرٍ جدّاً القرآن كلَّه والإسلام كلّه وأن يفهم التوارة والإنجيل، ثم يقوم بحفظها وتخزينها في ذاكرته ثم يُخرجها ويُعلن عنها وهو في سنّ الأربعين؟؟ لعمري إنّ هذا إلا كلامٌ يُفترى، وإن هذا إلاِّ عُجاب.

2. لم تتجاوز الفترة التي قضاها هذا الصبي بصحبة عمِّهِ وبعض رجال قريشٍ مع هذا الراهب فترة التحضير لطعام الغداء وتناوُلِه والاستراحة بعده، ثم انطلقت قافلة قريشٍ بُعيد ذلك تسيرُ من جديد.

3. لو صحَّ أن الصبيّ محمداً قد تعلَّم عند هذا الراهب بحيرا عند لقائه إياه في بُصرى لشاع هذا الأمرُ واشتُهِرَ ولكان معلوماً في الأوساط القُرشيّة بعد رحلة العودة إلى مكة.

4. ألصقَ كفّارُ قريشٍ بمحمدٍ كلَّ أنواع التُّهم والافتراءات إلا تهمة [إنك تعلَّمتَ دينك من الراهب بحيرا] فلو أنّها وَقَعتْ فعلاً لكانت مُستنَداً بارزاً لهم في تكذيبه. ونحن نعلمُ يقيناً أنهم كانوا يتربّصون به ويحاولون أن يخلقوا له تهمةً أو شبهةً أو فريةً من لا شيء. كيف لا وهم الذين اتّهموه بأنّه يعلّمه الفتى الأعجميُّ النصرانيُّ الذي كان عبداً لبعض بني الحضرميّ والذي كان رسول الله يجلسُ معه أحياناً؟؟ "وقد كان هذا بيّاعاً عند الصّفا وكان أعجميَّ اللسان لا يعرف العربيةَ أو أنّه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يردُّ جوابَ الخطاب لا بدَّ منه، فلهذا قال الله تعالى: رادّاً عليهم [على قريش] في افترائهم ذلك (لسان الذي يُلحدون إليه أعجميٌ وهذا لسانٌ عربيٌ مبينٌ)([[69]](#footnote-69)) أي القرآن، أي فكيف يتعلّمُ مَنْ جاء بهذا القرآنِ في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامّة الشاملة... كيف يتعلمُ من رجلٍ أعجميٍّ؟؟"([[70]](#footnote-70)).

لقد اصطنع هؤلاء القرشيون فضيحةً لرسول الله لمجرّد جلوسه مع هذا العبد الأعجمي واتهموه بأنه هو الذي يعلِّمهُ القرآن والإسلام، فلنتخيّلْ كيف سيكون الأمر وردّ فعلهم لو اشتبهوا مجرّد اشتباهٍ بأنّ محمداً كان يجلس مع بحيرا ويدرس عنده!!! واضحٌ تماماً أن قريشاً لم تدّعِ ذلك مُطلقاً.

ولربما يسأل سائلٌ: إن لم تكن قريش، أبداً، قد ادّعتْ بأنّ محمداً أخذ عن بحيرا الراهب وتتلمذَ عليه فمن أين جاءت بعضُ كتب التاريخ المسيحيّة بهذا الفرية؟؟؟ إن الردّ الصريح الصحيح الذي نذكره في الإجابة عن هذا السؤال هو يوحنا الدمشقي (منصور بن سرجون بن منصور) الذي كان أوّلَ مَنْ دوَّنَ هذه الفرية في مؤلَّفه الخطير (ينبوع المعرفة) قسم (هرطقة الإسماعيلين) الذي سبقت الإشارة إليه في نهاية المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه الدراسة. نعم إنّ ما يبنيه الغرب من أكاذيب وافتراءاتٍ على الإسلام والرسول المصطفى إنما هو مصنوعٌ في الشرق أولاً ومن ثم كان انتقاله للغرب.

5. إن فرضنا جَدَلاً وجود هذا العلم الغزير المدهش كالقرآن وما تضمَّنهُ والإسلام وما اشتمل عليه، والتوراة والإنجيل عند بحيرا الراهب فلماذا يا ترى كان هذا الرجل مغموراً ولم يُشتهر أمرهُ بين الناس آنذاك؟؟؟ ثم أين موقف الكنيسة من الاهتمام به والترجمة له ولسيرته ولأعماله؟ وأين هي مؤلّفاته؟ وقبل هذا وذاك أين هي سيرتُه الذاتية من حيث تاريخ الميلاد ومكانه ومؤهّلاته العلمية والدينية اللاهوتية؟؟ كلُّها تساؤلات ستبقى من دون إجاباتٍ. ولكن لماذا؟ لأنّ بحيرا المسكين لم يكن كذلك؛ لم يكن شهيراً ولا عبقرياً ولا أستاذاً ولكنّ المتحاملين على الإسلام ورسوله الكريم حمّلوه ما لم يكن ليقدر على حمله!!! "أما بالنسبة لمعلوماتنا عن بحيرا فإنَّ المصادر لا تكاد تتفقُ على شيءٍ بشأنه، بل هي متضاربةٌ في اسمه فمرّةً جرجيس وأُخرى جرجس وثالثةً سرجيس ورابعةً معناه العالم المتبحِّر ومرّةً ينُسَبُ لقبيلة عبد القيس فهو عبقسي ومّرةً هو نصراني وأخرى يهودي"([[71]](#footnote-71))!!!.

**الشّبهة الحادية عشرة ودفعها:**

**إنّ من الأدلّة على أنّ محمداً تتلمذ على يد الراهب النّسطوري بحيرا ومن بعده ورقة بن نوفل، اللذين لقًَّناه القرآن وتعاليم الإسلام وتعاليم التوراة والإنجيل امتلاءُ القرآن الذي جاء به محمدٌ بقصص التوارة والإنجيل، وقصص الأنبياء الواردة فيهما كنوحٍ وإبراهيم وشُعيب وموسى وهارون ...**

- تكاد هذه الفريةُ تكونُ أوثق الفريات والشّبهات ارتباطاً بسابقاتها، بل إنها صادرةٌ عنها ونتيجةٌ لها؛ فالقول بأنّ القرآن الكريم منحولٌ عن التوراة والإنجيل امتدادٌ للقول بأنّ بحيرا وورقة هما اللذان لقَّنا محمداً تعاليم القرآن والتوراة والإنجيل، وامتدادٌ للقول بأنّ الإسلام هرطقةٌ مسيحيّةٌ وأنّه مزيجٌ من تعاليم التوراة والإنجيل. وهذا الكلام ليس جديداً علينا فنحنُ نسمعه يتردَّدُ في الأوساط الكَنَسيّة الغربية المعاصرة والمواقع الإلكترونية التابعة لها صباح مساء.

ولمّا جاء ذكرُ قصص الأنبياء على وجه التحديد في هذه الفرية كشاهدٍ على أخذها من التوراة والإنجيل، استلزم الأمرُ الردَّ على ما فيها من خلال عقد مقارناتٍ ولو قليلةٍ ما بين القصص القرآني والقصص الكتابيّ بعهديه القديم والجديد.

ونشيرُ في بداية ردّنا على هذه الفرية، بإنها لربّما تكون صحيحةً في حالةٍ واحدةٍ فقط، ألا وهي تطابقُ النصوص والأشخاص والمضامين والأماكن والمُسمّيات فيها. ولكنّ هذا مخالفٌ تماماً لواقع الحال، فعلى سبيل المثال نرى أنّ الإنجيل يروي قصّة آلام المسيح وحادثة إلقاء القبض عليه التي انتهت بقتله صلباً، بينما نرى القرآن الكريم يذكر قصّة عيسى عليه السلام ومعجزاته ويُنكِرُ تمام الإنكار حادثة صلبه وقتله عليه السلام.

كما أننا نرى الكتاب المقدّس في بعض نصوصه يرفع المسيح عليه السلام لمرتبة الإله في حين نرى القرآن الكريم يقرّرُ عبوديته لله تعالى، وأنّ مثَلَهُ عند الله كمثل آدم الذي خلقه اللهُ تعالى من ترابٍ ثم قال له كن فيكون. وبينما نقرأ في القرآن قصّة سليمان عليه السلام وإيمانه بالله تعالى وتوحيده له نقرأ في التوراة أنّ نساءه الكثيرات أَملنَ قلبه عن توحيد الله وأنّه جعل لنفسه آلهةً أُخرى!!!.

وحتّى تكون المسألةُ أكثرَ فاعليّةً وجدوى، فإننا سنعمدُ إلى ذكر ثلاثٍ من القصص المشهورة التي ورد ذكرها في كلٍّ من الكتاب المقدس وفي القرآن الكريم ليتبيَّنَ الأمرُ من خلالها بشكل أوضح:

**أولاً:** من خلال مقارنتنا لبشارة زكريا بيحيى عليهما السلام كما وردت في إنجيل لوقا، في إصحاحه الأول في الآيات 7 – 22 بالبشارة نفِسها كما وردت في القرآن الكريم في سُورتَيْ آل عمران ومريم، فإننا نقف على مجموعةٍ هامّةٍ من الفروق الجوهرية التي تُثبتُ استحالة أخذ القرآن الكريم لهذه القصّة عن الإنجيل. وبيان ذلك ما يلي([[72]](#footnote-72)):

1. في سورة "آل عمران" تقدم على قصة بشارة زكريا بيحيى، قصّةُ نذرِ امرأة عمران ما في بطنها خالصاً لله. في حين أنه لم يردْ ذِكرٌ لهذا في النّصّ الإنجيلي.

2. النص القرآني أخبر أن امرأة عمران ولدت أنثى؛ وكانت ترجو أن يكون المولود ذكراً، وهذا أيضاً لم يأتِ له ذِكرٌ في النصّ الإنجيلي.

3. ذكرَ النصُ القرآنيُ، كفالة زكريا للمولودة "مريم" وأخبر عن وجود رزقها عندها، وبَيَّنَ أنّ مصدر هذا الرزق هو الله. وهذا بدوره لم يرد ذكرُه في النصّ الإنجيلي.

4. رَبَطَ النصُ القرآني بين قصّة الدعاء بمولودٍ لزكريا، وبين قصّة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجودَ له في النص الإنجيلي.

5. ذكر النص القرآنيُ دعاءَ زكريا، في حين أننا لا نجدُ ذكراً لذلك في النص الإنجيلي.

6. تناول النص القرآني ما رَتَّبَهُ زكريا على هبة الله له ولياً، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. بينما لم يرد ذِكرٌ لهذا في النص الإنجيلي.

7. بيَّن النص القرآني أن السبب الذي حمل زكريا على دعاء ربه، هو خوفه الموالي من ورائه. والنصُ الإنجيليُ خالٍ من هذا تماماً.

8. صَرّحَ النص القرآني بأنّ زكريا أوحى لقومه، بأن يُسبِّحوا بُكرةً وعشياً.ولا وجود لهذا في النص الإنجيلي.

9. ذكر النص القرآنيُ الثناءَ على المولود "يحيى" وبين أنه بارٌّ بوالديه، يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً. ولا مقابل لهذا الثناء في النص الإنجيلي.

**ثانياً:** من خلال مقارنتنا لقصّة قابيل وهابيل الواردة في التوراة بالقصّة ذاتها الواردة في القرآن الكريم في سورة المائدة، فإننا نقفُ على فروقٍ هامّةٍ تنفي وبُكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ الزَّعمَ بأخذِها من التوراة، وذلك من خلال جدول المقارنة التالي:

| **القصّة كما روتها التوراة** | **القصّة كما ذكرها القرآن الكريم** |
| --- | --- |
| تُسِمّي أحد الأخوين بقابين وهو "القاتل" والثاني "هابيل" كما تصفُ القربانين وتحدد نوعهما  | لا يسميهما ويكتفي ببنوّتهما لآدم، كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددهما. |
| تروي حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخيه، وتُعلنُ غضبَ الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرضٍ بعيدةٍ.  | لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكرُ أنّ القاتل طردهُ الله من وجهه إلى أرضٍ بعيدةٍ، إذ ليس على الله بعيد.  |
| التوراة تخلو من أيِّ حوار بين الأخوين  | يذكرُ الحديثَ الذي دار بين ابني آدم، ويفصّل القول فيما صدر من القتيل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً.  |
| لا مقابل في التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟! | يذكر مسألة الغراب، الذي بعثه الله لِيرُيَ القاتلَ كيف يتصرف في جثة أخيه، ويواري عورته.  |
| تنسب الندم إلى "قابين" القاتل لمّا هّدده اللهُ بحرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعرُ بشناعة ذنبه.  | يصرح بندم "القاتل" بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.  |
| لا هدف لذكر القصة في التوراة إلا مجرّد التاريخ. فهي معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه  | يجعل من هذه القصة هدفاً تربوياً ويبني شريعة القصاص العادل عليها. ويلوم بني إسرائيل على إفسادهم في الأرض بعد مجئ رسل الله إليهم.  |

**ثالثاً:** وآخر هذه القصص الثلاث قصّة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز. وتفاصيل الفروق فيها ما يلي:

| **القصّة كما روتها التوراة** | **القصّة كما ذكرها القرآن الكريم** |
| --- | --- |
| المراودة حدثت مراراً. ونُصحُ يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة  | المراودة حدثت مرّةً واحدةً، اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفّذ رغبتها.  |
| تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إنّ يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب، وانتظرت هي قدوم زوجها وقصّت عليه القصة بعد أن أعلمتْ بها أهل بيتها  | يشيرُ إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هَمَّ بالخروج، فقدَّتْ ثوبه من الخَلف، وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزيز يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى في الحال |
| لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزيز ولم يدافع يوسفُ عن نفسه لدى العزيز  | يوسف كان موجوداً حين قَدُمَ العزيز، وقد دافعَ عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هي راودتني عن نفسي. |
| تخلو من حديث الشاهد وتقول إنّ العزيز حميَ غضبه على يوسف بعد سماع المرأة  | يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد، كما يذكر اقتناع العزيز بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتثبيت يوسف على العفة والطهارة. |
| تقول إنّ العزيز في الحال أمر بوضع يوسف في السّجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته. | يشير إلى أنّ القرار بسجن يوسف كان بعد مداولةٍ بين العزيز وحاشيته.  |
| تخلو من حديث النسوة اللاتي لُمْنَ امرأة العزيز على مراودتها فتاها عن نفسه، وهي فجوةٌ هائلةٌ في نصِّ التوراة.  | يذكرُ حديث النسوة بالتفصيل، كما يذكر موقف امرأة العزيز منهنّ ودعوتها إياهنّ ملتمسةً أعذارها لديهنَّ ومُصِرةً على أن يُنفّذَ رغبتها. |

هذه ستة فروقٍ بارزةٍ بين ما يورده القرآن الكريم وما ذكرته التوراة. والنظرُ الفاحص في المصدرين يُرينا أنهما لم يَتّفقا إلا في "أصل" الواقعة من حيث هي واقعة وكفى "ثم إن القرآن والتوراة بعد هذا يختلفانِ في كلِّ شئٍ، على أنّ القرآن قام هنا بعملين جليلي الشأن:

**أولهما:** أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة، ومن أبرزها هذا الجديد:

1. حديث النسوة وموقف المرأة منهن.

2. شهادة الشاهد الذي هو من أهل امرأة العزيز.

**ثانيهما:** تصحيح أخطاءٍ وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

1. لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكنّه قُطِعَ من الخلف.

2. غياب يوسف حين حضر العزيز وإسقاطها دفاعه عن نفسه"([[73]](#footnote-73)).

لقد كانت فرية أخذ محمدٍ للقصص القرآني من التوراة والإنجيل واحدةً من الفريات والادّعاءات الأكثر إزعاجاً واستفزازاً للمسلمين في الوقت الحاضر، وذلك كما أسلفنا، لأنّ الرهبان الطاعنين لا يملّون من تكرارها وترديدها على الدّوام، مما دفع ببعض المفكّرين المسلمين لوضع كتابٍ متخصِّصٍ في الردّ عليها، وقد كان في مقدمة هؤلاء المفكرين الأستاذ عبد الجواد المحص. وقد كان ممّا دحض به هذا الأستاذ هذه الفرية إيراده للعديد من القصص الذي انفردَ به القرآن أو خالف فيه التوراة والإنجيل، ومن ذلك ما يلي([[74]](#footnote-74)):

1. ما جاء في القرآن الكريم من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس عن هذا السجود.

2. ما ورد في القرآن الكريم من قصص إبراهيم الخليل، عليه السلام،مع قومه وتحطيمه لأصنامهم ونظرته في النجوم، وحجاجه مع قومه، ومحاولتهم إحراقه في النار، وإسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام، واشتراكه هو وابنه إسماعيل في رفع القواعد من البيت وبناء الكعبة.

3. ما قَصَّهُ علينا القرآن الكريم من محاورة بينَ نوحٍ وابنه الكافر، وعدم ركوب ابنه في السفينة وغرقه، ومحاورة نوح مع الله في ذلك.

4. ما قَصَّهُ القرآنُ الكريم عن خبر سحرة فرعون والتقام العصا، التي انقلبتْ حيّةً، لحبالهم وعصيِّهم، وسجودهم وإيمانهم برب هارون وموسى، ومحاورتهم مع فرعون.

5. السامريّ الذي صنع العجل لبني إسرائيل في حين أنّ التوراة تذكرُ أنه هارون عليه السلام.

6. ما قَصّهُ القرآن الكريم عن الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، ودافعَ عن موسى حين همّوا بقتله، وذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى فنصحَ موسى بالخروج من أرض مصر.

7. القرآن الكريم يذكر أنّ بناتِ الشيخ المدْيَنيِّ اثنتان، في حين أنَّ التوراة تذكر أنهن سبع.

9. أمر الله لقوم موسى بدخول الباب سُجَّداً ومخالفتهم لهذا الأمر.

10. قصّة أصحاب السبت ومسخهم قردةً بعد أن اعتدوا فيه.

11. ما قَصَّهُ القرآن الكريم من تسخيرِ الله الشجر والطير والحديد لداود عليه السلام.

12. تسخير الجنّ والريح لسليمان عليه السلام.

13. قصة الهدهد، وكتاب سليمان لملكة سبأ وإسلامها وإحضار عرشها بلمح البصر مِن قِبَلِ الذي عنده علم الكتاب.

14. كلام عيسى في المهد.

ولا ندري بماذا يُجيبُ الرهبان الطّاعنون على ورود هذا العدد الكبير من القصص في القرآن الكريم وعدم وروده في كتابهم المقدَّس؟ ولا ندري كيف يجيبُ هؤلاء على إمكانية اطلاع بحُيرا لمحمّدٍ على هذا العدد الكبير من القصص والكمّ الهائل الذي حوته من التفاصيل خلال ساعةٍ من الزمان تناولوا فيها طعام الغداء؟؟

ولمن يتساءلون عن سبب ورود بعض هذه القصص في القرآن الكريم وفي التوراة والإنجيل بالرغم من تباعد الأزمان بينهم نقول: إنَّ ذلك راجعٌ لوحدة المصدر الذي صدرت عنه هذه الكتب الثلاثة ألا وهو الله تبارك وتعالى، الذي أوحى بها إلى أنبيائه ورسله ليبلّغوها أقوامهم، فمنها ما حُفِظَ كما نَزَل، ومنها ما تعرّض للزيادة والنقصان بما كسبته أيدي البعض.

ونُلَخِّصُ في نهاية الردّ على شبهة وفرية أخذ القرآن للقصص من الكتاب المقدس بالقول: إنّ القرآن الكريم لم يقفْ ولو في واحدٍ من هذه القصص عند حدود ما ذكره الكتاب في مواضع التشابه بينهما؛ حيث أنَّ القرآن الكريم عرض هذه القصصَ عرضاً يختلفُ تماماً عن عرض الكتاب المقدَّس لها، كما أنَّ القرآن الكريم عرضَ قصصاً جديدةً لم يعرفها الكتاب المقدّس في المواضع المشتركة بينهما. وأخيراً فقد انفرد كتابُ الله العزيز بذكر قصصٍ خاصةٍ به لم ترد في أيِّ مصدرٍ سواه.

**الشّبهة الثانية عشرة ودفعها**

**نشر محمدٌ دينهُ بقوّة السّيف والسلاح، وأجبرَ الكثيرين على اعتناقه، وبالذات مَن كانوا يهوداً أو مسيحيّين، ثم قام أصحابه الذين حكموا من بعد بالسّير على هذا النهج أزماناً طويلةً. وها هو الإسلام في القرن الحادي والعشرين مرتبطٌ ذِكرُه على الدّوام بالعنف والتهديد والإرهاب.**

- تحتلُ هذه الشبهة مركز الصدارة في مجال الحرب الإعلاميّة التي تستهدفُ تشويه صورة الإسلام قديماً وحديثاً. وقد كان الترويج لها مقدّمةً هامةً في حثّ الشعوب الأوروبية لشنّ الحروب الصليبيّة على العالم الإسلامي. ونرى في واقعنا المعاصر العديد من البرامج والأفلام المُتلفَزَة والسينمائيّة التي تخصّصت في نشر هذه الفرية والترويج لها. حتّى بات ذِكرُ الإسلام، وللأسفَ، مقترناً في كثيرٍ من الأحيان بالعنف والإرهاب. والفضلُ في ذلك كلِّه راجعٌ، وبكلِّ تأكيدٍ، لما خَطَّتْهُ أيدي الرهبان الطاعنين الذين ساقوا شعوبهم إلى الموت في الحروب الصليبيّة بهدف القضاء على الإسلام.

وهذه الشبهة مركَّبةٌ من ثلاثة عناصر خطيرةٍ تستلزم منا دقّة الردّ، وهي:

1. انتشر الإسلام بقوّة السّيف السلاح، وعن طريق الجهاد فقط.

2. أجبر المسلمون غير المسلمين من اليهود والمسيحيين على الدخول في الإسلام عنوةً.

3. الإسلام مرتبط بالعنف والتهديد والتخويف (الإرهاب).

**- أما بالنسبة لشُبهة انتشار الإسلام بقوّة السّيف والسلاح والجهاد فقط فتدحضها الحقائق التالية:**

يُطلق لفظ الجهاد غالباً على القتال، مع أنّ القتال ليس سوى صورةٍ واحدةٍ من الصِّور التي يتجلّى فيها الجهادُ وتُعبِّرُ عنه. فالصبرُ على الأذى جهاد، والتربية الإيمانية جهاد، والثبات على الابتلاء جهاد، ومجاهدة النفس ومنعها عن الرذيلة والمعاصي جهاد، والتبرع بالمال لتجهيز جيوش المسلمين جهاد وكذا إمدادهم بالمؤونة والطعام والشراب. وإقامة الحجج العقلية والنقلية على غير المسلمين في دعوتهم للإسلام جهاد. "والجهادُ ليس أحد أركان الإسلام الخمسة. وخلافاً للراي السائد في الغرب فهو أيضاً ليس دعامةَ الإسلام المحورية. لكن يظل من واجب المسلمين أن يلتزموا بالنِّضَال على جميع الجبهات، الأخلاقية منها والسياسية والروحية من أجل خلق مجتمعٍ عادلٍ كريمٍ جديرٍ بالاحترام، يعيش فيه الإنسان وفقاً لإرادة الله، ولا يُستَغَلُّ في ظله الفقراء وغيرُ المحصَّنين. وقد يكون الحرب والقتال ضرورةً في بعض الأحيان، لكنّ ذلك جزءٌ ثانويٌّ من الجهاد أو النِّضال. وهناك حديث مرويٌّ عن محمد لدى رجوعه من إحدى المعارك حيث قال ما معناه: "لقد عُدنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر"، أيْ أنَّ الجهد الأكثر صعوبة وحسماً هو هزيمة قوى الشر في نفس الإنسان، وفي مجتمع الإنسان في جميع تفاصيل الحياة اليومية"([[75]](#footnote-75)).

وهنا نذكِّرُ القارئ الكريم بأنّ الأصل في الدّعوة إلى الإسلام هو قيامُها على قوله تعالى: " ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"([[76]](#footnote-76)). وهي دعوةٌ سليمةٌ يقوم المسلمون بنشرها في العالم كلّه دون الوقوف عند حدودٍ جغرافيةٍ أو مكانيةٍ أو زمانيّةٍ أو لغويةٍ أو عرقيّةٍ.

فدعوة الإسلام دعوةُ الحقّ، تصلح للسريان والتطبيق في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ولكنّ هناك الكثير من العقبات والصّعوبات والعوائق التي يصنعها أعداء هذا الدِّين ليجعلوا منها حواجز ماديّةً تحول دون وصول دعوة الإسلام إلى الناس، ومن هنا كان الجهاد الوسيلة الأبرز لإزالة هذه العقبات والحواجز وتذليلها، وذلك لضمان وصول دعوة الإسلام للناس، وإعطائهم بالتالي الحريّة الكاملة في الاختيار بقبول الإسلام أو رفضه. ولا يصحُّ أبداً إكراههم على قبوله بأيِّ شكلٍ أو صورةٍ، وذلك حتى يكون رضاهم به، إن هم اختاروه، قائماً على الرضى الكامل والقناعة التي لا تتزعزع "وهكذا فإنَّ محمداً لم يفكِّرْ في مُلكٍ ولا في مالٍ ولا في تجارةٍ وإنّما كان كلُّ همّه توفير الطمأنينة لمن يتبعُ رسالته، وكفالة الحريّة لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم. وهذه الوجهة في التفكير هي التي نزل بها الوحي على محمدٍ منذ الهجرة وهي التي جعلته جَنُوحاً للسلم راغباً عن القتال مقتصداً طول حياته اشد القصد فيه غير لاجئٍ إليه إلا لضرورةٍ تقتضيه دفاعاً عن الحرية والدين والعقيدة. ثم ألم تكُنْ أول آيةٍ في القتال: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ"([[77]](#footnote-77)) والآية بعدها: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للَّهِ"([[78]](#footnote-78)) فتفكيرُ محمدٍ إذاً أنّما كان مُتَّجهاً لغايةٍ واحدةٍ عليا وهي كفالةُ حرية العقيدة والرأي كفالةً في سبيلها وحدها أُحِلَّ القتالُ ودفاعاً عنها أُبيحَ دفعُ المعتدي حتى لا يفُتَنَ أحدٌ عن دينه ولا يُظَلمَ أحد بسبب عقيدته أو رأيه!([[79]](#footnote-79)).

ولعمري، لو كان السيف والجهاد هو السبيل الوحيد لنشر الإسلام، كما زعم الرهبان الطاعنون، لارتدَّتْ كلُّ القرى والمدن والبلدان التي فتحتها جيوشُ الإسلام بمجّرد رحيل هذه الجيوش عنها، وهذا ما تكذّبُه الحقائق التاريخيّة دون استثناء. ولو كان كلامنا خاطئاً فإننا نتحدّى الرهبان الطاعنين أن يأتونا ولو باسم بلدٍ واحدٍ من بلاد غير المسلمين ارتدَّ أَهلُه بعد رحيل جيوش الإسلام عنه. و لازالت إسبانيا. التي شنّت جيوشها حملات الاضطهاد والتنصير ومحاكم التفتيش على المسلمين بعد انهزام الجيوش الإسلامية فيها، لا زالت أصدقَ شاهدٍ على استمرارية وجود عشرات الآلاف من المسلمين المورسيكيين والإسبان فيها إلى يومنا هذا.

ثمّ لو أننا سلّمنا بصدقِ مقولة انتشار الإسلام بالسيف فبماذا نُعَلِّلُ إسلام عشرات الآلاف من الأوروبيين والأمريكيين كلَّ عامٍ في وقتنا الحاضر؟؟ وقد ذهب عن المسلمين جيشُهم وتلاشت عزيمتهم وتشتَّتَ شملهم ولم تقم لسيفهم قائمةٌ منذ مئات السنين؟؟ هل دخل هؤلاء الأوروبيون والأمريكيون الإسلام بقوّة السّيف والسلاح والجهاد؟؟ طبعاً لا. "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ"([[80]](#footnote-80)).

ولو فرضنا جدلاً صحَّةَ مقولة الرهبان الطاعنين بأنّ الإسلام انتشر قديماً بالسّيف والسلاح والجهاد فقط، عن طريق جيوشه الجرّارة فبماذا يجيبُنا هؤلاء على انتشاره في عشرات الدّول والبلدان التي لم تدخلها جيوش المسلمين ولم تصلها قطّ كالصين وماليزيا واندونيسيا ونيجيريا والهند ...؟؟؟

وللمُصَمّمين من هؤلاء الطاعنين على السؤال عن غايات الجهاد والهدف من تشريعه إن لم يكن لنشر الإسلام بالقوّة، نقول: إنّ القتال في الإسلام ليس محبوباً ولا مطلوباً لذاته، وهو أمرٌ تكرهه النفوس وتستثقله، قال تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ"([[81]](#footnote-81)).

ولئن كان القتال مما تكرهه النفوس، ولئن كان غير مطلوبٍ لذاته، فقد شُرع لفوائد وحكمٍ كثيرةٍ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الفائدتين التاليتين:

**أولاً:** الدّفاع عن المظلومين والمُستضَعفين في الأرض من المسلمين. ولعلَّ هذا واضحٌ تمام الوضوح في قوله تعالى " وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيراً \* الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً"([[82]](#footnote-82)).

"فقد أمر الله تعالى المسلمين أن يُقاتلوا دفاعاً عن مُستضعفين مؤمنين كانوا بمكّةَ ولا يستطيعون أن يخرجوا منها. قال ابن عباس: كُنتُ أنا وأميّ من المُستضعَفين"([[83]](#footnote-83)).

**ثانياً:** حمايةُ الإسلام، ومنعُ فتنة المسلمين والاعتداء عليهم في دينهم. فالتاريخ والحاضر يخبراننا أن أمّة لا تستطيعُ أن تحفظ كرامتها وتصون عقيدتها وتحميَ بلادها وأبناءها دون أن تملك قوّةً تكفل لها ذلك. والجهادُ في ديننا إنما يُمثِّلُ ويجسِّدُ هذه القّوة، قال تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للّه"([[84]](#footnote-84)) "عن نافعٍ أنّ رجلاً أتى ابنَ عمر فقال: ... كان الإسلام قليلاً وكان الرجلُ يُفتنُ في دينه إمّا قَتَلوه أو عَذَّبوه حتّى كَثُرَ الإسلامُ فلم تكن فتنة"([[85]](#footnote-85)).

ويُثبتُ صحّة ما ذهبنا إليه من سلمية الدّعوة إلى الإسلام أنّ رسول الله لمَّا دخل مكّة فاتحاً على رأس جيشٍ يفوق العشرة آلافٍ من المقاتِلين، عفا عن أهلها الذين ظلموه وعذّبوه وعذّبوا أصحابه وأخرجوهم من ديارهم بقوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" مع أنّ الغالبية العظمى من هؤلاء (الطلقاء) كانوا على شركهم وكفرهم آنذاك.

إنّ سلمية الدّعوة إلى الإسلام وكراهية القتال والحرصَ على دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحَسَنة يشهد له الأمران التاليان:

**أولاً:** نهى النبي عن قتل النسّاء والصّبيان والشيوخ. روى الإمام مسلم عن ابن عمر قال: "وُجدَتْ امرأةٌ مقتولةٌ في بعض مغازي رسول الله ، **فنهى رسول الله عن قتل النساء والصبيان"([[86]](#footnote-86))**. وأخرج ابن أبي شيبة عن أنسٍ قال: "كنّا إذا استنفرنا نزلنا بظهر المدينة حتّى يخرج إلينا رسولُ الله فيقول: **انطلقوا باسم الله وفي سبيل الله تقاتلون أعداء الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلّوا"([[87]](#footnote-87)).**

إننا نذكر هذا الحديث الشريف، فيما يقابله على الطرف الآخر ما يزيد على خمسة عشر نصاً صريحاً في العهد القديم تبيح كلُّها، بل توجبُ أحياناً، قتل النساء والأطفال والرّجال الشيوخ من غير بني إسرائيل. ونذكرُ منها على سبيل المثال ما يلي:

1. "وقال له الربُّ اعبُرْ في وسط المدينة في وسط أورشليم وَسِمْ سمةً على جباه الرجال الذين يئنّون ويتنّهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها (5) وقال لأولئك في سمعي اعبروا في المدينة وراءه واضربوا، لا تُشْفِقْ أعينُكم ولا تعفوا (6) الشيخَ والشابَّ والعذراءَ والطفلَ والنساءَ اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسانٍ عليه السمة وابتدئوا من مقدسي فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت (7) وقال لهم نجِّسوا البيت واملأوا الدُّورَ قتلى اخرجو فخرجوا وقُتِلُوا في المدينة"([[88]](#footnote-88)).

2. "اذهبوا واضرِبوا سكّانَ يابيش جلعادَ بحدّ السّيف مع النساء والأطفال (11) وهذا ما تعلمونه تُحرِّمون كلِّ ذكَرٍ وكلَّ امرأةٍ عرفت اضطجاع ذكر"([[89]](#footnote-89)).

3. "وتُحَطَّمُ أطفالَهم أمام عيونهم وتنهبُ بيوتهم وتُفْضَحُ نساؤهم"([[90]](#footnote-90)).

4. "تُجازى السامرةُ لأنّها تمرّدتْ على إلهها، بالسّيف يَسقطون تُحَطَّمُ أطفالُهم والحواملُ تُشَقُّ"([[91]](#footnote-91)).

**ثانياً:** تَمَيَّزَتْ حروب النبي بخلّوها من الدموّية، والرغبةِ في الثأر والانتقامِ والعملِ المقصود على إبادة الشعوب أو القرى أو المدن. كما تميزّت بقلّة عدد شهداء المسلمين وقلّة عدد قتلى المشركين في المعارك التي خاضوها ضد رسول الله . وذلك على العكس تماماً من الحروب والمعارك التي ذكرَ الكتابُ المقدّس أن أنبياء وملوك بني إسرائيل قد خاضوها وأبادوا فيها الكثير من القبائل والمدن والقُرى، وذلك، كما يزعمون، بأمرٍ من الربّ([[92]](#footnote-92)).

ونشيرُ هنا إلى المجهود المُضني الذي يستحقُّ كلَّ الثناء والتقدير الذي قام به الأستاذ الدكتور راغب السّرجاني في دراسته التي عنونَ لها بـِ "عدم دمويّة الحروب النبويّة"([[93]](#footnote-93))، وكان من خلاصة هذه الدراسة القيّمة ما يلي:

"لقد بلغ عدد شهداء المسلمين في كلِّ معاركهم أيام رسول الله ، وذلك على مدار عشر سنواتٍ كاملةٍ، 262 شهيداً، وبلغ عدد قتلى أعدائه 1022 قتيلاً. وقد حرصتُ في هذه الإحصائية على جمع كُلِّ مَن قُتلَ من الطرفين حتى ما تمَّ في حوادث فردية. وليس في حروب مواجهةٍ، كما أنني حرصتُ على الجمع من الروايات الموثّقةِ بصرف النظر عن الأعداد المذكورة، وذلك كي أتجنَّبَ المبالغات التي يقع فيها بعضُ المحققين بإيراد الروايات الضّعيفة التي تحمل أرقاماً أقلَّ، وذلك لتجميل نتائج الحروب النبوية! وبذلك بلغ العدد الإجماليّ لقتلى الفريقين 1284 قتيلاً فقط!!!

ولكي لا يتعلل أحدٌ بأنَّ أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة ولذلك جاء عدد القتلى على هذا النحو، فإنني قمتُ بإحصاء عدد الجيوش المشترِكة في المعارك، ثم قمتُ بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد الجيوشن فوجدتُ ما أذهلني!! إنَّ نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ 1% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم 2%! وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي 1.5% فقط!.

إنّ هذه النِّسَبَ الضئيلة في معاركَ كثيرةٍ بلغت 25 أو 27 غزوة، و38 سرية، أي أكثر من 63 معركة، لَمِنْ أصدقِ الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده "([[94]](#footnote-94)).

ونضعُ بين يدي القارئ الكريم بعض الحقائق التاريخية التي تحفظُها ذاكرة التاريخ والحاضر التي رواها "ريمون داغويليه" الذي كان واحداً من المقاتِلين في الجيوش الصليبية التي احتلت القدس في الخامس عشر من شهر تموز عام 1099م، والذي وثّقت الكثيرُ من المصادر التاريخية المسيحية روايَتَه على أنها روايةُ شاهدِ عيانٍ على دخول جيوش الصليبيين إلى القدس. وروايته هي التالية**([[95]](#footnote-95)):**[وشاهدنا أشياءً عجيبةً، إذا قطعت رؤوسُ عددٍ كبيرٍ من المسلمين، وقُتل غيرهم رمياً بالسهام، أو أُرغموا على أن يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج. وظلّ بعضهم الآخر يُعذَّبون عدّة أيامٍ، ثم أُحرقوا في النار. وكنتَ ترى في الشوارع أكوامَ الرؤوس والأيدي والأقدام، وكان الإنسان أينما سار فوق جواده يسير بين جثث الرجال والخيل. بيد أنَّ هذا كلَّه لا يُعدُ شيئاً بالمقارنة مع ما حصل في هيكل سليمان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] حيث تُقام عادةً خدمة القدّاس. فماذا حصل هناك؟ أخشى إن انا أخبرتكم بالحقيقة أن لا تصدقوها لذلك حسبي أن أقول لكم على الأقل إنه في هيكل سليمان [يقصد المسجد الأقصى المبارك] ورواقه غاص الرجال حتى الرُّكَب وأعنّة الخيل في الدماء. **وقد كان حُكماً إلهياً عادلاً ورائعاً أن يمتلئ هذا المكان بدماء الملحدين، وهو الذي عانى طويلاً من تجديفاتهم وتدليساتهم.** لم تكن تلك المقتلةُ مجردَ معركةٍ عاديةٍ من معارك الفتوحات، فقد هجم الصليبيون على مسلمي بيت المقدس وأعملوا في رقابهم السيف كأنهم ملائكةُ الانتقام في سفر الرؤيا. كان ذلك حُكماً أصدره الربّ بذاته. وكان خلاصاً يُشبه الخلاص الذي اجترحه الربُّ في البحر الأحمر حين فتك بجيش المصريين عن بكرة أبيه. بل كان فصلاً عنيفاً وقاطعاً ما بين العدل والظلم لقد أضحت الحملة الصليبية بحقٍّ حرباً مقدسةً. والرحلة المقدسةُ انتهت بمعركة الخير ضد الشر، أباد فيها جنود المسيح زهاء 40 ألفاً من المسلمين في ظروف يومين..].

إنّ مرض فقدانِ الذاكرة المؤقّتِ عاد لِيُلازمَ الرهبان الطاعنين في هذا الفصل من جديدٍ، فهم يكبّرون ويضخّمون قضّية الجهاد والسيف في الإسلام وينسون، بل يتناسون تماماً، قضيّة الحرب المقدَّسةِ (أو الحرب العادلة) والسّيف في المسيحية. "وكان القديس أوغوسطينوس قد أجازَ الجهاد في سبيل الله، فتبعه البابا لاوون الرابع (847 – 855) فأكَّدَ الثواب لمن يسقط مدافعاً عن الكنيسة. وجاء يوحنا الثامن (872 – 882) فاعتبر المجاهدين شهداء. وأباحَ البابا نيقولاووس الأول (858 – 867) حملَ السلاح في وجه الكَفَرَةِ لكلَّ من أَخطأَ ووقع تحت الحرم. ولم يعبأ الآباء الغربيون باجتهاد باسيليوس الكبير وامتناعه عن مناولة المحارِبين ثلاث سنواتٍ متتاليةٍ فحضّوا المؤمنين على حمل السلاح في وجه المسلمين. ومنح البابا الكسندروس الثاني الغفران لجميع المجاهدين في إسبانية وشجع غريغوريوس السابع في السنة 1080 حملة غوي جوفروا على إسبانية. وحذا حذوه أوربانوس الثاني فحض حجاج القبر المقدَّس على استبدال الحج بالعمل المثمر لتحرير إسبانية من المسلمين وإعادة بنائها.

وهكذا فإنه عندما دعا الوفد البيزنطي الآباءَ إلى التعاون في سبيل الدفاع عن الكنيسة الجامعة في الشرق كانت فكرة الحرب المقدَّسة قد ظهرت إلى حيِّز الوجود في الغرب وكانت الكنيسة الغربية قد باركَتْها ونشّطتها. فوقع نداء الشرق في نفس أوربانوس الكبيرة موقعاً جليلاً. وأطرق يفكّر، فمرّتْ مواقف أسلافه أمام عينيه مرور البرق فصَّمم أن يقدّم للمسيحية في الشرق أكثر بكثيرٍ مما طلب وفدُ اليكسيوس الفسيلفس"([[96]](#footnote-96)).

وقد سبق لنا في هذه الدراسة الوقوف طويلاً عند كيفية تشريع القديس أوغسطين للحرب المقدّسة (الحرب العادلة) في المسيحية وتطوير توما الأكويني لها ووضعه للشروط الخاصّةٍ بها([[97]](#footnote-97)).

ونرى من المناسب في نهاية دحضنا لشبهة انتشار الإسلام عن طريق السّيف والسلاح والجهاد، أن نسوق شهادةً لواحدٍ من أبرز الدارسين المسيحيين للإسلام، ألا وهو الدكتور غوستاف لوبون لنرى ماذا يقول عن انتشار الإسلام بالسيف والسلاح والجهاد ... لقد ضمَّنَ لوبون رأيه الصريح في هذا الموضوع في كتابه "حضارة العرب" حيث كانت خلاصة ذلك ما يلي:

**"وسيرى القارىء، حين نبحثُ في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم، أنَّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن "الإسلام"، فقد ترك العربُ المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعضُ الأقوامِ النصرانيةِ الإسلامَ واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل.**

**وقد أثبتَ التاريخُ أنّ الأديان لا تُفرض بالقوة، فلمَّا قهر النصارى عربَ الأندلس فضَّل هؤلاء القتلَ والطردَ عن آخرهم على ترك الإسلام ... لم ينتشر الإسلام بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوبُ التي قهرت العربَ مؤخراً كالترك والمغول. وبلغ القرآن من الانتشار في الهند، التي لم يكن العربُ فيها غيرَ عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نَفْسٍ فيها، ولم يكن القرآن أقلَّ انتشاراً في الصين التي لم يفتح العربُ أيَّ جزءٍ منها قط"([[98]](#footnote-98)).**

"وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبةً، ولا سيّما الأمم النصرانية ، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقفُ النظرَ ويناقضُ سلوكَ الأمم الأخرى، ولا سيما الأمم الأوروبية أيّامَ الحروب الصليبية ... الحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم"([[99]](#footnote-99)).

**- أمّا عن شبهة إجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام فتدحضها وتردّ عليها الحقائق التالية:**

**أولاً:** قوله تعالى: " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"([[100]](#footnote-100)). وقد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما يفسِّرُها ويوضِّحُ المقصودَ منها والحكم الذي تدلُّ عليه ألا وهو عدم جواز إكراه وإجبار غير المسلمين على الدخول في الإسلام. "أخرجَ ابنُ اسحق وابن جريرٍ عن ابن عباس في قوله " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" قال: نزلت في رجلٍ من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيّان، وكان هو رجلاً مُسلماً، فقال للنبيِّ ألا أستكرهُهما فإنّهما قد أبيا إلاّ النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك.

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيدة "أنّ رجلاً من الأنصار من بني سالم ابن عوف كان له ابنان تنصّرا قبل أن يُبعثَ النبي ، فقدما المدينة في نفرٍ من أهل دينهم يحملون الطعام، فرآهما أبوهما فانتزعهما وقال: واللهِ لا أَدَعُهُمَا حتى يُسلما، فأبيا أن يُسلما، فاختصموا إلى النبي فقال: يا رسول الله أيدخل بُعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله " لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" الآية. فخلى سبيلهما"([[101]](#footnote-101)).

**ثانياً:** قوله تعالى: " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ \* لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ"([[102]](#footnote-102)). فقد وضَّحتْ هذه الآية الكريمة وظيفةَ الرسول وهي دعوة الناس إلى الإيمان بالله تعالى دون أيِّ نوعٍ من الإكراه أو الإجبار وقد جاء في تفسيره هذه الآية الكريمة ما يلي:

"أي فذكِّرْ يا محمدُ الناسَ بما أرسُلتَ به إليهم "فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب" ولهذا قال " لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ"، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما "لستَ عليهم بجبّارٍ" أي لستَ تخلق الإيمان في قلوبهم. وقال ابن زيدٍ لستَ بالذي تكرههم على الإيمان"([[103]](#footnote-103)).

**ثالثاً:** مجيء عشرات الوفود من القبائل العربية وعلى رأسها سادتها وزعماؤها طواعيةً إلى المدينة المنوّرة لمقابلة الرسول وإعلان إسلامهم في العام التاسع للهجرة والذي سُمّي بسبب ذلك عام الوفود

**رابعاً:** استقبال النبي لوفد نصارى نجران الذي "كان يتكوَّنُ من أشرافهم وساداتهم وعلى رأسهم عبد المسيح وأبو الحارث بن علقمة، وقد دعاهم رسول الله إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا"([[104]](#footnote-104)). وقرروا البقاء على دينهم وصالحهم النبي على أن يدفعوا الجزية وأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح لتحصيلها.

**خامساً:** إن كان المسلمون قد أَجَبروا غيرهم على الدخول في الإسلام فبماذا نعلِّلُ وجودَ عشرات الآلاف منهم يعيشون في بلاد المسلمين وبين ظهرانيهم في سلامٍ وأمانٍ منذ صدر الإسلام حتّى يومنا هذا؟؟

**سادساً:** يدحضُ هذا الفريةَ كتابُ رسول الله لأهل نجران النصارى. وهذه مقتطفاتٌ من أبرز ما ورد فيه([[105]](#footnote-105)): "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتبَ محمدٌ النبيُّ رسول الله لأهل نجران ـ إذ كان عليهم حكمهُ ـ في كلّ ثمرةٍ وفي كلّ صفراء وبيضاء ورقيق، ولنجران وحاشيتها جوارُ الله وذمّةُ محمدٍ النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملّتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبِيَعِهِم وكل ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثير، لا يُغَيَّرُ أسقفٌ من أسقفيته ولا راهبٌ من رهبانيته ولا كاهنٌ من كهانته وليس عليه دنّيةٌ. ولا دمُ جاهليةٍ، ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضَهم جيشٌ. ومَن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصَفُ غير ظالمين ولا مظلومين. ومن أكل رِباً من ذي قيلٍ فذّمتي منه برئيةٌ. ولا يؤخذُ رجلٌ منهم بظلمِ آخر وعلى ما في هذا الكتاب جوارُ الله وذمةُ محمدٍ النبي رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مُنفلتين بظلمٍ. شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر والاقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شعبة. وكتبَ لهم هذا الكتابَ عبدُ الله ابن أبي بكر".

**سابعاً:** ويدحضُ هذه الفريةَ كتابُ خليفة رسول الله أبي بكرٍ الصدّيق لنصارى نجران بعد وفاة رسول الله . وهذه مقتطفاتٌ من أبرز ما ورد فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتبَ به عبدُ الله أبو بكر خليفة محمّدٍ النبيّ رسول الله لأهل نجران، أجارهم بجوار الله وذمّة محمّدٍ النبي رسول الله على أنفسهم وأرضيهم وملّتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبِيَعِهَم، وكلِّ ما تحت أيديهم من قليلٍ أو كثيرٍ. لا يُخَسَّرون ولا يُعَسَّرون، ولا يُغَيَّرُ أُسقفٌ من أسقفيتّه ولا راهبٌ من رهبانيته وفاءً لهم بكلِّ ما كتب لهم محمّدٌ النبي . وعلى ما في هذه الصحيفة جوارُ الله وذمّةُ محمدٍ النبي أبداً. وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحقّ. شَهِدُ المستوردُ بن عمرو أحد بني القين وعمرو مولى أبي بكر وراشد بن حذيفة والمغيرة وكتب"([[106]](#footnote-106)).

وقد كتب عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه في عهد ولايته كتاباً مشابهاً لهذا الكتاب لنصارى نجران.

**ثامناً:** ويبلغ التسامحُ مع غير المسلمين الذين يعيشون في كنف ديار الإسلام قِمَّتهُ في موقفٍ لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عندما مرّ بعجوزٍ يهوديٍّ ضريرٍ لا يقدرُ على الكسب وجعل له من بيت المال سهماً. "مرَّ عمرُ، رضي الله عنه، بباب قومٍ وعليه سائلٌ يسأل: شيخٌ كبيرٌ ضريرُ البصر، فضرب عضده من خَلفهِ وقال: من أيِّ أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأكَ إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسنّ. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيءٍ من المنزل. ثم أرسلَ إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءَهُ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذلهُ عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه"([[107]](#footnote-107)).

**تاسعاً:** وهذا جزأٌ من كتاب سيف الله المسلول خالد بن الوليد، رضي الله عنه، للنصارى من أهل الحيرة وكان عددهم ستّة آلاف رَجُلٍ آنذاك. ذكَرَ فيه رفضهم الدخول في الإسلام وطلبهم المصالحة على ما صالحَ عليه غيرَهُم من أهل الكتاب في إعطاء الجزية ثم قال: "... وإنّي دعوتُهم إلى الله وإلى رسوله فأبوا أن يُجيبوا، فعرضتُ عليهم الجزية أو الحرب فقالوا: لا حاجة لنا بحربِكَ، ولكنْ صالِحْنَا على ما صالحتَ عليه غيرَنا من أهل الكتاب في إعطاء الجزية .. وشَرطتُ عليهم أنَّ عليهم عهدَ الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل: أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلمٍ من العرب ولا من العجم. ولا يدلّوهم على عورات المسلمين، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذَهُ اشدَّ ما أخذه على نبيٍّ من عهدٍ أو ميثاقٍ أو ذمةٍ ... وجعلتُ لهم أيَّما شيخٍ ضَعُفَ عن العمل أو أصابته آفةٌ من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدَّقون عليه طُرِحتْ جزيتهُ وعِيلَ من بيت مال المسلمين وعيالهُ، ما أقامَ بدار الهجرة ودار الإسلام. فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم"([[108]](#footnote-108)).

**عاشراً:** وحتى يكون آخر القول أحسنه في نهاية ردّنا على شُبهة وفرية إجبار المسلمين لغيرهم على الدخول في الإسلام، فإننا نسوقُ وبكلِّ فخرٍ واعتزازٍ عهد الأمان الذي أعطاه أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، للنصارى من أهل القدس عندما أكرمه اللهُ تعالى بدخولها فاتحاً لها فتحاً سلميّاً، ومؤمِّناً لهم على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم ودور عبادتهم. "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها؛ أنه لا تُسْكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيِّزِها، ولا من صليبهم، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يُكرَهون على دينهم، ولا يضارّ أحدٌ منهم، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود. وعلى أهل إيلياء أن يُعطُوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرِجُوا منها الروم واللصوت؛ فمن خرج منهم فإنه آَمِنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم؛ ومن أقام منهم فهو آمن؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومَن أحبَّ مِن أهل إيلياء أن يسيرَ بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بِيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فَمن شاء منهم قعدوا، عليه مْثِلُ ما على أهل إيلياء من الجزية، ومَنْ شاء سار مع الروم؛ ومَنْ شاء رجع إلى أهله فإنه لا يُؤخَذُ منهم شيءٌ حتى يُحصَدَ حصادُهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهدُ الله وذمّةُ رسوله وذمّةُ الخلفاء وذمّةُ المؤمنين إذا أَعطُوا الذي عليهم من الجزية. شَهِدَ على ذلك خالدُ بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدُ الرحمن بن عوف، ومعاويةُ بن أبي سفيان، وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة"([[109]](#footnote-109)).

لقد عُرِفَت هذه الوثيقةُ وهذا العهد في التاريخ باسم العهدة العمريّة، وهي كبيرُ وخيرُ شاهدٍ على تسامح المسلمين وقدرتهم على استيعاب الآخر والتعايش معه دون إكراهه أو إجباره على ترك دينه واعتناق دينهم.

إنَّ الرهبان الطاعنين لمطالَبُون أمام أنفسهم وضمائرهم والتاريخ والحاضر بعقد مقارنةٍ بين فعل الفاروق صاحب أقوى جيشٍ على الأرض آنذاك وبين فعل جيوش الصليبيين الذين دخلوا القدس وفعلوا فيها الأفاعيل من الذبح والقتل وسفك الدماء، لِيَعْرفوا مَن هو الأرحم، ومن هو الأقدر على التسامح، ومن الأقدر على التعايش مع الآخر ...

**- أما عن شبهة ارتباط الإسلام بالعنف والتهديد والتخويف والإرهاب** فهي شبهةٌ باطلةٌ مُتهافتةٌ كذَّبتها الوقائع والحقائق التاريخيّة التي سبق إيرادها، ونحن نعلم تماماً أنّ هذه واحدةٌ من الافتراءات التي صنعتها آلةُ الإعلام المسيحيّ الغربيّ **قديماً وحديثاً** لتخويف الناس من المسلمين وصدّهم عن اعتناق الإسلام.

**- أمّا قديماً** فقد دحضت هذه الفريَة أخلاقُ المسلمين الأوائل الفاتحين الذين لم يُكرِهوا مسيحيّاً واحداً على الدّخول في الإسلام، ولم يهتكوا عِرضاً ولم يهدموا منزلاً، وكانت أخلاقهم من أكبر عوامل جذب غير المسلمين إلى الإسلام. وقد تقدّمت الأحاديثُ الدالّةُ على ذلك، ولكننا نجدُ من المفيد لإقامة الحجّة على هؤلاء الطاعنين تذكيرهم بوصايا قادة الجيوش المُسْلمة لجنودهم قبل خوض أيّةِ معركةٍ، ومن ذلك وصيّة أبي بكرٍ الصدّيق لجيش أسامة "يأيها الناس، قفُوا أوصِكُمْ بعشرٍ فاحفظوها عنِّي: لا تَخُونُوا ولا تُغِلّوا، ولا تَغْدِروا ولا تُمَثِّلُوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً، ولا تعقِرُوا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمَأْكَلةٍ؛ وسوف تَمرُّونَ بأقوامٍ قد فَرَّغُوا أنفسهم في الصوامع؛ فدعوهم وما فَرَّغُوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قومٍ يأتونكم بآنيةٍ فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكروا اسم الله عليه ..."([[110]](#footnote-110)).

إن كانت هذه الوصايا للجيش المُقَاتِلِ وهو خارجٌ للحرب فمن السهل على كلِّ عاقلٍ أن يتصّورَ كيف كانت الوصايا لبقية الناس في الأوضاع العاديّة التي كانت تسود المجتمعات الإسلامية آنذاك.

**- أمّا في وقتنا الحاضر**، فقد كان لمجمع الفقه الإسلامي الكلمةُ الفصلُ في الردّ على أولئك الطاعنين الذين يَسِمُون الإسلام بالعنف والإرهاب، غير فاصلين بينه وبين تصرّفات بعض أبنائه الذين أساؤوا فهمه فأساؤوا له وللآخرين. لقد مايزَ علماءُ المجمع بين العنف والإرهاب من جهةٍ وبين الجهاد وحقِّ الدفاع عن النفس ومقاومة الاعتداء من جهةٍ أخُرى في كلامٍ سهلٍ راقٍ مُقنعٍ هذا نصُّه([[111]](#footnote-111)):

**أولاً:** تحريمُ أعمال الأرهاب وأشكاله وممارساته جميعها، واعتبارها أعمالاً إجراميّةً تدخلُ ضمن جريمة الحَرَابة وأينما وقعت وأيّاً كان مرتكبوها. ويُعَدُّ إرهابياً كلّ من شارك في الأعمال الإرهابية مباشرةً، أو تسبُّبَاً، أو تمويلاً، أو دعماً، سواء كان فرداً أم جماعةً أم دولةً، وقد يكون الإرهابُ من دولةٍ أو دولٍ على دولٍ أخرى.

**ثانياً:** التمييز بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للاحتلال بالوسائل المقبولة شرعاً، لأنّ الهدف من المقاومة المشروعة إزالة الظلم واسترداد الحقوق المسلوبة، وهو حَقٌّ مُعترَفٌ به شرعاً وعقلاً وأقرّته المواثيق الدولية.

**ثالثاً:** وجوب معالجة الأسباب المؤدية للإرهاب، وفي مقدّمتها الغلو والتطرّف والتعصّب والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، وإهدار حقوق الإنسان وحرّياته السياسيّة والفكريّة، والتي تؤدي إلى اختلال الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسيّة.

**رابعاً:** التأكيد على أنّ الجهاد للدفاع عن العقيدة الإسلامية، وحماية الأوطان وتحريرها من الاحتلال الأجنبي ليس من الإرهاب في شيءٍ، ما دام الجهادُ مُلتزَماً فيه بأحكام الشريعة الإسلامية.

**الشّبهةُ الثالثةَ عشرة ودفعها:**

يستتبعُ الحديثَ عن شبهة انتشار الإسلام بحدّ السيف وقوّة السلاح والجهاد فقط شبهةٌ تدعمها وتقوّي من وقعها في النفوس، **ومضمون هذه الشّبهة أنّ محمدّاً يقول: إنّ الله أمره أن يُقاتلَ كلَّ الناس فلا يتوقّف عن قتالهم إلا حين إعلانهم الدّخول في الإسلام ونطقهم بالشّهادتين. وإنّ الجنّة التي وعد بها محمدٌ أتباعه كانت وستبقى تحت ظلال السيوف!!!**

- من الواضح تماماً أنّ هذه الشبهةَ قائمةٌ على حديثين شريفين، أولهما قوله "أُمِرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول" وثانيهما قوله "واعلموا أنّ الجنّة تحت ظلال السّيوف". وهذان الحديثان صحيحان أخرجهما الإمام البخاري، رحمه اللهُ تعالى رحمةً واسعةً، في صحيحه. ومن الواضح أنّ كلمة "السَّيف" لها وقعٌ عظيمٌ في نفوس الرهبان الطاعنين وتأثيرٌ عليهم لا يعلمه إلاّ اللهُ تعالى. وهم في إبرازهم لأحاديث "السيف والقتال والحرب" يتعامون تماماً عن ورود هذه الألفاظ الثلاثة في كتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد مرّاتٍ كثيرةً، وهذا ما سنقوم بتوضيحه وتفصيل القول فيه، بعونه تعالى، بعد شرحنا لمضمون الحديثين الشريفين وحقيقة المراد بهما.

**أمّا الحديث الأول** فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه "قال رسول الله : (أُمِرتُ أن أُقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقَّ الإسلام، وحسابُهم على الله)([[112]](#footnote-112)). كما أخرجه الإمام مسلم، رحمه الله تعالى، في صحيحه قال رسول الله : (أُمِرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا اللهُ عصمَ منّي ماله ونفَسه إلا بحِّقهِ، وحسابُه على الله)([[113]](#footnote-113)).

ومن المستحيل عقلاً وشرعاً أن يُقاتل رسول الله الناس جميعاً، كما فهم الرهبان الطاعنون، لأنَّ هذا الفهم الأعوج يقتضي أن يُحارِبَ النبيُ كلَّ الناس سوى المسلمين، وهذا مرفوضٌ شرعاً حيث أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم يُطلَبْ إليهم أبداً أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فالمقصود بالناس في الحديث الشريف "بعضُ الناس" أو "طائفةٌ من الناس" ألا وهم المشركون من غير أهل الكتاب. قال ابن حجرٍ العسقلاني، رحمهُ الله، في توضيح معنى لفظ "الناس" الوارد في هذا الحديث الشريف "أن يكونَ من العام الذي أُرِيدَ به الخاص، فيكون المراد بالناس في قوله "أقاتل الناس" أي: المشركين من غير أهل الكتاب. ويدلُّ عليه رواية النسائي بلفظ "أُمرتُ أن أقاتل المشركين". فإن قيل: إذا تَّم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية، أجيبَ بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدّةً كما في الهدنة، ومقاتلة مَن امتنع من أداء الجزية بدليل الآية"([[114]](#footnote-114)).

ويشهدُ لصحّة تبعيض المقصود من كلمة الناس الواردة في هذا الحديث لا تعميمه قوله تعالى في سورة آل عمران " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ"([[115]](#footnote-115)). فقد ورد في تفسير معنى "الناسُ" المُثَبِّطون الذين حاولوا تثبيط همم المسلمين الذين خرجوا في طلب أبي سفيان في حمراء الأسد، والمقصود بها نعيم بن مسعود الأشجعيّ، أمّا (الناسَ) فالمقصود بها أبو سفيان وأصحابه، فإن قُلتَ كيف قيل (الناسُ) إن كان نعيمُ هو المُثَبِّط وحده؟ قلتُ: قيلَ ذلك لأنّه من جنس الناس، كما يُقال: فلان يركبُ الخيل ويلبسُ البرودَ، وماله إلاّ فرسٌ واحدةٌ وبردٌ فردٌ([[116]](#footnote-116)).

ثم إنّه لا يصحُّ أن يُفهمَ من الحديث الشريف السابق أن كلمة "أقاتل الناس" تعني قتلهم لا، فمن معاني القتال ردُّ الأذى والاعتداء والظّلم.

**أمّا عن الحديث الثاني** فقد أخرجه الإمام البخاري، رحمه الله، في صحيحه، "إنَّ رسولَ الله في بعض أيامه التي لَقِيَ فيها انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيباً قال: "أيُّها الناسُ لا تتمنَّوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحت ظلال السيوف. ثم قال: اللهمَّ مُنِزلَ الكتاب ومُجريَ السَّحاب وهازمَ الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم"([[117]](#footnote-117)).

هذا الحديث الشريف شارحٌ نفسَه بنفسه؛ فهو يُجَسِّدُ غزوة الأحزاب (الخندق) التي تداعت فيها الكثير من القبائل العربيّة واليهوديّة لمهاجمة المسلمين في المدينة المنوّرة والقضاء عليهم واستئصالهم، في جيشٍ فاق تعداده العشرة آلافٍ من المقاتلين. فهبَّ النبيُّ يستنهض هِممَ المسلمين للذود عن وجودهم وكيانهم المهدَّدِ آنذاك، ويدعوهم لحمل السلاح والسيوف للذود عن أنفسهم ويبِّشرهم بأنّ الجنّة تحت ظلال هذه السيوف. السيوف المرفوعة في وجه الظلم والبغي والمعتدي، لا السيوف المرفوعة للقتل والإكراه والاعتداء كما تتخيّلُ عقول الرهبان الطاعنين السَّقيمة. ماذا كان الرهبانُ الطّاعنون يتوقّعون من رسول الله أن يقول في هذا الموقف الرهيب الذي كان يتهدَّدُ دينه وقومه؟؟ ماذا كان الرهبان الطاعنون يتوقّعون من الرسول المُحاصَرِ وقومه ونساؤهم وذراريهم؟؟ أكانوا يتوقّعون منه أن يقول لأصحابه أغمدوا سيوفكم واخفضوا أصواتكم وأحنوا رؤوسكم واستعدّوا للموت؟؟ أكانوا يتوقّعون منه الاستسلام والفرار والنزول على حكم اليهود والقبائل العربيّة الوثنيّة المُشِركة؟؟ حاشا لنبيٍّ أن يفعل ذلك، فكيف وهو سيِّدُ الأنبياء وسيِّدُ ولد آدم؟؟ حاشاه حاشاه، وكيف لا يقول سيِّدُ الأنبياء ذلك وقد سبق أن وعدهم مراراً بأنّ الجنّة والجنّة وحدها جزاءُ ومُستقرُّ الشهداء والمجاهدين لتكون كلمةُ الله هي العليا؟؟!

ولعمري لولا ذاك الوعد وصمودُ رسول الله وأصحابه الكرام، في ذاك الموقف وتلك الغزوة لما وصلَ الإسلامُ إلى زماننا هذا خصوصاً إذا ما تذكَّرنا أنَّ حلفاء النبي من يهود بني قريظة قد تآمروا مع الأحزاب ونقضوا عهدهم مع رسول الله والمسلمين، وفتحوا أبوابهم على مصراعيها لتكونَ بدايةً لجبهةٍ جنوبيّةٍ يُغيرُ منها المشركون على المسلمين.

ثُمَّ لماذا يستكثر الرهبان الطاعنون على رسول الله أن يدعو المسلمين لحمل السيوف للدفاع عن وجودهم ويتعامون عن استخدام أنبياء وملوك العهد القديم للسيوف والإسراف في القتل والتقتيل وإبادة المدن والقرى؟؟ ولماذا يتعامون عن دعوة المسيح التي قال فيها "لا تظنّوا أني جئتُ لألقيَ سلاماً على الأرض، ما جئتُ لألقي سلاماً بل سيفاً، وإني جئتُ لأفرِّقَ الإنسان ضدَّ أبيه، والإنبة ضدَ أمها، والكِنَّةَ ضدّ حماتها، وأعداءُ الإنسان أهل بيته. مَن أحبَّ أباً أو أمّاً أكثرَ منّي فلا يستحقّني، ومَن أحبّ ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني، ومّن لا يأخذُ صليبَه ويتبعني فلا يستحقّني. مَن وجَدَ حياته يُضيعُها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدُها"([[118]](#footnote-118)).

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم قول المسيح ـ عليه السلام ـ "جئتُ لأُلقي ناراً على الأرض فما أريدُ لو اضطرمَتْ؟؟"([[119]](#footnote-119)) وماذا يقولون عندما نقرأ عليهم قول المسيح ـ عليه السلام ـ "أمّا أعدائي أولئك الذين لم يُريدوا أن أملِكَ عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قُدّامي؟؟"([[120]](#footnote-120)).

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نقرأ عليهم نصوص العهد القديم التي تبُيحُ قتلَ الرجال والنساء والأطفال وتدمير القبائل وأهلها؟؟ ومن ذلك "حين تقرُبُ من مدينةٍ لكي تحاربها استدعها إلى الصّلح، فإن أجابتكَ إلى الصلح وفتحتْ لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبَدُ لك. وإن لم تسالمكَ، بل عَمِلَتْ معك حرباً، فحاصرها. وإذا دفَعها الربُّ إلهُكَ إلى يدك فاضرب جميعَ ذكورها بحدِّ السّيف. وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلُّ ما في المدينة، كلُّ غنيمتها، فتغتنِمُهَا لنفسكَ، وتأكلُ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك. هكذا تفعلُ بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مُدنِ هؤلاء الأمم هنا. وأمَّا مدنُ هؤلاء الشعوب التي يُعطيك الربُ إلهُك نصيباً فلا تَستبقِ منها نسمةً ما، بل تُحرِّمُها تحريماً: الحثّيين والأَمُورييّن والكنعانيين والفِرزييّن والحِوّييّن واليبوسيين، كما أمركَ الربُّ إلهُك، لكي لا يُعَلِّموكم أن تعملوا حسْبَ جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فَتُخْطِئوا إلى الربّ إلهكم"([[121]](#footnote-121)).

وماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نُذَكِّرهم بأنّ كتابهم المقدّس في عهده القديم يحكي أنّ نبيّ الله داود قتل أربعين ألفاً من الفرسان المحاربين في حربه ضد أَرام؟ "وهرب أرامُ من أمام إسرائيل، وقتل داودُ من أرام سبعَ مئةِ مركبةٍ وأربعينَ ألفَ فارسٍ، وضرب شوبك رئيس جيشه فمات هناك"([[122]](#footnote-122)).

وأخيراً فماذا يقول الرهبان الطاعنون عندما نذكرُ أمامهم قول الكتاب المقدّس في عهده القديم عن نبيّ الله داود في حربه ضدّ مدينة ربّة بني عمّون "وأَخْرَجَ الشعبَ الذي فيها وَوَضَعُهمْ تحت مناشير ونوارجِ حديدٍ وفؤوسِ حديدٍ وأَمَرَّهُمْ في أتون الآَجُرِّ، وهكذا صنعَ بجميع مدن بني عمون، ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم"([[123]](#footnote-123)).

ما لهؤلاء الرهبان الطاعنين يستخفُّون كلَّ أنواع السيوف إلا سيف الإسلام يستثقلونه؟ وما لهم يعترفون بمشروعية حمل السيف للدفاع عن النفس تارةً ولإبادة المدن والقرى تارةً إلا سيف الإسلام يرونه للقتل والإكراه والإجبار؟؟؟.

**الشُّبهةُ الرابعةَ عشرةَ ودفُعها:**

**إنَّ الجنَّةَ التّي وعد بها محمدٌ أتباعه وأصحابه مليئةٌ بالشّهوات والملذّات الحسّيّة والماديّة والجنسيّة فقط. وقد وعد محمدٌ أتباعه بأنَّ المحرَّماتِ عليهم في الدنيا، كالخمر ولبس الحرير والذهب والزواج من نساءٍ كثيراتٍ، ستكون مُباحةً لهم ومتوفّرةً بالكامل في الجنّة.**

- من الطبيعي والمتوقَّع أن يقول الرهبان الطاعنون قولاً كهذا؛ فهم لم يُتْعِبوا أنفسهم في قراءة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة التي شَكَّلتْ بمجموعها التصُّورَ الصحيح الواضح الدقيق للمسلم عن جنّة الخُلدِ والنّعيم. ونذكّرهم هنا بأنّ الجنّةَ كما وصفها لنا الشارع لا تقتصر على ما تتوهمه عقولهم من اللذات، والمتع الماديّة فقط بل إنّ فيها من اللذات المعنوية والروحية ما يفوق كلَّ شيءٍ يُسمّى مادّةً. ففيها نهاية الغايات من الطمأنينة القلبية والراحة النفسيّة والسكينة والرضى المتحققة برؤية الله تعالى، "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ \* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ "([[124]](#footnote-124)). وهل هناك نعيمٌ ألذُّ وأكبرُ من هذا المتحقق برؤية الله تعالى؟؟ وفي الجنة مَودّةٌ وودٌّ متبادَلٌ بين أهلها وسلام وسكينةٌ يتقلّب أهلها في النّعيم. فلا خوف ولا شحناء ولا تحاسد ولا تباغض ولا تنافس ولا "قيل وقال" ولا لغواً ولا تأثيماً. ولعمري ما الذي يطمع فيه الإنسان من حياةٍ غير هذه ؟؟ ثمّ إنّ هناك من ألوان النعيم الذي خبّأه الله تعالى لعباده الذين يدخلون الجنة ما لم تره عينٌ ولم تسمعه أذنٌ ولم يخطر على قلب واحدٍ من البشر. قال رسول الله : "يقول الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، ذخراً من بَلْهَ ما أُطلِعْتُم عليه. ثم قرأ "فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"([[125]](#footnote-125)))([[126]](#footnote-126)).

ونُذكّر الرهبان الطاعنين، بمناسبة الحديث عن المتع المادية في الجنّة من طعامٍ وشرابٍ وخمرٍ ولبنٍ وعسلٍ، بأنَّ هذه الأطعمة والأشربة ولئن وُجِدتْ في الجنّة إلا أنها لا تشبه طعام وشراب أهل الدنيا في شيءٍ مِنْ طعمها وأثرها، يشهد لذلك قول ابن عباسٍ، رضي الله عنهما، "ليس في الدنيا من الجنّة شيءٌ إلا الأسماء"([[127]](#footnote-127))، فهو تشابهٌ في الأسماء والمعاني لا في الخصائص والكيفيّات. قال ابن تيمية رحمة الله عليه: واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسِفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون في الجنة أكلٌ وشربٌ ولباسٌ وزواجٌ. ويمنعون وجودَ ما أَخبرَ به القرآن. والردُّ عليهم هو أنَّ ما ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة، أَنَّ حقيقتها ليست مُماثِلةً لما في الدنيا، بل بينها تباينٌ عظيمٌ من التشابه في الأسماء. فنحنُ نعلمها إذا خُوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدرِ المشترَكِ بينهما ولكنْ لتلك الحقائق خاصيّةٌ لا نُدركها في الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كلِّ وجهٍ، وتلك الحقائق على ما هي عليه([[128]](#footnote-128)).

ثمّ من أين جاء الرهبان الطاعنون بعبارة وفكرة "أنّ كلّ محرَّمٍ على المسلمين في الدنيا سيكون مباحاً لهم في الجنّة"؟؟ فهل تُباحُ السّرقة في الجنة؟؟ وهل يباحُ القتل؟؟ وهل يُباحُ التحاسد؟؟.

وفي الوقت الذي نرى فيه الرهبان الطاعنين يهاجمون التصوّر الإسلامي للجنَّة ويقصرون ذلك على الجانب الحسيّ المادي وينفون وجودَ مثلِ هذا الجانب في تصوِّرهم المسيحيّ للجنة نرى الإنجيل يخبرنا خلاف تَصَوُّرِهم تماماً، حيث أنّ الإنجيل يذكر في مواضعَ متعدّدةٍ تناول الطعام والشراب فيها. ويشهد ذلك ما يلي ممّا جاء على لسان المسيح عليه السلام:

1. (وأنا أجعلُ لكم كما جعل لي أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسيّ تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر) ([[129]](#footnote-129)).

2. (الحقَّ أقولُ لكم إنّي لا أشربُ بعدُ من نِتَاجِ الكَرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً في ملكوت الله) ([[130]](#footnote-130)).

3. (إذا صنعتَ غَداءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءكَ ولا إخوتَك ولا أقراباءَكَ ولا الجيران، لئلا يَدْعوكَ هم أيضاً بالمقابل فتكون لك مكافأةٌ، بل إذا صنعتَ ضيافةً فادعُ المساكين الجُدْعَ العُرجَ العميَ، فيكون لك الطّوبى إذ ليس لهم حتى يكافؤك لأنك تُكافَأُ في قيامة الأبرار، فلمّا سمع هذا واحدٌ من المتّكئين قال له: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله) ([[131]](#footnote-131)).

ونحن نكتفي بإيراد ما سُقناه من ردودٍ على شبهة الرهبان الطاعنين في اقتصار (جنّة المُسلمين) على الشهوات والجوانب الحسيّة فقط، مُذكِّرين القارئ الكريم بأنّ المصادر المسيحية كافّةً لم تقدّم لأتباعها حتى الساعة تصُّوراً محدَّداً أو حتى واضحاً للتصوُّر المسيحيِّ للجنّة وكيفية الحياة فيها وأوصافها أو حتى أوصاف أهلها!!!.

**الشُّبهةُ الخامسةَ عشرة ودفعُها:**

**كان محمدٌ رجلاً شهوانيّاً يعشق النساء. ولقد اتَّخَذَ لنفسه تسعَ زوجاتٍ في الوقت الذي حدَّدَ لأتباعه عدد الزوجات المسموح به بأربعٍ فقط، وهذا دليلٌ كبيرٌ على شهوانيته وانكبابه على الدنيا وملذّاتها، مما يؤكِّدُ استحالة كونه نبياً طالما كانت هذه أخلاقه.**

- تُعتبر هذه الفِريةُ من أكثر الافتراءات والمطاعن الرهبانية استفزازاً لمشاعر المسلمين قديماً وحديثاً. ولذلك نرى عدداً كبيراً من المؤلَّفات التي كتبها الأساتذة والعلماء والدّعاة لدحضها والردّ عليها، وبيان زيفها. مع أنّ الكتاب المقدّس يخبّرنا عن عددٍ كبيرٍ من أنبياء بني إسرائيل الذين اتّخذوا لأنفسهم العديد من الزوجات، إلا أنّ الرهبان الطاعنين لا يرون بأساً إلاَّ في تعدّد زوجات محمد .

ولقد ارتأينا صياغة ردود علمائنا الأفاضل([[132]](#footnote-132)) على هذه الفرية على شكل نقاطٍ ليَسهُلَ العرض والنقاش.

ونشير قبل استعراض هذه الردود إلى أنّ الله تعالى قد منحَ من الخصوصيّات لأنبيائه ورسله ما لم يمنحه لغيرهم من البشر، ومن هذه الخصوصيات على سبيل المثال لا لحصر وجوب التهجد والقيام بحقه ، ومواصلة الصيام، والزواج بأكثر من أربعِ زوجاتٍ. ولَعَلَّ دَافِعَ الكثيرين من الطاعنين لإنكار ذلك هو إخضاعهم لما سبق ذكره لمقاييس الحياة المعاصرة في القرن الحادي والعشرين وهو أمرٌ من الخطأ بمكان!!.

إنّ العقل الغربي المعاصر يَقْبَلُ أن يكون للرجل زوجةٌ واحدةٌ تربطه بها علاقة شرعيةٌ وقانونيةٌ. كما يقبلُ هذا العقل أن يكون لهذا الرجل **عشيقاتٌ عديداتٌ**، ولكنَّ هذا العقل الغربيَّ المعاصِرَ لا يقبل أن يكون للنبي محمد **زوجات عديدات**!! عجباً لهؤلاء كيف يحكمون!!!.

ولعلَّ بيانَ الحكمة من زواج رسول الله من كلِّ واحدة من أمّهات المؤمنين يكون خيرَ طريقٍ ليفهم من خلاله هؤلاء الطاعنون لماذا تزوَّجَ محمدٌ تسع نساء.

1. حين بلغ رسول الله الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البِكْرِ" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مُجرّدِ المتعة. وإنما تزوَّج إمرأةً تكبره بحوالي خمسةَ عشرَ عاماً، ثم إنّها ليست بكراً بل هي ثَيِّبٌ، ولها أولادٌ كبارٌ عمرُ أحدهم يقترب من العشرين؛ تلكم هي السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وفوق هذا كلَّه فمشهورٌ أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها- من خلال مباشرته لتجارتها- من أمانته وعفته وطيب شمائله .

وبعد زواجه منها دامت عشرتُه بها طيلة حياتها، ولم يتزوَّجْ عليها حتى مضتْ عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها-رضي الله عنها- زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعاً إلاّ إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية. وقد بقي يذكرُها بالخير ويعدِّدُ مآثرها والثناء عليها بعد وفاتها حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها.

2. كان رحيل السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ مثيراً لأحزانٍ كُبرى في بيت النبي وفي محيطِ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقادِ منْ يرعى شؤونه وشؤون أولاده، ثم رأوا فقدانه عمه أبي طالبٍ، نصيره وظهيره وسُمّي العام الذي رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عامَ الحُزن.

في هذا المناخ، مناخ الحزن والوحدة وافتقاد مَنْ يرعى شئون الرسول وشئون أولاده، تزوَّجَ رسول الله سودة بنت زمعة رضي الله عنها وأرضاها. وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ سودة هذه كانت زوجةً للسكران بن عمرو وتُوفِّيَ عنها زوجها بمكة فلما حَلّت تزوجها الرسول وكانت أولَ امرأةٍ تزوجها بعد خديجة.

وعَجِبَ المجتمعُ المكيُّ لهذا الزواج لأن "سودة" كانت كبيرةً في السنِّ لم تكن ذات جمالٍ ولا حسبٍ ولا تصلُحُ أن تكون خلفاً لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول بها جميلةً وضيئةً وحسيبةً تطمحُ إليها الأنظار، ولكنها ـ رضي الله عنها ـ كانت مؤمنةً هاجرت الهجرة الأولى مع مَن فروا بدينهم إلى الحبشة وقد قبل الرسولُ زواجَها حمايةً لها وجبراً لخاطرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة. وليس الزواج بها شعارَ شهوةٍ للرسول ولكنه كان جبراً لخاطر امرأةٍ مؤمنةٍ خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفّي زوجُها وتركها امرأةً تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

3. بعد سودة ـ رضي الله عنها ـ تـزوَّج الحبيب المصطفى عائشة بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنها ـ وسنفردُ لزواجه بها ـ رضي الله عنها ـ مساحةً خاصةً في الصّفحات القادمة بإذنه تعالى.

4. أمّا عن حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنها ـ فقد تزوجها الحبيب المصطفى جبراً لخاطرها وإكراماً لها ولوالدها الفاروق ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه. وذلك بعد أن توفِّيَ عنها زوجها حُنيسُ بن حذافة السهميّ، وهو صحابيٌ جليلٌ من أصحاب الهجرتين ـ إلى الحبشة ثم إلى المدينة ـ ذلك بعد جراحٍ أصابتهُ في غزوة أحدٍ حيث فارق الحياة وأصبحت حفصةُ بنتُ عمر بن الخطاب أرملةً وهي شابَّةٌ.

وكان ترمُّلها مثارَ ألمٍ دائمٍ لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يُحزِنه أن يرى جمال ابنته وحيوِيَّتَها تخبو يوماً بعد يومٍ. فعرض الزواج بها على أبي بكر الصديق الذي التزم الصمت، ومن بعده عثمان بن عفان، الذي رفض ذلك، حتى خطبها وتزوَّجها مَن هو خيرٌ منهما .

5. تَزَوَّجَ رسولُ الله أمَّ سلمة بنت زاد الركب، وهي من المهاجرين الأوَّلين إلى الحبشة وكان زوجها عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أولَ مَن هاجرَ إلى المدينة من أصحاب محمد . وقد جاءت إلى بيت النبي كزوجةٍ بعد وفاة زينب بنت خزيمة الهلالية بزمنٍ غير قصير. وهي سليلةُ بيتٍ كريمٍ، فأبوها أحدُ أجواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحدٌ في سفرٍ إلا كفاه زاده. وزوجها الذي ماتَ عنها صحابيٌ من بني مخزوم ابن عمّة المصطفى وأخوه من الرضاعة. وكانت هي وزوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معاً.

6. تزوَّجَ النبيُّ بعد ذلك زينب بنت جحش ـ رضي الله عنها ـ وسَنُفْرِدُ لها في الصفحات القادمة مساحةً خاصةً للحديث عن زواجها هذا، بإذنه تعالى.

7. تزوَّجَ النبيُّ بعد ذلك جويريّة بنت الحارث الخزاعيّة، قد كانت ـ رضي الله عنها ـ مِمَّنْ وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود، فكاتَبَها مَنْ وقعت في أسره (ثابت بن قيس) على مالٍ فلم يُعْجبها ذلك، وذهبت إلى رسول الله أملاً فيما هو خيرٌ من ذلك، فكان لها ما أَمِلَتْهُ حيثُ عَرضَ عليها الحبيبُ المصطفى أن يقضيَ عنها المال الذي كاتبَها عليه مَنْ أَسَرَها مِن المسلمين وتَزَوَّجَها . فلمَّا ذاعَ الخبرُ أطلقَ المسلمون كلَّ مَن وقع في أسرهم من بني المصطلق إكراماً لهذه المرأة الفاضلةِ واحتراماً للحبيب المصطفى الذي غدا أسرى بني المصطلق بمثابة أصهاره، فكان أن دخلَ معظمُ هؤلاء الأسرى الطلقاء في الإسلام، فأيُّ خيرٍ وأيُّ شرفٍ كان أعظم لجويرية وقومها مما حدث؟؟

8. تَزَوَّجَ النبي من صفية بنت حُيي التي وقعتْ في أسر (دحية الكلبيّ) بعد غزوة الخندق. فأعتَقَها من الأَسْرِ وحرَّرَها. وقد أسلمتْ وحَسُنَ إسلامها، رضي الله عنها. وأيُّ شرفٍ كان لصفيّة ـ رضي الله عنها ـ أعظمَ من دخولها بيت النبي عوضاً عن بقائها في الأسر والذلِّ والهوان؟؟ خصوصاً إذا ما تذكّرنا أنها كانت بنتَ واحدٍ من أشهر زعماء القبائل اليهودية وأكثرهم عداوةً لرسول الله ألا وهو حيي بن أخطب.

9. تزوَّجَ النبي رملة بنت أبي سفيان إنقاذاً لها من محنةٍ خطيرةٍ وإخراجاً لها من ظرفٍ قاسٍ عزَّ مثيلُه وعزَّ مثيلُ رجلٍ أنقذها منه. فقد كانت زوجاً لعبيد الله بن جحش، وخرجا معاً مهاجِرَينِ بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروفٌ فإنَّ الحبشة في عهد النجاشيّ كانت المهجرَ الآمنَ للفارّين بدينهم من المسلمين، حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم. لقد تعرَّضتْ رملةُ ـ رضي الله عنها ـ لمحنةٍ قاسيةٍ لم يتعرّض لمثلها أحدٌ من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أنّ زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلنَ ارتداده عن الإسلام ودخولَهُ في النصرانية. وما أصعبَ وأدقّ حالَ امرأةٍ في محنةٍ مُضاعَفةٍ! محنتها في زوجها الذي ارتدَّ وخَانَ، ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقتهُ مُغَاضِبةً إيّاهُ في مكةَ منذ دخلتْ في دين الله. وفوق هاتين المحنتين كانت محنةُ الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن. ثم كانت محنة حملِها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رُزِقَتْ بها مِن بعدُ وأسمتها "حبيبة".

لقد كانت خِطبتهُ لرملة (أم حبيبة) موقفاً يذكره التاريخ بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ، يُعَبِّرُ بكلِّ وضوحٍ عن الجانب الإنسانيِّ البارز في شخصّيته عليه الصلاة والسلام.

10. تَزَوَّجَ النبيُّ ميمونة بنت الحارث الهلالية، وقد كانت آخِرَ أمهات المؤمنين، رضوان الله عليهنّ جميعاً. توفّيَ عنها زوجها أبو رهمٍ بن عبد العزّى العامريّ؛ فانتهت ولايةُ أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زَوَّجها رسول الله ؛ حيث بنى بها الرسولُ في "سرف" قُربَ التنعيم على مقربةٍ من مكة، حيث يكون بدء الإحرام للمُعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها.

 وقيل: إنه لمّا جاءها الخاطبُ بالبشرى قفزتْ من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله . وقيل: إنها هي التي وهبتْ نفسها للنبيّ والتي نزل فيها قوله تعالى: "وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ" ([[133]](#footnote-133)).

**ويُستفاد مما سبق انتفاء فريةِ الشّهوانيّة عن الحبيب المصطفى . كيف لا؟ وهو الذي اشتهِرَ بالعفّة، والاستقامة والأمانة في قريشٍ كلِّها حتى قبل أن يكونَ نبياً . كما يُستفاد كذلك أنَّ كلّ المبررات التي سيقت لزيجاته ـ عليه السلام ـ كانت منطقيّةً معقولةً مقبولةً عادت بالخير على الزوجات اللواتي كان معظمهنّ من الأرامل ـ رضي الله عنهنَّ ـ كما عادت بعض هذه الزيجات بالخير على أقوامِ زوجاته ـ رضوان الله عليهنَّ ـ.**

**وإضافةً لما سبق فقد قوّت هذه الزيجات روابط رسول الله بصفته رئيساً للدولة الإسلامية مـع الكثير من القبائل العربيّة وغير العربية التي تشرَّفت بمصاهرته ـ عليه السلام ـ وكان في ذلك أيضاً تأليفُ قلوب هؤلاء للإسلام، وفي ذلك أيضاً تعليمٌ لرجال هذه الأمّة أن يعدلوا بين زوجاتهم وإعالة مَنْ لا مُعيلَ لها من النساء الضعيفات والأرامل.**

**وفي نهاية حديثنا عن الفوائد التي توضّحت في تعداد وكثرة زوجاته عليه الصلاة والسلام، نرى الحاجّة شديدةً ومُلِحّةً لتذكير الرهبان الطاعنين بنصوص الكتاب المقدّس التي بين أيديهم والتي يُبَجِّلونها ويُعَظِّمونها، فهي أكبر شاهدٍ على اتخاذ رسل بني إسرائيل وأنبيائهم وملوكهم لزوجاتٍ عديداتٍ وسراري أكثر عدداً. ومن الشواهد على ذلك ما يلي:**

أولاً: "وأَحبَّ الملكُ سليمانُ نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون: موآبياتٍ وعمُّونياتٍ وأدومياتٍ وصَيدونياتٍ وحثَّياتٍ من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: "لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يُمِيلون قلوبكم وراء آلهتهم". فالتصق سليمانُ بهولاء بالمحبَّةِ. وكانت له سبعُ مئةٍ من النساء السَّيِّدات، وثلاثُ مئةٍ من السراري، فأمالت نساؤه قلبَه"([[134]](#footnote-134)).

ثانياً: "وأحبَّ رَحبعامُ مَعكةَ بنت أبشالومَ أكثرَ من جميع نسائه وسراريه، لأنه اتَّخَذَ ثماني عشرة امرأةً وستّين سُرّيّةً، وَوَلَدَ ثمانيةً وعشرين ابناً وستّين ابنةً"([[135]](#footnote-135)).

ثالثاً: واخذ داود أيضاً سَرَاري ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حَبرون، فَوُلِدَ أيضاً لداود بنون وبناتٌ" ([[136]](#footnote-136)).

رابعاً: كان للملك داود (على ذمّة العهد القديم) العديد من السّراري، كان من أبرزهن (ميكال ابنة شاول وأبيجال أرملة نابال وأخينوعيمِ اليزرعيليّة ومعكة ابنة تلماى ملك جشور وأبيطال وعجلة وحجيث وبثشبع أرملة أوريا الحثيّ وأبيشج الشونميّة)([[137]](#footnote-137)).

**الشُّبهةُ السادسةَ عشرةَ ودَفْعُها:**

**مِمّا يُثبتُ شهوانيّة محمدٍ وعشقه للنساء أنّه لمّا رأى زوجة ابنه بالتبنيّ زيد بن حارثة، وكان اسمها زينب، أَعْجَبَتْهُ وأثَّرَ فيه جمالُها وحُسْنُها. ووقعتْ في قلبه وأخذ يقول (سُبحان مُقلِّبِ القلوب). ثمَّ أمر زوجها زيداً بتطليقها وقام محمدٌ بالزواج منها، حتّى أنّ القرآن الذي جاء به محمدٌ قد ذكر رغبة محمدٍ بهذه الزوجة فقال: (وَتُخْفِي فِي نِفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ)([[138]](#footnote-138)). وقد سَجَّلَتْ كتبُ التفسير لدى المسلمين هذه الواقعة وأثبتَتْها.**

- من الواضح تماماً أنّ الرهبان الطاعنين يقرأون نصوص وآيات القرآن. ومن الواضح كذلك أنهم لا يفهمونهاولا يدركون مقاصدها ولا حتّى التفسير الصحيح لها. وهم إن أرادوا تفسيرها وفهمَ مقصودِها فإنّما يرجعون إلى تفسيراتٍ شاذّةٍ تقوم على رواياتٍ ضعيفةٍ لرُبَّما يجدون فيها ما يُشفي صدورهم ويحقق مرادهم.

وهذا تماماً ما قاموا به عندما بنوا هذه التهمة والشبهة المُتَهالكة. وحتى لا يطول الكلام فمن المستَحْسَنِ أن نأتيَ بالآيات القرآنية الكريمة التي ذكروها في هذه الشّبهة، وأن نأتي بعد ذلك بتفسيرها الصحيح المُعتَمَدِ. وهذه الآيات هي قوله تعالى في سور الأحزاب: "وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نِفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً \* مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مقْدُوراً \* الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً \* مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً"([[139]](#footnote-139))

**وخلاصة تفسير ما ورد في هذه الآيات الكريمة ما يلي([[140]](#footnote-140)):**

إنّ زينب بنت جحش هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ، وقد رُبِّيَتْ بعينه وعنايته، وأنها كانت، لذلك، منه بمقام البنت أو الأخت الصغرى وإنّه كان يعرفُها ويعرف أهي ذاتُ مفاتن أم ليست كذلك قبل أن تتزوج زيداً. وإنه شَهِدَها في نموّها تحبو من الطفولة إلى الصِّبا وإلى الشباب، وهو الذي خطبها لزيدٍ مولاه. إذا عرفنا ذلك كلّه تداعت أمام ناظرينا كل تلك الخيالات والأقاصيص من أنه مرَّ ببيت زيدٍ ولم يكن فيه، فرأى زينبَ فبهره حسنُها وقال: سبحانُ مَقلِّبِ القلوب! أو أنه لمّا فتح باب زيدٍ عبث الهواءُ بالسّتار الذي على غرفة زينب، فألفاها في قميصها ممدّدةً فانقلبَ قلبهُ فجأةً ونسي سودة وعائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة وخديجة! ولو أنَّ شيئاً مِن حبّها علق بقلبه لَخَطبها لنفسه بدل أن يخطبها لزيدٍ ... إنّ محمداً خطب ابنة عَمّته زينب لزيدٍ؛ فأبى أخوها عبد الله بن جحش أن تكون أخته وهي قرشيَّةٌ هاشميةٌ، وهي فوق ذلك ابنة عمة الرسول، تحتَ عبدٍ رِقٍّ اشترته خديجة ثم أعتقه محمد ، ورأى في ذلك على زينب عاراً كبيراً. وكان ذلك عاراً عند العرب كبيراً؛ فلم تكن بناتُ الأشراف الشريفات ليتزوَّجن من مَوَالٍ وإن اعْتِقُوا. لكنّ محمداً يريد أن تزول مثل هذه الاعتبارات القائمة في النفوس على العصبيَّةِ وحدها، وأن يُدرك الناسُ جميعاً أن لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ إلا بالتقوى. ولما أصرَّ محمدٌ على أن تقبل زينبُ وأخوها عبد الله بن جحشٍ زيداً زوجاً لها نزل قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً"([[141]](#footnote-141)).

لم يبق أمام عبد الله واخته زينب بعد نزول هذه الآية إلا الإذعان؛ فقالا: رضينا يا رسول الله. وبنى زيدٌ بزينب بعد أن ساق النبيُّ إليها عنه مهرها. فلمَّا سارت زينب إلى زوجها لم يَسْلَسْ له قِيادُها ولا لانَ إباؤها، بل جعلت تؤذي زيداً وتفخر عليه بنسبها وبأنها لم يَجْرِ عليها رِقٌّ. واشتكى زيدٌ إلى النبي غيرَ مرةٍ من سوء معاملتها إياه، واستأذنه غيرَ مرةٍ في تطليقها، فكان النبي يجيبه: "أمسك عليك زوجك واتق الله". لكن زيداً لم يُطق معاشرة زينب وإباءها عليه طويلاً فطلَّقها.

وكأنَّ الشارع الحكيم قد أراد أن يُبطِلَ ما كانت تدينُ به العرب من التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابها، ومن إعطاء الدعيِّ جميع حقوق الابن، ومن إجرائهم عليه أحكامه حتى في الميراث وحُرمَةِ النسب فنزل قوله تعالى: "وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ"([[142]](#footnote-142)) ومعنى هذا أنه يجوز للمُدّعي أن يتزوَّج مِمَّنْ كانت زوجاً لِمَن ادّعاه. ويجوز للمتبنّي أن يتزوج ممن كانت زوجاً لمتَبَنَّاهُ. ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ هذا؟ ومَنْ مِنَ العرب يستطيعه وينقض به تقاليد الأجيال السالفة جميعاً؟ إنَّ محمداً نفسه، على قوّةِ عزيمته وعميقِ إدراكه لحكمةِ الله في أمره، قد وجد في نفسه الغضاضة في تنفيذ هذا الحكم بأن يتزوَّجَ زينب بعد تطليق زيدٍ إياها. ودار بخاطره ما يمكن أن يقول الناس في خرقهِ لهذه العادة القديمة المتأصِّلة في نفوس العرب؛ وذلك ما يريده تعالى في قوله: "وَتُخْفِي فِي نِفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ"([[143]](#footnote-143)) ... لكنّ محمداً كان القدوة في كلّ ما أَمَرَ الله به وما ألقى عليه أن يبلِّغه للناس؛ فلا يخشى ما يقول الناس في تزوّجه من زوجة زيدٍ مولاه، فخشية الناس ليست شيئاً إلى جانب خشية الله بتنفيذ أمره، وليتزوج من زينب ليكون قدوةً فيما أبطل الشارعُ الحكيمُ من الحقوق المقررَّةِ للتبنيّ، والادّعاء، وفي ذلك قوله تعالى: " فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً"([[144]](#footnote-144)).

هذه روايةُ التاريخ الصحيح في أمر زينب بنت جحشٍ وزواج محمد منها. فهي ابنة عمّته يراها ويعرف مبلغ جمالها قبل أن تتزوج زيداً، وهو الذي خطبها لزيدٍ، رضي الله عنه وعنها.

**ونختم توضحينا لقصّة زواجه من زينب بنت جحشٍ ـ رضي الله عنها ـ بالتذكير أنّ الروايات التي استند عليها الرهبان الطاعنون في تفسيرهم للآيات القرآنية الكريمة التي ذكرت هذه القصّةَ إنما هي رواياتٌ ضعيفةٌ مردودةٌ لا تصلح للاحتجاج بها بحالٍ من الأحوال، حتّى ولو كثرت في بعض كتب التفسير.** وقد علّق الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ بعد تفسيره للآيات الكريمة السابقة بالقول: "هذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المُفَسِّرِين والعلماء الراسخين، كالزهريّ والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. **فأمّا ما رُوِيَ أن النبي هوى زينبَ امرأة زيدٍ وُرَّبما أطلق بعض المُجَّانِ لفَظ "عشق" فهذا إنما صدر عن جاهلٍ بعصمة النبي عن مثل هذا، أو مُسَتِخِفٍّ بحرمته"([[145]](#footnote-145)).** ولعلّ قول القرطبي هذا لا يقع بعيداً عن تعليق ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ على الآيات السابقة نفسها بقوله "ذكر ابن أبي حاتم والطبري ها هنا آثاراً عـن بعض السلف ـ رضي الله عنهم ـ أحببنا أن نضرب عنها صَفْحاً لعدم صحَّتها فلا نوردها"([[146]](#footnote-146)).

**الشَّبهةُ السابعةَ عشرةَ ودفعُها:**

**كان محمدٌ يمارسُ أعمالاً تدلُّ على شذوذه وبعده عن أخلاق الأنبياء الحميدة، والدليلُ على ذلك زواجه من الطّفلة عائشة، التي كانت تبلغ من العمر تسعَ سنواتٍ فقط.**

- تُعتَبرُ هذه الفرية والشُّبهةُ أقبحَ وأقذرَ ما أثاره الطّاعنون حول شخصهِ الكريم . وكانت هذه الشُّبهةُ قد تصدّرتْ في وقتٍ غير بعيدٍ من الأعوام الماضية عناوين بعض الصّحف والمواقع الإلكترونية، فمن قائلٍ (الرسول محمد يُعاشر طفلةً) إلى قائلٍ (نبيٌّ يتزوّجُ فتاةً صغيرةَ السنّ) إلى قائلٍ (محمدٌ كان يتحّرشُ بالأطفال) إلى قائلٍ (محمدٌ يمارس شذوذه مع طفلةٍ في السادسة)، حاشاه .

وقد أطلَّ علينا الكثيرُ من القساوسة، عبر شاشات محطّات التلفزة الفضائية، يناقشون هذا الموضوع بتوسُّعٍ مقصودٍ في أكثر من حلقتين وثلاثٍ، من حلقات البرامج المتلفزة!!

ما من شكٍّ أنّ السيدة عائشة بنت أبي بكرٍ الصّدّيق ـ رضي اللهُ عنهما ـ كانت من أكبر وأكثر الشخصيّات التي تعرّضت للهجوم والتشهير في تاريخ الإسلام كلِّه. ولكنّ الذي نراهُ في هذه الشّبهة شيءٌ مختلِفٌ تماماً؛ حيث نرى الرهبان الطّاعنين يُنَصِّبون أنفسهم محامين للدفاع عن حقوقها التي هضمها محمدٌ حين حرمها من طفولتها، كما يزعمون، واتّخذها زوجةً له. كيف لا والرهبان الطاعنون هؤلاء يعرفون مصلحة السّيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أكثر من نفسها ويعلمون الذي يناسبُها أكثر من أبيها وأُمِّها وإخوانها وأقاربها وعشيرتها الأقربين كلّهم!!!.

ونشيرُ قبيل البدء في الردِّ على هذه الشّبهة وتفنيدها إلى الجهود المباركة الطيّبة التي بذلها علماء الأمّة وأساتذتنا وزملاؤنا من طلبة العلم الشرعي في الذبِّ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعن حبيبنا المصطفى وتصدّيهم المبارك لتوضيح مشروعية هذا الزواج وفوائده وآثاره([[147]](#footnote-147)).

حينما تُوفِّيتْ السيدة خديجة زوجة النبيّ ، مكّث الحبيبُ فترةً من الزمن عاكفاً عن الزواج. ولكنّ حاجة البيت كانت تدعو لوجود امرأةٍ لتربية الأولاد الذين أنجبهم من السيدة خديجة، فقد أنجب منها كلَّ أولاده عدا إبراهيم. فأقبلت عليه خولة بنت حكيم تَعْرِضُ عليه أن يتزوج، فسألها الحبيبُ أيّ النساء تقصد ... حتّى أتمت الخاطبة زواجه من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها وبعدها بفترةٍ كان زواجُه من عائشة بنت أبي بكر الصديق.

**وقبل أن يتقدم لها النبيُّ كانت السيدة عائشةُ مخطوبةً لجبير بن المطعم بن عديّ، وهذا يعني أنّها وإن كانت بنتَ تسع سنين إلاّ أنها كانت تصلحُ للزواج وقتَها من حيثُ البُنيةُ،** علماً بأنّ ساكني البلاد الحارة ينمون أسرع ويبلغون أسرعَ من ساكني البلاد الباردة. **ولأنَّها لو لم تكن كذلك لما قامت خولة بن حكيم ـ رضي الله عنها ـ بخطبتها لرسولنا الكريم.**

**لقد نقل لنا التاريخُ حوادث كثيرةً ثبتَ من خلالها أنَّ زواجَ الرجل بمن هي أصغر منه سِنَّاً، حتى ولو بفارقٍ كبيرٍ، أمرٌ مألوف. ومن ذلك ما يلي:**

1. تُثبِتُ الموسوعة الكاثوليكيّة أنَّ مريم أمَّ الربِّ يسوع، بحسب إيمان الرهبان الطاعنين، كانت مخطوبةً ليوسف النجار، وكان عمرها اثنتي عشرةَ سنةً وكانت حاملاً بيسوع آنذاك، وكان عمر يوسف النجار تسعاً وثمانين سنةً، أي أنه يكبرها بنحو سبعٍ وسبعين سنةً ... وهذا الكلام موثَّقٌ في الموسوعة الكاثوليكية.ويستطيع القارئ الكريم أن يرجعَ لهذين الموقعين ليتأكد من صحّة نقلنا لهذه المعلومة:

- <http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm>

"a respectable man to espouse Mary, then tweleve to fourteen years of age, Joseph, who was at the time nirety years old".

- http://www.cin.org/users/james/files/key2mary.htm

"Virgin Mary Delivers jesus Pbuh@ the age of 12".

وهنا نتساءل: هل كانت مريم، أم الرب يسوع بحسب إيمانهم، طفلةً أم امرأةً لما كانت حُبلى بيسوع ومخطوبةً ليوسف النجار؟!

2. زواج جدّ النبي عبد المطلب وزواج ابنه عبد الله، حيثُ ثبتَ أنّ آمنة بن وهب أُمَّ رسول الله كانت في حجر عَمِّها أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأنّ عبد المطلب بن هاشم جاء بابنه عبد الله بن عبد المطلب أبي رسول الله فتزوَّجَ عبدُ الله آمنةَ بن وهب وتزوَّجَ عبدُ المطلب هالةَ بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي أم حمزة بن عبد المطلب في مجلسٍ واحد، وكان قريبَ السن من رسول الله وأخاه من الرضاعة. إذاً فقد تزوَّج عبد المطلب فتاةً وابنهُ تزوَّج أخرى في مثل عمرها وهي ابنة عمها([[148]](#footnote-148)).

3. تزوَّجَ عمرُ الخطاب ابنة عليّ بن أبي طالب (أم كلثوم)، علماً بأنه كان أكبر سناً من أبيها في ذلك الوقت. بل وعَرضَ الفاروقُ عمر بن الخطاب على أبي بكر أن يتزوج ابنته السيدة حفصة وكانت شابةً في ريعان شبابها بعد وفاة زوجها.

كلنا يعلم أنَّ الآباء والأجداد من عصورٍ مُتقاربةٍ كانوا يتزوّجون مبكراً أيْ في أعمارٍ مُبِّكرةٍ ذلك لأن أجسامهم كانت تختلف كثيراً عن أجسامنا من حيث الحجم، وأجدادهم كانوا أضخم منهم جسماً. ومعروف أنَّ الإنسان كلما مرت به العصورُ تقزَّمَ، أي تضاءل حجمه. فلم العجبُ إذاً إذا كانت جدّاتنا وأمّهاتنا يتزوجن وهنّ بناتُ الإحدى عشرةَ سنةً أن تتزوج السيدة عائشة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنةٍ وهي ابنة تسع سنين؟؟

لمّا تَزَوَّجَ رسولنا الكريم السيدة عائشة لم يُنجب منها، وكانت البكرَ الوحيد التي تزوجّها من بين زوجاته. **وكان من فوائد زواجه عليه السلام بزوجةٍ صغيرة السنّ أنّ النساء بحاجةٍ إلى مَن يعلمهنّ خاصةً إذا كان الأمر ذا مشقةٍ أن يُتنَاولَ بين رجلٍ وامرأةٍ، فكانت أمُّ المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ مَنْ قامت بهذا الدَّورُ فهي فتاةٌ صغيرة في السنّ، يسهل عليها الحفظُ والفهم والتلقّي، وأيضاً لا تتحرَّجُ النساءُ منها. وقد كانت أكثرَ النساء روايةً للحديث عنه ، وحتى بعد وفاته ظلّت تُعَلِّمُ النساء أمور دينهم، وكانت وقتها ابنةَ الثامنة عشرةَ من عمرها رضي الله عنها.**

وللمدافعين عن حقوق هذه الطفلة عائشة، رضي الله عنها، من الرهبان الطاعنين نقول: إنْ فَرَضْنا جدلاً أن الرسول تزوّج عائشة وهي صغيرةٌ رغماً عنها وبالإجبار لها ولوالديها، فإنَّ الله تعالى أمرَ رسوله الكريم في فترةٍ لاحقةٍ بأنْ يُخيِّرَ نساءه بين أن يفارقهنّ فيذهبنَ إلى غيره مِمَّنْ يحصلُ لهنَّ عنده الحياةُ الدنيا وزينَتُها وبين الصّبر على ما عنده من الفقر وضيق الحال، فلماذا لم تختر مفارقته لو كانت مُجبَرةً على الزواج منه؟؟

ولمّا بدأ النبيُ بتخيير زوجاته بدأ بعائشة ـ رضي الله عنها ـ وأرضاها، قالت عائشة: "لما أُمِرَ رسول الله بتخيير أزواجه، بدأ بي، فقال: إنّي ذاكرٌ لكِ أمراً، فلا عليكِ أن تعجلي حتّى تستأمري أبويك، قالت: وقد عَلِمَ أنّ أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثمّ قال: إنّ اللهَ جلَّ ثناؤه قال: "يا أيها النبيُّ قل لأزواجكَ أن كنتُنَّ تُرِدنَ الحياة الدنيا وزينتها" إلى "أجراً عظيماً" قالت: فقلتُ: **ففي أيِّ هذا أستأمرُ أبويَّ؟ فإنّي أريدُ اللهَ ورسولهَ والدّار الآخرةَ**، قالت: ثمَّ فعلَ أزواجُ النبيِّ مثلَ ما فعلتُ"([[149]](#footnote-149)).

**إنّ زواج النبي بالسّيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ شاهدٌ حيٌّ على الزواج الناجح الذي لا يمنعه فارقُ العمر، والذي نرى فيه بكُلِّ جلاءٍ ووضوحٍ تأثير الزوج المسلم في شخصيّة واهتمامات وتوجّهات الزوجة المسلمة، فقد كانت عائشة لَمَّا أراد الحبيبُ الزواج بها تلعبُ في أرجوحةٍ هي وصواحب لها، ولمّا مات عنها بعد تسع سنواتٍ من مكوثه عندها كانت خيرَ مَن يُعلِّمُ المسلمين ويُفتيهم في دين الله تعالى، وروت عنه ما يزيدُ على الألفي حديث، واحتلت المرتبة الثانية فيمن روى أكثرَ عن النبي .**

**لقد صنعَ رسولُ الله من عائشة مدرسةً قائمةً بذاتها تُعلِّمُ وتؤسِّسُ وتقوم بنشر الدّين الإسلامي وتفقيه الناس بأحكامه، فكانت في نتاجها العلميّ الشرعيّ ومُخرجَاتِه أفضلَ مئةَ مرّةٍ من الكثير من المعاهد والكليّات الشرعيّة في القرن الحادي والعشرين. قال فيها الإمام الزُهري: "لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علمُ عائشة أفضل".** وقال فيها عطاء بن أبي رباح: "كانت عائشة أفقهَ الناس، وأعلمَ الناس، وأحسنَ الناس رأياً في العامة". وقال فيها أبو موسى الأشعري: "ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة، إلا وجدنا عندها فيه علماً" وقال فيها مسروق: "رأيت مشيخةَ أصحاب رسول الله الأكابر يسألونها عن الفرائض". وقال فيها عروة بن الزبير: "ما رأيت أحداً أعلم بفقهٍ ولا طلبٍ ولا بشعرٍ من عائشة"([[150]](#footnote-150)).

**ولو كان زواج النبي من عائشة التي تصغُره سنّاً خارجاً عن المألوف أو مَطْعَناً أو مُستَمْسَكاً عليه أو قادحاً في سلوكه لكان مشركو قريشٍ الذين يتربصّون به أولى الناس بمهاجمته لفعله هذا، وتقليب الناس عليه، ولصَنعوا له الفضائح ولحاكوا حوله إشاعات الشهوانيّة والاعتداء على الصغار وسوء السلوك والتصّرف. لكنّ أيّاً من هذا لم يكن. لماذا؟ لأنّ ذلك كان الزواج عرفاً سائداً معمولاً به بين الناس في ذلك الزمان.**

**لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين أن يأخذوا بعين الاعتبار أنّ مقاييس القرن العشرين والحادي والعشرين تختلفُ تماماً عن مقاييس القرون الوسطى وأن يأخذوا بعين الاعتبار اختلاف العصور والبيئات والطِّباع والقوانين والأعراف والتقاليد واختلاف البُنى الجسديّة والنفسيّة، قبل أن يقولوا في رسول ما قالوا.**

ثمَّ أين هم الرهبان الطّاعنون من الدّفاع عن حقوق عشرات الأطفال الذين اعتدى عليهم رهبان وقساوسة الكنائس في الغرب المسيحي؟؟ ألا فليدرَؤوا، إن استطاعوا، عن أبناء وبنات زمانهم هذا عوضاً عن الانشغال بزواجٍ تمَّ قبل ما يزيدُ على الألف وثلاثمائة عامٍ، وليقدّموا للعالم المسيحي الغربيّ حلولاً لمشكلاته التي يتخّبط فيها بدلاً من الاشتغال بزواج محمدٍ في بيئةٍ وعصرٍ ودينٍ لا شأنَ لهم به مِن قريبٍ ولا مِن بعيدٍ. ولنقفْ قليلاً مع قارئنا الكريم عند صفحاتٍ قليلةٍ من ملفّ الكنيسة الغربية والشذوذ والاعتداء على الأطفال، لِيعلَمَ كلُّ مَن غابت عنه الحقائقُ مَن هم الذين يتحرّشون بالأطفال ويُمارسون الشذود.

أولاً: حَمَلَ البابا بنديكتوس السادس عشر بقوّةٍ مساء الأربعاء في واشنطن على الإباحية والعنف اللذين يُفسدان أخلاق المجتمع الأمريكي. بعدما أقرَّ الثلاثاء **بشعور الكنيسة الكاثوليكية بـ "الخزي" جراء فضائح الكهنة الضّالعين في اعتداءاتٍ وتحرّشات جنسيّةٍ بأطفالٍ في الولايات المتحدة**. وبعد الصلاة مع الأساقفة الأمريكيين في مركز "الحبل بلا دَنَس" الوطني في واشنطن تطرّقَ البابا إلى الفضيحة الكبيرة حول ضلوع كهنةٍ في اعتداءاتٍ وتحرشاتٍ جنسية على أطفال كُشِفَ عنها في عام 2002م معتبراً أنها **"مصدر خزي" و"آلامٍ كبيرة" للكنيسة جمعاء. وأقرَّ بأنّ القضية "أُدِيرت بطريقةٍ سَيِّئةٍ" ودعا إلى "التعاطف مع الضحايا والاهتمام بهم"([[151]](#footnote-151)).**

ثانياً: بثَّت شبكتا BBC البريطانية، وقناة "راي 2" الإيطالية مؤخَّراً عدداً من الحلقات التلفزيونية، تناولت ممارساتِ بعض القساوسة والكرادلة والبطاركة داخل الكنائس، **وكشفت النقاب عن آلاف الشكاوى التي وردت إلى "مجمع العقيدة والإيمان" بالفاتيكان.** وفي سياقٍ مُتّصلٍ كشفت مجلة "بانوراما" الإيطالية أنه بسبب تلك الممارسات اللأخلاقية أُحيِلَ مئاتُ الكرادلة والقساوسة إلى المحاكمات القضائية، التي بلغت أكثرَ من عشر محاكمات منذ عام 2001م.

وأضاف التحقيق الذي نُشِرَ يوم الجمعة 1 يونيو 2007م في مجلة "بانوراما" حول حالات الاعتداء على الأطفال من قِبَلِ رجال الدين: **"رغم الشكاوى الكثيرة إلى "مجمع عقيدة الإيمان"، التي تجاوز عددها بضعة آلاف، إلاَّ أنَّ الهيئة المذكورة التي كان يرأسها (البابا الحالي) (بنديكت السادس عشر) أخفت تلك الحقائق وتَستَّرَتْ عليها، فلم تتم إحالةُ أكثر مِن عددٍ هزيل من المُتَّهمين إلى القضاء"([[152]](#footnote-152)).**

"ونشر التحقيقُ رسالةً ظّلت قيدَ الكتمان ممهورةً بتوقيع الكاردينال "جوزف راتسنغر" (بابا الفاتيكان الحالي) موجَّهةً إلى كافة الهيئات الكنسية في العالم "ضرورة إبقاء هذه القضية ضمن الأسرار البابوية". وحسب التحقيق المذكور فإن رسالة "راتسنغر" المؤرَّخة في 17/5/2001م لا علاقة لها البتة بالشريط، الذي أنتجته وبثَّته محطة BBC حول حالات الاعتداءات الجنسية على الأطفال من جانب الكنيسة، والذي أعادت بثه لأولِّ مرّةٍ القناةُ الثانيةُ بالتلفزيون الإيطالي مساء الجمعة 1 يونيو 2007م.

ويتضمَّنُ التحقيقُ لائحةً بالقُضاة الكَنَسِيين المُكَلَّفين بمعالجة قضايا الاعتداء الجنسي، وقائمةً بالمؤسسات الإيطالية التي تستقبلُ الكهنة الذين يرتكبون هذه الجرائم لإعادة تأهيلهم.

وقد انتقد الفاتيكان بشدة بثَّ قناة (رأي 2) الحكومية الإيطالية للشريط الوثائقي الذي أنتجته هيئة الإذاعة البريطانية BBC ووصف الناطقُ باسم الفاتيكان الأب "فيديريكو لومباردي"، في حديثٍ لراديو الفاتيكان ... الشريطَ الوثائقيَ بأنه "سرد أحداثاً درامية ضمن إطارٍ مغلوطٍ ومنحازٍ"([[153]](#footnote-153)).

ثالثاً: حثَّ الواعظُ الشخصيّ للبابا بنيدكتوس السادس عشر، رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمية على إعلان يومٍ للصوم والتوبة عن الجرائم الجنسية التي استهدفت أطفالاً على أيدي رجال دين كاثوليك. وقد جاءت الدعوةُ في عظةٍ قبل عيد الميلاد استمع إليها الحبرُ الأعظم ومسؤولون في الكنيسة الكاثوليكية. **يُذَكُر أنَّ الكنيسة تعرّضت لهزةٍ بسبب سلسلةٍ من الفضائح تتعلق بإساءاتٍ جنسيةٍ للأطفال في السنوات الأخيرة، خاصّةً في أمريكا الشمالية وايرلندا.**

والواعظ البابويي الأب رانييرو كمانتالاميسا، هو الوحيد المخول بتوجيه العظة للبابا.

وفي عظته للبابا، قال الأب كانتالاميسا إنه يتعيَّنُ أن تُعِلنَ الكنيسةُ يوماً للصوم والاعتكاف، للتعبير بشكلٍ علنيٍّ عن التوبة أمام الله والتضامن مع الضحايا.

وقال إنَّ الوقت قد جاء لنصرخ أمام الله من أجل الفضيحة التي أَلَمَّتْ بالأخوة الصغار.

ولم يصدر ردُّ فعلٍ عامٍّ من البابا، ولكنه قال مؤخراً إنه يتعيَّنُ على الكنيسة اتخاذ كافة الخطوات اللازمة للحيلولة دون وقوع المزيد من حالات الاعتداء الجنسي على الأطفال من جانب القساوسة([[154]](#footnote-154)).

رابعاً: حكمتْ هيئةُ محلَّفين في ولاية كاليفورنيا الأميركية يوم الأربعاء بدفع ما يقرب من مليوني دولار لشقيقين تعرَّضا لانتهاكاتٍ جنسيةٍ مِن قَبِلِ قسٍّ كاثوليكي منذ ربع قرن.

والحكم ضّد أبرشية أوكلاند الكاثوليكية هو الثاني الذي يصدر في الأسابيع القليلة الماضية في منطقة سان فرانسيسكو اعتماداً على إجراءٍ تشريعيٍّ أقرَّتهُ كاليفورنيا يرفع مؤقتاً قانون التقادم عن مطالب التعويضات ضد القساوسة.

وفي القضية الأخيرة قال روبرت تاتشر "34 عاماً" وشقيقه توم "33 عاماً": إنَّ القسَّ روبرت بونسيرولي أساءَ معاملتهم عندما كانا طفلين يخدمان في الكنيسة في انتيوك شرق سان فرانسيسكو. وقال محامي الأخوين تاتشر: إنَّ الكنيسة كانت تعرفُ أنّ بونسيرولي يُسيء معاملة الأطفال ولكنها لم تُحَرِّكْ ساكناً.

وقال الأب مارك ويزنر المُتَحَدِّثُ باسم ابرشيه أوكلاند: "قطعاً يستحق روبرت وتوم تاتشر مقابلاً نقدياً لما تحمّلاه".

**وقال: إنّ المسؤولين في كنيسة اوكلاند يتمنّون التوصل إلى تسويةٍ في 40 أو 50 قضيةِ انتهاكاتٍ قام بها قساوسة.** وطالب محامٍ عن الأخوين تاتشر هيئة المحلَّفين يوم الثلاثاء بتعويضٍ قيمته 27 مليون دولار. واستُبْعِدَ بونيسرلي من صفوف القساوسة وهو يعيش في فلوريدا.

**وفي قضيةٍ أخرى الشهر الماضي قضت هيئةُ محلَّفين بدفع 437 ألف دولار مقابل أضرارٍ لحقت بضحيةٍ تعرَّض لانتهاكاتٍ جنسيةٍ قام بها قسٌ آخر في سبعينات القرن الماضي بعد الكشف عن أن أبرشيَّةَ كبير الأساقفة في سان فرانسيسكو كانت على علمٍ بالانتهاك.**

**وقالت دراسةٌ تمّت بتكليفٍ من الكنيسة نُشرت العام الماضي إنّ ما يقرب من 11 ألف شخصٍ اتَّهموا قساوسةً بانتهاكاتٍ جنسيةٍ ضدَّ الأطفال منذ عام 1950م إلى عام 2002م([[155]](#footnote-155)).**

خامساً: وصل بابا الفاتيكان إلى سيدني استعداداً للمشاركة في الأيام العالمية الثالثة والعشرين للشباب، وسط مطالباتٍ بضرورة أن يُقدم اعتذاراً رسمياً عن الفضائح الجنسية التي هزت الكنيسة الكاثوليكية في أستراليا. **وتزامن ذلك مع مطالبة تجمُّعٍ يُعرَفُ باسم "ضحايا الاعتداءات الجنسية في الكنائس" بضرورة أن يقدّم بنديكتُ السادس عشر اعتذاراً رسميّاً إلى الضحايا وذويهم لما تعرَّضُوا له من اعتداءاتٍ جنسيةٍ على يد رجال دينٍ ينتمون للكنيسة الكاثوليكية في البلاد.** وكان البابا أعرب ـ في تصريحٍ إعلاميٍّ على متن الطائرة التي أَقَلَّتْهُ إلى أستراليا ـ عن عزمه الأسفَ لما تعرَّض له بعضُ الأشخاص على يد أشخاصٍ ينتمون للكنيسة، وهو ما اعتبره تجمّعُ أسرِ وذوي الضحايا أقلَّ بكثيرٍ مما تطالب به([[156]](#footnote-156)).

**سادساً: كشف تقريرٌ جديدٌ أنَّ أكثرَ من مائة كاهنٍ في الكنيسة الكاثوليكية في "دبلن" على الأقل متورّطون خلال ألـ 66 عاماً الأخيرة بالاعتداء الجنسيّ على أكثر من 350 طفلاً.**

**وقال تقرير أصدرته مطرانيةُ دبلن: إنَّ أكثر من مائة كاهنٍ تورّطوا منذ عام 1940م في سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال، وهذا ما وُصِفَ بأنه أخطرُ اعترافٍ في الكنيسة الكاثوليكية بدبلن حتى اليوم. وقدمت المطرانيةُ التقريرَ للجنة التحقيق القضائية.**

ويقول رئيس الأساقفة ديرموند مارتن، في تصريح لـ "الغارديان" البريطانية، **إنَّ الكنيسة ستبيع ممتلكاتها لكي تدفع تعويضاتٍ مُعتبِرَاً أنّ هذه الخطوة هي تضحيةٌ من الكنيسة تكفيراً عن أخطاء الماضي.** وأشار إلى أنَّ ما جرى خلال السنوات الماضية في هذه الكنيسة كان صعباً جداً بالنسبة له مشيراً إلى أنّ معظم الكهنة لم يتورَّطوا في هذه الأعمال. وقد تمّ الكشفُ عن قضيةٍ مشابهةٍ في أبرشية بوسطن منذ 3 سنوات. **وأشار مارتن، الذي يرأسُ المطرانية منذ عام 2003م، إلى أنّ إجراءاتٍ تم اتخاذها ضدَّ اثنين وثلاثين كاهناً في دبلن، وتمَّتْ مراجعةُ ملفاتٍ شخصيةٍ لـ 2800 كاهن بين عامي 1940م و2006م وتم الادّعاءُ على واحدٍ وتسعين كاهناً فيما تحول الشكوك حول أحدَ عشرَ كاهناً. وأشارت "الغارديان" إلى أنَّ إيرلندا، البلد الكاثوليكي، اهتزت بعد الفضائح الجنسية في الكنيسة خلال العقد المنصرم حيث تورَّطَ الكهنَةُ في سوء معاملة الأيتام والاعتداء الجنسي على الأطفال. وفي أواخر العام الماضي كشف تحقيق أُجرِيَ على نطاقٍ ضّيقٍ في مقاطعة ويكشفورد وجود أكثر من مائة ادِّعَاءٍ بالتحرّش ضد واحدٍ وعشرين راهباً([[157]](#footnote-157)).**

**سابعاً:** **اعترف القس تيد هاجارد مستشار البيت الأبيض، وأحدُ أشهر الزعماء المسيحيين الإنجيليين الأمريكيين بممارسته الشذوذ الجنسيّ**، وهو الاتهام الذي أنكره مسبقاً، وتسبب في تنحيته عن منصبه كزعيمٍ للاتحاد الوطني للإنجيليين والذي يبلغ عدد أتباعه نحو 30 مليون أمريكي. وقال هاجارد في خطابٍ تلاه القسّ "لاري ستوكستيل" الذي خلفه في قيادة كنيسة "الحياة الجديدة" بولاية كلورادو يوم الأحد 15/11/2006م أمام ثمانية آلاف شخص: "أنا مُخادِعٌ وكاذِبٌ".

وقد ظلَّ القسُ البارز المعروف بمعارضته العلنية البارزة لزواج الشواذ ينفي الاتهاماتِ المنسوبةَ إليه من تعاطي المخدرات وممارسته الشذوذ الجنسيِّ مع المدلِّكِ الخاصِّ به مايك جونز، إلا أنَّ ذلك لم يمنع هيئة المراقبين التابعة للكنيسة من القول: **"لقد أثبتَتْ تحقيقاتنا وتصريحات القس هاجارد أنه متورطٌ لا محالة في ممارسة الشذوذ".**

**الفضيحة تَفَجَّرَتْ عندما صَرّحَ جونز (49 عاماً) بأنه مارس الجنس مع القس هاجارد، مقابل أجرٍ ماليٍّ كلَّ شهرٍ تقريباً، خلال السنوات الثلاث الماضية، وأنهما كانا يتعاطيان المخدرات قبيل اقترافهما الفحشاء!.** وأوضح جونز أنه أقدم على الإعلان عن العلاقة مع هاجارد، إثرَ التصويت الذي جرى مؤخراً في ولاية كولورادو وسبع ولايات أخرى، حول منع الزواج المثلي أو السماح به. وقال: **"لقد أغاظني أن يُلقي شخصٌ بالمواعظ ضد زواج المثليين (خلال الجدل الإعلامي الذي سبق عملية التصويت)، ثم يذهب ليمارس المِثليَّةً من خلف الستار"([[158]](#footnote-158)).**

**ثامناً:** **اعترف الفاتيكان بصحّةِ تقارير صحيفةٍ تحدَّثتْ عن انتهاكاتٍ أخلاقيّةٍ في صفوف الكنيسة، وقالت إنَّ قساوسةً ورجالَ دينِ كباراً أرغموا راهباتٍ على ممارسة الجنس معهم. وتعرّضتْ بعضُ الراهبات للاغتصاب وأُجبِرَتْ أخرياتُ على الإجهاض.**

وقال الفاتيكان في بيان له إنَّ القضية محدودةٌ ومتعلقةٌ بمنطقةٍ جغرافيةٍ محدودةٍ، لكنه لم يشر إلى هذه المنطقة الجغرافية، وكانت التقارير أَكّدت أن هذه الانتهاكات موجودةٌ في ثلاثة وعشرين بلداً من بينها الولايات المتحدة الأميركية والبرازيل والفلبين والهند وإيرلندا وإيطاليا نفسها. وقد أعدت التقرير الذي تحدث عن حالاتٍ مُحدَّدةٍ بالأسماء وحالاتٍ تورّط أصحابُها راهبةٌ وطبيةٌ تدعى ماروا أودونوهو، وقدمت الراهبة تقريرها إلى رئيس مجمع الفاتيكان للأوامر الدينية الكاردينال مارتينز سومالو في فبراير / شباط عام 1995م.

وقد أمر الكاردينال آنذاك بإنشاء فريق عملٍ من المجمع لدراسة المشكلة مع أودونوهو والتي كانت تعمل مُنَسِّقةَ الإيدز في منظمة (كافود) وهي منظمة دينية تابعة لطائفة الروم الكاثوليك تتخذ من لندن مقراً لها.

واشارت أودونوهو إلى أدلّةٍ واضحة على اتهاماتها، وقالت **إنه في إحدى الحالات أجبرَ قسيسٌ راهبةً على الإجهاض مما أَدَّى إلى موتها، ثم قامَ بنفسه بعمل قُدَّاسٍ لها.**

وبشأن أفريقيا قال تقريرها إنَّ الراهبات لا يستطعن هناك رفض أوامر القساوسة بهذا الشأن، **وأكدتْ أنّ عدداً من القساوسة هناك مارسوا الجنس مع الراهبات خوفاً من إصابتهم بالإيدز إذا "مارسوه مع العاهرات". وتُرْغَمُ الراهبات على تناول حبوبٍ لمنع الحمل، لكنها قالت: إنَّ مؤسسةً دينيةً اكتشفت وجودَ عشرين حالةِ حملٍ دُفعةً واحدةً بين راهباتها العاملات هناك.**

**وأشار التقريرُ إلى أنَّ الأسقف المحليَّ لإحدى المناطق طرد رئيسةَ ديرٍ عندما اشتكت له من أنَّ تسعاً وعشرين راهبةً من راهبات الدير حُبالى بعد أن أُرْغِمْنَ على ممارسة الجنس مع القساوسة([[159]](#footnote-159)).**

تاسعاً: وفي نهاية حديثنا عن هذا الموضوع فإننا نحيلُ القارى الكريم إلى عدد مجلة التايم الأمريكية المنشور بتاريخ 1/5/2002م ليقرأ فيه الملف المؤلم الطويل الذي نشرته الكاتبة جوانا ماكجيري، والذي جاء فيه:

**بعدما كثرت وتزايدت الاتهاماتُ بالاعتداءات الجنسيَّةِ التي يرتكبها الرهبانُ الكاثوليك وبعد التستُّرِ الرسميِّ عليها، طالب الرومان الكاثوليك الغاضبون قادتَهم ورؤساءَهم بإصلاح الدين المسيحي. فالصدمة هي أنَّ حالاتٍ كثيرةً من هذا القبيل انتشرت كفيروسٍ قاتلٍ في نظر الرأي العام.** فالأمر لم يعد يقتصر على بوسطن بل تَعَدّاهُ إلى لوس أنجلوس وسانت لويس ومينوستا وفيلادلفيا وبالم بيتش وفلوريدا وواشنطن وبورتلاند وماين وبرايدج بورت وكنكنتيكت. والمريعُ في كل هذه الحالات ليس تفرّدها بهذه القضية بل في الشَّبَهِ المُرعِبِ بينها. فقد تنوعت وتعددت الاتهامات الموجهة للرهبان الكاثوليك بالاعتداء الجنسي على الأطفال واتهامات للكنيسة التستر عليها سواءٌ القضايا التي تورَّط فيها الأب دان أوليفر أو روكو أو بريت.

**الشبهةُ الثامنة عشرة ودفْعُها:**

لمّا عجز الرهبان الطاعنون وكلُّ مَن شايَعهم على الإتيان ولو بجزءٍ من كتابٍ يصلحُ لأن يُعارِضَ القرآن الكريم، ولمّا سَلَّمَ الكثيرون من خبراء اللغة ونقد النصوص الأدبيّة ومِن فلاسفة الغرب المسيحيين الغربيين بأنّ هذا القرآن لا يمكنُ أن يكون من وضع محمدٍّ **فقد نسبوا مصدرَ هذا القرآن إلى الجنّ والشياطين. وزعموا أنَّ الشّيطان هو الذي كان يوحي إلى محمدٍ هذا الكتابَ ليُفسِدَ على الناس دينهم ويصدَّهُم عن الدخول في المسيحيّة.**

**ولم يعجز هؤلاء الطاعنون عن إيجاد مُستنَدٍ لإثبات صحّة ادِّعائهم، فاحتجّوا بقصّة الغرانيق التي ساقّها المفسِّرُ الطبريُّ في (جامع البيان)** كسببٍ لنزول قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**"([[160]](#footnote-160)).**

وقد ساق الطبريُ رواياتٍ متعدّدةً لقصّة الغرانيق، تعدّدت فيها الأسماء والأحداث،كما أنّه ساق هذه القصّة كذلك في (تاريخ الأمم والملوك). ويُمكننا بعد قراءة كلِّ ما كتبه في (جامع البيان وفي تاريخ الأمم والملوك) أن نستخلص مُختصَرَاً مفيداً للقصّة، حتى نقوم بعد ذلك بمناقشتها سنداً ومتناً. وتالياً ملخَّصُها([[161]](#footnote-161)):

إنّ رسول الله قد آلمه انفضاضُ قومه عنه وصدودهم عن دعوته، وكان من شدّة حُبِّهِ لهم،أحرصَ الناس على هدايتهم لدين الله، فتمنّى أن يأتيه من الله ما يقرِّبُ بينه وبينهم. وفي يومٍ جاءه "الأسود بن المطلب" و"الوليد بن المغيرة" و"أمية بن خلف" و"العاص بن وائل"، وهم من زعماء قريشٍ وأسيادها وقالوا له: يا محمدٌ هلمَّ فلنعبدْ ما تعبدُ، وتعبدْ ما عبدنا فنشتَرِكْ نحنُ وأنتَ في الأمر. يا محمدُ إنّما يجالسك الفقراءُ والمساكينُ وضعفاءُ الناس فلو ذكرتَ آلهتنا بخيرٍ لجالسناك، فإنّ الناس يأتونك من الآفاق.

وقال أبو الوليد وكان كبيرَهم: قد عرفنا أنَّ الله يُحيي ويُميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكنّ آلهتنا تلك تشفعُ لنا عنده، فإنْ جعلتَ لها نصيباً فنحن معك.

وهكذا كانوا يَعرِضُون على الرسول صفقةً، أنُ يؤمنوا بالله وبالرسالة، مقابل أن يظلّوا على توسّلهم بالأصنام. فجاء ردُّ الرسول عليهم وحياً في سورة "الكافرون"، حيث يقول في جوابهم: " قُلْ يأَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ "([[162]](#footnote-162)).

على أنّ الرسول بقى يراوده الأمل في أنْ يراهم مُصَدّقين له وكان يقول في نفسه: ليته ينزلُ في ذلك أمرٌ يقرّبنا من قريش.

وذاتَ يومٍ وبينما كان رسول الله يتلو القرآن عند الكعبة ويقرأ سورة "النجم" فلمّا بلغ قوله تعالى: " أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى "([[163]](#footnote-163)). أجرى الشيطانُ على لسانه الجملتين التاليتين: "تلك الغرانيق العُلىَ، منها الشفاعة ترتجى). وفي روايةٍ أخرى (منها الشفاعة تُرتَضى).

فلما سمِعَ كفارُ قريشٍ ذلك فرحوا وسرَّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتَهم، وقَرأَ محمدٌ ما بعدها من آياتٍ، ولمّا بلغ آية السجدة فيها وختم السورة، سَجَدَ هو ومَنْ حضرَ من المسلمين والمشركين إلاّ الوليد بن المغيرة لكِبَرٍ في سنه، فأخذه بيده من البطحاء فسجدَ عليها.

وفَرحَ المشركون، وارتفعت نداءاتُهم يقولون: لقد ذكرَ محمدٌ آلهتنا بخير. ولمّا كان كلُّ حيٍ من العرب له وثنُه، وكانت له تلبيتهُ الخاصّةُ حول الكعبة، أصبحت تلبيةُ اللات والعُزَّى ومناة هي كما أجراها الشيطان (أرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الكبرى، تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة تُرتَجى).

وانتشر نبأُ هذه المُصَالَحة وعمَّ بين الناس، وهلّلت قريشٌ في الرّكبان أنَّ التقاربَ قد حدث بينها وبين رسول الله في مكّة. حتى بلغ خبرُ السجدة المهاجرين في الحبشة من أصحاب رسول الله، وقيل لهم أسلمتْ قريشٌ، فقرَّرَ رجال منهم العودة إلى مكة.

فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ، عليه السلام، فعرضَ عليه السورة، فلمّا بلغ الجملتين اللتين ألقى بهما الشيطانُ عليه قال جبريل: ما جئتُكَ بهاتين!! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتِكَ به من الله عزّ وجلّ، وقلتَ ما لم يَقُلْ لكَ، فقال رسولُ الله: افتريتُ على الله وقلتُ ما لم يَقُلْ، فأوحى الله إليه " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً \* وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً "([[164]](#footnote-164)).

فما زال رسول الله مغموماً مكروباً، يلوم نفسه أنه افترى على الله الكذب، [وحاشاه أن يفعل ذلك] حتى نزلتْ عليه الآية الكريمة: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"([[165]](#footnote-165)). تعزّيه وتهوِّنُ عليه الأمر، وتبلّغه أنّ ذلك أمرٌ شاعَ في الأنبياء قبله، فلم يكن قبله نبيٌ ولا رسولٌ تمنّى كما تمنّى، ولا أَحَبَّ كما أَحَبَّ، إلا والشيطانُ قد ألقى في أمنيته، وأجرى على لسانه آياتٍ مثلها، فنسخ اللهُ ما ألقى الشيطان ثم أحكم آياته. فذهب عن رسول الله الحزنُ.

وقالت قريشٌ: ندمَ محمدٌ على ما ذكرَ من منزلةِ آلهتنا عند الله فغيّر ذلك وجاء بغيره، فازدادوا شراً على ما كانوا عليه ...

لا شكَّ أنَّ هذه القصّة من الخُطورة بمكانٍ، وقد وجب التصدّي لها وتفنيدها وفحصها سنداً ومتناً. ولا يكفي لصحّة الاحتجاج بها مُجَرَّدُ ورودها في تفسير الطبريّ ـ يرحمه الله ـ ففي تفسيره الكثير الكثير من الروايات التي رَدَّها العلماء ولم يقبلوا الاحتجاج بها وذلك لوجودِ علّةٍ أو ضعفٍ أو انقطاعٍ أو إرسالٍ في أسانيدها.

**ومن الممكن حصر أسباب ردّ قصّة الغرانيق فيما يلي([[166]](#footnote-166)):**

**أولاً: مخالفتها الصريحة الواضحة لنصوص القرآن الكريم، التالية:**

1. قال تعالى في سورة الحاقة: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ \* لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ"([[167]](#footnote-167)).

2. وفي سورة يونس: " قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ"([[168]](#footnote-168)).

3. وفي سورة الإسراء: " وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً"([[169]](#footnote-169)). فكلمة "كاد" تفيدُ أنَّ الأمر لم يحصل.

4. وفيها قوله: " وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً"([[170]](#footnote-170)). فكلمةُ "لولا" تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدلَّ على أنَّ ذلك الركون لم يحصل.

5. وفي سورة الفرقان: " كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً"([[171]](#footnote-171)).

6. وفي سورة الشعراء نصٌّ قاطعٌ ينفي ذلك بتاتاً: " وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ \* وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ"([[172]](#footnote-172)).

**ثانياً: مخالفتها للعقل السليم الذي يفهم الإسلام فهماً صحيحاً.** وتوضيح ذلك ما يلي:

1. إن النبي لم يحترم الأصنام في الجاهلية، ولم يُعرفْ عنه أنه تقرَّبَ إلى صنمٍ قط، وقد كسرَ النبيُ في فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً، فكيف يوقِّرُها وهو رسولٌ مِن الله سبحانه وتعالى؟ وكيف يتركه رَبُّهُ سبحانه وتعالى يسجد للأصنام بحسب هذه القصة الموضوعة؟! فهو مَنْ يأمرُ بطمس الأصنام، وتغيير معالمها!!.

2. لو جَوَّزْنَا ذلك لارتفعَ الأمانُ عن شرعه، ولجوَّزنا في كلِّ الشرائع أن تكون كذلك.

3. ليس من المعقول أن يعترفَ النبيُّ بشفاعة الغرانيق وهو يدعو إلى عبادة الله تعالى ويحارب الأصنام. ولو كان الشيطان له سلطانٌ عليه لدرجةِ أنه يُملي عليه ويحرِّكُ لسانَه بالكُفر، لكان أُلعوبةً له، ليس في هذه القصة فقط، بل في غيرها أيضاً. والنبيُّ معصومٌ من الشياطين بداهةً.

4. إنّ الاعتراف بشفاعةِ الأصنام كفرٌ مُخرِجٌ من المِلّة!!.

**ثالثاً: قصة الغرانيق مردودةٌ ومطعونٌ في سندها عند المحدّثين والمحقّقين.**

وبيان ذلك أنّنا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلّها مُرْسَلةً، باستثناء حديث ابن عباس، ولكنَّ طرقه كلّها واهيةٌ شديدة الضّعف، لا تنجبرُ بها تلك المراسيلُ. فيبقى النظر في هذه المراسيل، وهي كما علمنا سبعةٌ، صحَّ إسنادُ أربعةٍ منها، وهي مرسلُ سعيد بن جبير، وأبي بكرٍ بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبي العالية، ومرسل قتادة، وهي مراسيلُ يرِدُ عليها أحدُ الاحتمالين السابقين، لأنهم من طبقةٍ واحدةٍ: فوفاة سعيد بن جبير سنة (95 هـ) وابي بكر بن عبد الرحمن سنة (94 هـ)، وأبي العالية ـ واسمُه رفيع مصغّراً لسنة (90 هـ) وقتادة سنة بضع عشرة ومائة. والأول كوفي،والثاني مدني، والأخيران بَصْرِيّان. فجائزٌ أن يكون مصدرُهم الذي اخذوا منه هذه القصة ورووها عنه، واحداً لا غير، وهو مجهول. وجائزٌ أن يكون جمعاً، ولكنّهم ضعفاءُ جميعاً، **فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئنَّ النفسُ لقبول حديثهم هذا، لا سِيَّمَا في مثل هذا الحَدَثِ العظيم الذي يَمَسُّ المقامَ الكريمَ، فلا جرم تتابع العلماء على إنكارها، بل التنديد ببطلانها، ولا وجه لذلك من جهة الرواية إلاّ ما ذُكِرَ.** قال الفخر الرازي في تفسيره (6/193): "روي عن محمد بن اسحق بن خُزيمة أنه سُئِلَ عن هذه القصة؟ فقال: "هذه من وضع الزنادقة"، وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: "هذه القصة غيرُ ثابتةٍ من جهة النقل" ثم أخذ يتكلَّمُ في أنَّ رواة هذه القصة مطعون فيهم. وأيضاً: فقد روى البخاري في "صحيحه" أنَّ النبي قرأ سورة (النجم) وسَجَدَ وسَجَدَ فيها المسلمون والمشركون، والأنس والجنُّ، وليس فيه حديث الغرانيق، ورُوي هذا الحديث من طرقٍ كثيرةٍ، وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.

وقد تبع هؤلاءِ جماعةٌ من الأئمة العلماء رحمهم اللهُ تعالى ([[173]](#footnote-173)).

وفي نهاية ردّنا على شبهة الشيطان كمصدرٍ للقرآن وأنّه قد يُلقى على لسان محمد ما شاء فقد يواجهنا سؤالٌ لمعترِضٍ يقول فيه: **"إن كان ما ذكرتم صحيحاً فكيف تفسّرون قول القرآن: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"([[174]](#footnote-174))؟؟ فهذه الآية واضحةٌ في الدلالة على قدرة الشيطان على أن يُملي لمحمدٍ والأنبياء من قبله!!!**

**والردّ على هذا السؤال سهلٌ ميسورٌ لكلِّ مَن أراد الفهم الصحيح لها؛ ففيها يخبرُ اللهُ رسوَلهَ أنَّ كلَّ رسولٍ ونبيٍّ قبله كان يتمنّى ويرجو ويأملُ أنْ يؤمنَ به قومُه ويُصدِّقوه، وكان يبذلُ جهده في دعوتهم، ولكنَّ الشيطانَ كان يحاولُ تيئيسَه، ولذلك كان يُلقي في أمنيتهِ، ويُريه أنها مستحيلةٌ، وأنَّ قومه لن يؤمنوا به، فلا يُتعبُ نفسه معهم. وكان اللهُ يتداركُ رسوله برحمته، ويمنُّ عليه بالأمل، وبذلك كان ينسخُ ما يلقي الشيطانُ من وساوس، ويُحكمُ آياته، ويُبقي الرسولَ على ثقته وأملهِ وجهوده في الدعوة....**

**الشَّبهةُ التّاسعةَ عشرةَ ودفْعُها**

**إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ، يزعمُ أنّ محمّداً مكتوبٌ في التوراة والإنجيل. كما يزعمُ أنّ اليهود والمسيحيين من بعدهم اتّفقوا على محو اسم (محمدٍ) مِنَ الكتاب المقدَّس! فهل يُعقلُ أن يتّفقَ اليهود والمسيحيون في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه على محو اسم (محمد) من الكتاب المقدَّس، وهو غيرُ مذكورٍ فيه أصلاً؟؟**

- تتركب هذه الشّبهةُ من جزأين:

أولهما: القطعُ بعدم ورود نصٍّ كتابيٍّ يذكر اسمَ محمدٍ أو نبوّته.

ثانيهما: اتِّهامُ القرآن لأهل الكتاب بالتواطؤ والتآمر لمحو اسم محمّدٍ من الكتاب المقدس.

**- أمّا عن الردّ على الجزء الثاني من هذه الفرية**، فهوَ أنّ أساسها مبنيٌ على فهمٍ فاسدٍ؛ وهو أنّ المسلمين يعتقدون أنّ اسمَ النبيَّ الصريحَ، وهو محمدٌ بالعربية، مذكورٌ في التوراة والإنجيل" وهذا لم يَقُلْهُ عالِمٌ من علماء المسلمين ولا أخبرَ اللهُ سبحانه به في كتابه عنهم، ولا رسولُه ولا بَكَّتَهُمْ به يوماً من الدهر، ولا قاله أحدٌ من الصحابة ولا الأئمةُ بعدهم، ولا علماء التفسير، ولا المُعتنون بأخبار الأمم وتواريخهم.

وإنْ قُدِّرَ أنه قالهُ بعضُ عوام المسلمين يقصدُ به نصرَ الرسول فقد قيل: يضرُّ الصديقُ الجاهلُ أكثرَ مما يضرُّ العدو العاقل. وإنما أُتِيَ هؤلاء مِن قلَّة فهم القرآن، وظنّوا أنّ قوله تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ" [الأعراف: 175]، دَلَّ على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والإنجيل المخصوصين وأن ذلك لم يوجد البتة ... فالرب سبحانه: إنَّما أخبرَ عن كون رسوله مكتوباً عندهم، أي الإخبار عنه وصِفَتهِ ومَخْرَجِه ونعتهِ، ولم يُخْبِرْ بأنّ صريحَ اسمه العربيّ مذكورٌ عندهم في التوراة والإنجيل، وهذا أبلغُ من ذكره بمجرد اسمه، فإنّ الاشتراك قد يقعُ في الاسم فلا يحصل التعريفُ والتمييزُ، ولا يشاءُ أحدٌ يُسمَّى بهذا الاسم أن يدَّعي أنه هو إلاّ فَعَلَ، إذ الحوالة إنما وقعتْ على مجرّد الاسم، وهذا لا يحصلُ به بيانٌ ولا تعريفٌ ولا هُدىً، بخلاف ذكره بِنَعته وصِفته وعلاماته ودعوته وَصِفَةِ أُمَّتِه ووقتِ مخرجهِ ونحو ذلك، فإن هذا يُعَيِّنُهُ ويميِّزُه ويحصر نوعه في شخصه([[175]](#footnote-175)).

**- أمّا عن الردّ على الجزء الأول من هذه الشّبهة وهو القطع بعد ورود نصٍّ كتابيٍّ يذكرُ نبوّةَ محمدٍ**  فقد بحَثَ علماؤنا المهتمّون بدراسة اليهودية والمسيحيّة هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً ينمُّ عن اطِّلاعهم على الكتاب المقدّس ودراستهم له، وكانوا ولا زالوا يضعون بين كلِّ فترةٍ وفترةٍ كتاباً يتناول هذا الموضوع. ولعلَّ معظم عناوين أبحاثهم المتعلّقة به قد حملت عنوان (المبشِّرات) أو (البشارات) أو (التباشير). وهم يقصدون بها نصوصَ الكتاب المقدَّس التي تحدّثتْ عن أوصاف ونبوّة سيّدنا محمدٍ .

ولعلَّ أنفع كتبهم وأكثرها دقةً، حسْبَ تقييمنا المتواضع، خمسةٌ هي:

1. الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، يرحمه الله، ويكاد هذا الكتاب يكونُ العمدةَ في هذا الموضوع؛ حيث نَهلَ اللاحقون لابن تيمية من صفحاته خيراً كثيراً وبالذات تلميذه ابن القيّم. وقد شرح ابن تيمية في هذا الكتاب اثنتين وعشرين بشارةً من بشارات الكتاب المقدّس بنبوّةِ محمدٍ .

2. هداية الحيارى لأجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية.

3. إظهار الحق، لرحمت الله الهندي.

4. محمدٌ في الكتاب المقدّس، لعبد الأحد داود، والذي كان يُسمّى سابقاً دافيد بنجامين كلداني، والذي كان أباً روحياً وقسّيساً لطائفة الكلدانيين.

5. تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ، للدكتور نصر الله عبد الرحمن أبو طالب. وهذا الكتاب جهدٌ علميٌّ ضخمٌ جمعَ فيه المؤلِّفُ خلاصة جهود السابقين في هذا الموضوع وناقشها فقبل بعضها واستبعدَ بعضَها الآخر لضعفٍ في دلالتها، كما قال، ثم أضافَ عليها بشاراتٍ جديدةً هامّةً، مؤكِّداً أنّ كلَّ ما ضَّمنهُ في كتابه هذا إنّما هو دلالةٌ قاطعةٌ لبشارات الكتاب المُقدَّسِ على الإسلام يستحيلُ تفسيرها بغير ذلك.

لقد رصدنا في هذه الدراسة الكتبَ الخمسة السابقة رصداً متأنِّياً، وقُمنا بتحليل أبرز مضامينها المتعلّقة بالبشارات الدالّة على أوصافه ونبوّته . وكان من نتائج ذلك، أنّ نصوص الكتاب المقدّس التي استدلَّ بها علماؤنا قديماً وحديثاً متشابهةٌ جدّاً بل تكاد تكون هي عينها التي استدلَّ بها كل منهم. وكذا كان حال التفسير والتوجيه الذي قدّمه كلٌّ منهم لهذه النّصوص، ولكنْ مع فروقٍ قليلةٍ غير هامّةٍ.

وقد تفاوتت أعداد هذه البشارات عند علمائنا حتى زادت عن الخمسين عند بعضهم، مع ذِكرهم لترجماتٍ وتفصيلاتٍ كثيرةٍ قد يُشكِلُ على الكثيرين فهمها.

ولتسهيل الأمر وتوطئته على القارئ الكريم، فإننا سنسوقُ أبرزَ وأهمَّ هذه البشارات مع شرحٍ مُختصَرٍ لها([[176]](#footnote-176)):

**أولاً: "جاء الربُّ مِن سِيناءَ وأشرقَ من سَعير وتلألأَ من جبل فاران".([[177]](#footnote-177))** وهذه البشارة متضمنةٌ النبوات الثلاث: نبوَّةَ موسى، ونبوَّةَ عيسى، ونبوَّةَ محمدٍ ؛ فمجيئه من "سيناء" وهو الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى ونَبَّأَه عليه، إخبارٌ عن نبوّته. وتجلِّيهِ من ساعير هو مظهرُ المسيح من بيت المقدس، و"ساعير" قريةٌ معروفةٌ هناك إلى اليوم، وهذه بشارة بنبوّة المسيح. و"فاران" هي مكّةُ. وشبَّه سُبحانهُ نبوّةَ موسى بمجيء الصباح، ونبوّةَ المسيح بعدها بإشراقهِ وضيائه، ونبوَّةَ خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق. وقد وقعَ الأمرُ كما أخَبرَ به؛ فإنّ الله سبحانه صَدَّعَ بنبوّةِ موسى ليلً الكفر فأضاء فَجْرَهُ بنبوّته، وزادَ الضياء والإشراق بنبوّة المسيح، وكَمُلَ الضياءُ واستعلنَ بنبوَّةِ محمدٍ صلوات الله وسلامه عليهم.

وذِكْرُ هذه النبوّات الثلاث التي اشتملت عليها هذه البشارةُ نظيرُ ذِكرِها في أول سورة " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ \* وَطُورِ سِينِينَ \* وَهَـذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ"([[178]](#footnote-178)). فَذَكَرَ أمكنةَ هؤلاء الأنبياء وأرضَهم التي خرجوا منها و"وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ" المرادُ بهما منبتهُما وأرضُهما وهي الأرضُ المقدَّسةُ التي هي مظهر المسيح، و"وَطُورِ سِينِينَ" الجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى فهو مظهرُ نبوَّته، و"وَهَـذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ" مكّةُ، حرمُ الله وأمنه التي هي مظهرُ نبوَّةُ محمدٍ صلوات الله عليه وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظيرُ تلك الثلاثة، سواءٌ قالت اليهودُ: "فاران" هي أرض الشام وليست أرضَ الحجاز أم لم تقلْ. وليس هذا ببدْعٍ من بُهْتِهم وتحريفهم، فعندهم في التوراة: إنّ إسماعيل لمّا فارق أباه سَكَنَ في بريّة فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظُها "وسَكَنَ في بريّةِ فاران، وأخذت له أمُّهُ زوجةً من أرض مصر"([[179]](#footnote-179)).

ولا يشكُّ علماءُ أهل الكتاب أنَّ فاران مسكنٌ لآل إسماعيل، فقد تَضَمَّنَت التوراةُ نبوّةً تنزلُ بأرض فاران، وتضمَّنت نبوّةً تنزل على عظيمٍ من ولد إسماعيل، وتضمَّنتْ انتشارَ أُمَّتِهِ وأتباعه حتى يملأؤا السهل والجبل. ولم يبقَ بعد هذا شُبهةٌ أصلاً في أنَّ هذه هي نبوّةُ محمدٍ التي نزلت بفاران على أشرف ولد إسماعيل حتى ملأت الأرض ضياءً ونوراً وملأ أتباعهُ السهل والجبل. وهنا نسألُ منكري ذلك والمكابرين: أيُّ نبوَّةٍ خرجت من الشام فاستعلَتْ استعلاءَ ضياءِ الشمس، وظهرت فوق ظهورِ النبوَّتينِ قبلها؟!.

**ثانياً: "هو ذا عبدي الذي أعضُدُهُ مُختاري الذي سُرَّتْ به نفسي، وضعتُ روحي عليه، فيُخْرِجُ الحقَّ للأمم، لا يصيحُ ولا يَرفعُ ولا يُسمَعُ في الشارع صوتُه، قصبةً مرضوضةً لا يَقصِفُ وفتيلةً خامدةً لا يُطفئُ، إلى الأمان يُخْرِجُ الحقَّ، لا يكلُّ ولا ينكسرُ حتى يضع الحقّ في الأرض وتنتظرُ الجزائرُ شريعته. وهكذا يقولُ خالقُ السماوات وناشرُها، باسطُ الأرضِ ونتائِجِها مُعطي الشّعبِ عليها نَسمةً والساكنين فيها روحاً، أنا الربُّ قد دعوتُكَ بالبِرِّ فأمْسِكُ بيدك وأَحَفَظُكَ وأجعلُكَ عهداً تفتح للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العميّ، لتُخْرِجَ من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظُّلمِة"([[180]](#footnote-180)).**

**"هو ذا الأوّلياتُ قد أتت والحديثات أنا مُخبِرٌ بها، قبل أن تَنْبُتَ أعلمُكم بها، غنّوا للربِّ أغنيةً جديدةً تسبيحةً من أقصى الأرض، أيها المُنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسُكَّانُها. لِتَرْفَعِ البريةُ ومدنُها صوتَها، الدِّيارُ التي سكنها قيدارُ، لتترنَّمْ سكانُ سَالِعُ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الربَّ مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الربُّ كالجبار يخرجُ، كرجل حُرُوبٍ يُنْهِضُ غيرتَه، يهتف ويصرُخُ ويقوى على أعدائه"([[181]](#footnote-181)). "يَخْزَى خِزَياً المُتَّكلِونَ على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتنَّ آلهتنا ..."([[182]](#footnote-182)).**

هذا حديثٌ بَيِّنٌ عن عبد الله المُخْتَارِ الذي سَيُرْسَلُ إلى كلِّ الأمم ... الذي تنتظر الأممُ شريعتَه والنور الذي معه والذي من خلاله سيتم عهد الله مع أمم الأرض.

مُؤيّدٌ بالله محفوظٌ مِن قِبلِ الله يأتي بشريعة وتسبيحةٍ جديدةٍ ... يُفَتِّحُ بها عيون العُمي من بين الظلمات، ويُخرج بها الناسَ من حبس الدنيا، إلى سعة الدنيا والآخرة. فتبدّدُ الظلماتِ في أرض البرية التي سكنها قيدار ابن إسماعيل (الحجاز والجزيرة العربية) ... فيعبدون الله ويُسَبِّحُونه ويرفعون أصواتهم بذكره من فوق الجبال (بما فيها جبل سلع في المدينة) ... ويقاتلون أعدءهم فَيُنْصَرون عليهم ...

ما تَمَّتْ هذه النبوءةُ إلا بظهور الإسلام من جزيرة العرب حيث سكن أبناءُ إسماعيل الذين قاموا بنشره بين أمم الأرض ... فنقلوها من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سَعَة الدنيا والآخرة ... وأخرجوا الحقّ والإِيمان الذي طالما كان مُستضعَفَاً ومُطارَداً إلى برّ الأمان والعزّة ... وكان المصطفى المختار، ، قد لُقِّب في القرآن مراراً بعبد الله، وهو الذي تَعَهَّدَ اللهُ بحفظه وعصمته من الناس وأَيَّدهُ بنصره، ووَهبَه خُلُقاً عظيماً وجعله إماماً في مكارم الأخلاق.

هذه النبوءة لا تنطبق على كورش الفارسي كما هو واضح، وإنْ كانت إصحاحاتٌ تاليةٌ تتحدثُ بعد ذلك عن شخصية كورش، إلا أنَّ المشهورَ عنه وَثَنيَّتُهُ وعدُم إيمانه، فكيف يُنسَبُ إلى المرسَلين؟ وكورش لم ينشر النور ولا الهدى في أرض بني إسماعيل، ولا أصبح الناسُ من بعده في هذه الديار مؤمنين، ولا تنطبق هذه النبوءة من أيِّ ناحيةٍ على المسيح عليه السلام، خلافاً لزعم المسيحيين ... هذا إضافةً إلى نسبة العبودية إلى هذا الرسول، وهم يزعمون أنه هو الله أو أنه ابنهُ المساوي له في الجوهر والمقام ... ويكفي، فوقَ أنَّ هذه النبوّةَ لم تتحقق إلاّ على يدي رسول الله محمد ، يكفي بها تلك الإشارة الواضحة إلى موطن ظهور المختار وأنها الديار التي سكنها قيدار ... وقيدار هو ثاني أبناء إسماعيل كما تذكرُ التوراة. وقد أورد المؤرِّخون اسمه ضمن أسماء أجداد قبيلة قريش التي سكنتْ مكةَ، والتي ظهر منها رسولُ الله محمد والسؤال ـ الذي ليس له إلاّ جوابٌ واحدٌ ـ هو متى تبَدّدت الظلماتُ في الحجاز؟ ومتى آَمنَ أبناء إسماعيل بالله وتركوا عبادة الأصنام إلاّ عند مجيء رسول الله محمد ؟ هذا في الوقت الذي أعلن فيه المسيح، عليه السلام، عن خصوصيّة دعوته لبني إسرائيل، وأنَّ هدفها تبشيرهم بقرب مجيء مملكة الله حتى يستقبلوها برضىً وإيمان.

**ثُمَّ**، مَنْ غيرُ رسول الإسلام محمد مُؤَهَّلٌ لهذه الصفات..؟ هو المختار (مختاري) أو المصطفى والمصطفى من أسمائه وألقابه المشهورة ... هو الذي أعلنَ منذُ اللحظة الأولى في دعوته أنهُ رسولٌ لكلِّ الأمم (فيُخْرِجُ الحقَّ والعدل للأمم) .. ولم يكن ذلك لأيِّ نبيٍ قبله بما فيهم عيسى، عليه السلام، الذي نُقلتْ عنه الأناجيلُ الحاليّةُ إعلانه أنَّ دعوته خاصّةٌ ببني إسرائيل ... وهو صاحبُ اللقب "عبد الله" في الوحي ... ولم يشتهر أحدٌ بهذا اللقب أو يُعرفُ به ـ وإن كان الجميع عبيد الله ـ إلاّ رسولُ الإسلام محمد . وهو النبيُّ الذي اشتُهِرَ بأخلاقه وكمال أدبه وإن كانت أخلاقهم جميعها لعالية ... وأُثِبْتَ الثناءُ على أخلاقه في مواضعَ متعددةٍ من القرآن الكريم لتكون شاهداً لنبوّته في حياته وبعد مماته. ويكفي هنا تذكيرُ القارئ الكريم بقوله تعالى "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"([[183]](#footnote-183)). فما كان يرفعُ صوته في الأسواق والطرقات ... كان يبني ولا يهدم ... كان يفرح ويشجِّعُ على الخير حتى وإن كان ضئيلاً بل يأمرُ بالخير وعمله حتى لو كانت القيامةُ بادئةً كما في أمره بمواصلة الغرس حتّى لو قامت القيامة... ولم ييأس في دعوته ولم يكلَّ حتى انتصرَ الدِّينُ الذي جاء به وأقام دولته التي حكمتْ جزيرةَ العرب كاملةً في حياته ... ومن بعد موته انتشر الدِّينُ خارج الجزيرة وبلغ الأمصار التي كانت تنتظرُ شريعته ... "لا يكلّ ولا ينكسر حتى يَضَعَ الحقَ في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته".

**ثالثاً: 1. "فقال لها [لهاجر] ملاكُ الربِّ: ارجعي إلى مولاتِكِ واخضعي تحت يديها. وقال لها ملاكُ الربِّ: تكثيراً أُكَثِّرُ نسلَكِ فلا يُعدُّ مِن الكثرةِ وقال لها ملاكُ الربِّ: ها أنت حُبْلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل"([[184]](#footnote-184)).**

**2. "وأما إسماعيلُ فقد سَمِعْتُ لكِ فيه، ها أنا أباركه وأُثْمِرُهُ وأُكثِّرُه كثيراً جداً، إثني عشر رئيساً يلدُ، وأجعله أُمَّةً كبيرةً"([[185]](#footnote-185)).**

**3. "قومي احملي الغُلامَ [أي إسماعيل] وشُدّي يدَكِ به لأني سأجعلهُ أمّةً عظيمةً"([[186]](#footnote-186)).**

**4. ونادى ملاكُ الربِّ إبراهيمَ ثانيةً من السماء، وقال بذاتي أقسمتُ يقول الربُّ إنّي من أجل أنَّكَ فعلتَ هذا الأمرَ ولم تُمسكْ ابنَكَ وحيدك أُبِارككَ مباركةً وأُكَثِّرُ نسلكَ تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلُكَ بابَ أعدائه ويتبارك في نسلِكَ جميعُ أمم الأرض"([[187]](#footnote-187)).**

تتأكَّدُ هذه البشارة لإبراهيم في مباركة ذريّته في مواضع متعددةٍ كما نرى ... ثلاثُ مراتٍ منها خاصّةٌ بنسل إسماعيل وأخرى بنسله عامّةً ... تتكرر الثلاث الأولى مؤكدةً بأنّ أبناء إسماعيل سيكثرون، ويبارك اللهُ فيهم حتى يكونوا أمةً عظيمةً وكبيرةً ... ومعلوم بدهياً أن أبناء إسماعيل لم يكونوا سوى قبائل قليلةٍ متناحرةٍ بينها بالجزيرة العربية، ويعبد غالبيتُها الأصنام ... وقد أُهْمِلَ ذِكُر العرب على مدى التاريخ، وأصبحوا موضعَ احتقارٍ من اليهود من أبناء يعقوب وإسحاق ومن الأمم الأخرى ... فهم الأمةُ الوثنيّةُ الجاهلة، ولم يتحقق لأبناء إسماعيل ذِكْرٌ ولم يصيروا أُمَّةً عظيمةً غالبةً على أعدائها إلا بظهور رسول الله محمد بينهم ... فلمّا ظهر بينهم رسولُ الله أظهرهم اللهُ بفضله على سائر الأمم فحكموا بالإسلام معظم المعمور من الأرض في الزمن الماضي، من أطراف الصين حتى إسبانيا وتوالت بعد دولةِ الرسول دولُ الأمويين والعباسيين وغيرهم وهم من أبناء إسماعيل مباشرةً ... واستمر الحكم الإسلامي بعد ذلك في حكم العثمانيين، وهم إن لم يكونوا عرباً إسماعيليين فقد حكموا مُنتَسِبين لرسول الله فَكَأَنَّهم ولاةٌ عنه في أمّةٍ عظيمةٍ، راسخةٍ في الأرض ـ وإن ضعفت أحياناً ـ زعيمُها ومُؤَسِّسُها رسول الله .

ولولا أنّ الإسلام حق ... وأنّ رسول الله حَقٌّ، لما بُشِّرَ إبراهيم عليه السلام بظهور أبناء إسماعيل أُمّةً عظيمةً وكبيرةً ... فما كان الله عز وجلّ ليُبشِّرَ إبراهيم بضلال أبنائه ولكن بهدايتهم وكثرتهم على الحق والهدى.

**رابعاً: "أُقيمُ لهم نبيّاً من وسط إخوتهم مِثْلَكَ، وأجعلُ كلامي في فِمهِ، فيكلّمُهُم بُكِلِّ ما أوصيه به، ويكون أنَّ الإنسان الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلَّمُ به باسمي أنا أطالبهُ([[188]](#footnote-188))، وأمّا النبيُّ الذي يُطغي فيتكلَّمُ باسمي كلاماً لم أوصهِ أن يتكلَّم به، أو الذي يتكلَّمُ باسم آلهةٍ أُخرى فيموتُ ذلك النبيُّ"([[189]](#footnote-189)).**

هذا النصُّ مما لا يمكنُ لأحدٍ منهم جحدُه وإنكارُه ولكنْ لأهل الكتاب فيه أربعةُ طرقِ: أحدها: حملهُ على المسيح وهذه طريقة النصارى.

وأَمَّا اليهود فلهم فيه ثلاثةُ طرقٍ:

أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام، والتقدير: أُقِيمُ لبني إسرائيلَ نبياً من إخوتهم؟ أي لا أفعلُ هذا، فهو استفهامُ إنكارٍ حُذِفَتْ منه أداة الاستفهام.

الثاني: أنه خَبَرٌ ووعد، ولكنَّ المراد به شمويل النبيّ [صموئيل]، فإنّه من بني إسرائيل، والبشارةُ إنّما وقعت بنبيٍّ من إخوتهم، وإخوةُ القومِ هم بنو أبيهم، وهم بنو إسرائيل.

الثالث: أنه نبيٌّ يبعثه الله في آخر الزمان يقيمُ به مُلْكَ اليهود ويعلو به شَأْنُهُم وهم ينتظرون إلى الآن.

والذي نراه نحنُ أنّها بشارةٌ صريحةٌ في النبيّ العربي الأميّ محمدٍ بن عبد الله لا تحتملُ غيرَه. فإنها إنما وقعت بنبيٍّ من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم. والمسيحُ من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقالَ: أُقيمُ لهم نبيّاً من أنفسهم، كما قال تعالى: " لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً منْ أَنْفُسِهِمْ"([[190]](#footnote-190)).

وإخوةُ بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يُعْقَلُ في لغةِ أُمَّةٍ من الأمم أنَّ بني إسرائيل هم إخوةُ بني إسرائيل، كما أنَّ إخوةَ زيدٍ لا يدخل فيهم زيدٌ نفُسه. وأيضاً فإنه قال: "نبياً مثلك" وهذا يَدُلُّ على أنه صاحبُ شريعةٍ عامّةٍ مثل موسى وهذا يُبْطِلُ حَمْلَهُ على شمويل [صموئيل] من هذا الوجه أيضاً، ويُبطِلُ حملَهُ على يوشع من أربعة أوجه:

أحدها: أنه من بني إسرائيل لا مِن إخوتهم.

الثاني: أنه لم يكن مثل موسى، وفي التوراة: "ولم يقم بَعْدُ نبيٌّ في إسرائيلَ مِثلُ موسى. الذي عرفه الربُّ وجهاً لوجه. وفي جميع الآيات والعجائب التي أرسلهَ الربُّ ليعمَلَها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكُلِّ أرضه"([[191]](#footnote-191)).

الثالث: أن يوشع نبيٌّ في زمن موسى، وهذا الوعدُ إنما هو بنبيٍّ يُقيمه الله بعد موسى.

وبهذه الوجوه الثلاثة يبطلُ حملُه على هارون، مع أنّ هارون توفّي قبل موسى، ونبّأهُ اللهُ مع موسى في حياته.

الرابع: إن في هذه البشارة أنّه يُنزِلُ عليه كتاباً يظهَرُ للناس مِن فيه، وهذا لم يكن لأحدٍ بعد موسى غيرِ النبي ، وهذا من علامات نبوّته التي أخبرَ بها الأنبياءُ المتقدِّمون.

**خامساً: "ترنّمي أيتهُا العاقرُ التي لم تَلِدْ، أشيدي بالترنُّمِ أيتها التي لم تَمْخَضْ، لأنَّ بني المستوحِشَةِ أكثرُ من بني ذات البعل قال الربُّ. أوسعي مكانَ خيمتكِ ولتُبْسَطْ شقُقُ مساكنِك. لا تمسكي أطيلي أطنابَكِ وشَدَّدي أوتادَكِ، لأنك تمتدِّينَ إلى اليمين وإلى اليسار ويرثُ نَسلُكِ أمماً ويَعمرُ مدناً خَرِبةً، لا تخافي لأنك لا تَخْزِينَ .."([[192]](#footnote-192)).**

لا يستقيمُ المعنى هنا إلاّ بأن يكون الخطابُ موجَّهاً إلى مدينة مكة لا القدس ... فإن مكّةَ هي مدينةُ هاجر وإسماعيل .. وبنو المستوحشة التي تركها بعلُها هم بنو هاجر وإسماعيل ... وقد وُصِفَ إسماعيلُ، عليه السلام، في التوراة المعاصرة بأنه وحشيٌّ (مستوحِش). وقد ظلّتْ مكة مهجورةً مُوحِشةً من الوحي، عاقراً لا تلد أنبياء كمدينةِ القدس ... فجاءتها البشرى هنا بأنّ أبناءها سيكثرون ... وهو ما ينسجم مع البشارات السابقة والعديدة حول إكثار أبناء هاجر، وما ينسجم مع واقع الناس في الماضي والحاضر ... فسيكثر أبناء إسماعيل كما بُشِّرَ بذلك من قبل وستمتدُّ دولتهم وأُمَّتُهم إلى ما حولهم من البلاد والمدن فيعمرونها ويقيمون دولةً عالمية تنضوي تحتها الأمم (ويرث نسلُكَ أمماً) ... وهو ما تم فعلاً على أيدي أبناء إسماعيل فقط، ولم يتمَّ مثلُه على أيدي أبناء ذات البعل سارة عليها السلام.

فهذا تبشيرٌ واضحٌ بالإسلام ودولته ... إذ لم يتحقق لأبناء إسماعيل (أبناء هاجر / أبناء مكة) ذِكرٌ ولا تاريخٌ إلا بمجيء الإسلام.

**سادساً: البشارات الواردة في إنجيل يوحنا بـ (البارقليط أو الفارقليط) أو (المُعَزّي)، وهي التالية:**

**1. "بهذا كَلّمتُكُمْ وأنا عندكم، وأما المُعَزّي الروحُ القدُس الذي سيرسلُه الآبُ باسمي فهو يُعَلِّمُكُم كلَّ شيءٍ ويُذكِّركُم بكلِّ ما قلتُه لكم ..."([[193]](#footnote-193)).**

**2. "وأنا أطلبُ من الآب فيُعطِيكم معزِّياً آخر ليمكُثَ معكم إلى الأبد .."([[194]](#footnote-194)).**

**3. "لَكِنّي أقولُ لكم الحقَّ إنه خيرٌ لكم أن أنطلقَ، لأنَّه إنْ لم أنطلِقْ لا يأتيكُمُ المُعَزِّي ولكن إنْ ذهبتُ أُرسِلُهُ لكمُ، ومتى جاء ذاك يُبَكِّتُ العالمَ علي خَطِيّةٍ وعلى بِرٍّ وعلى دينونةٍ"([[195]](#footnote-195)).**

**4. "ومتى جاء المُعَزَّي الذي سأُرسلُهِ أنا إليكم من الآب رُوحُ الحقِّ الذي من عند الآب يَنبثِقُ فهو يشهدُ لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنَّكُم معي من الابتداء"([[196]](#footnote-196)).**

**5. "إنّ لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقولَ لكم، ولكنْ لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأمّا متى جاءَ ذاكَ روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقّ، لأنّه لا يتكلَّمُ من نفسِه، بل كلُّ ما يَسَمعُ يتكلَّمُ به ويخبركم بأمورٍ آتيةٍ، ذاك يمجّدني، لأنّه يأخذُ ممّا لي ويخبرُكمُ"([[197]](#footnote-197)).**

وننبِّهُ قبل الشروع في تفسير المعاني المقصودة من النصوص السابقة من إنجيل يوحنا إلى أمرين هامَّينِ:

**الأمر الأول:** إنّ هناك خلافاً شديداً قد وقع بين العلماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب من المسيحيين في ترجمة كلمة (Paraclytos) اليونانّية إلى اللغة العربيّة، ففي حين ترجمها المسيحيون المعاصرون إلى لفظ (المُعَزّي) تَمَسَّك العلماء المسلمون بترجمتها إلى (الفارقليط أو البارقليط)([[198]](#footnote-198))، وقد احتّج العلماء المسلمون بأمرين، أولهما أنّ كلمة المعزّي هي ترجمةٌ لكلمة (Paracalon) التي لم ترد في الإنجيل اليونانيّ وليست ترجمةً لكلمة (Paraclytos) التي وردت بحرفيّتها في الإنجيل اليونانيّ. وثاني الأمرين اللذين احتّجَ بهما العلماء المسلمون هو وجود لفظ (الفارقليط) في الأناجيل القديمة التي كانت مُستعملةً أيام الإمام الماوردي على سبيل المثال وهو متوفَّى في عام (450 للهجرة)، وقد أورده في "أعلام النبوّة". كما كان هذا اللفظ موجوداً في الأناجيل التي كانت مُستعملةً أيام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو متوفّى في عام (728 للهجرة)، وقد أوردَها عدّة مراتٍ في "الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح".

**الأمر الثاني:** لا يُنكرُ علماء المسيحيين هذه البشارةَ، ولكنّهم يستدلّون بها استدلالاً، نراه خاطئاً، على المسيح، عليه السلام، تارةً وعلى الروح القدس تارةً أخرى. بينما يستدلُ بها العلماء المسلمون على سيّدنا محمدٍ .

ولكي لا نخوض في تفاصيل الترجمات، والاتهامات بصحّة الاستدلالات أو خطأها فيما يتعلّق بـ (البارقليط) أو (المعزّي)، فإنَّنا نرى أنّ الحلّ المناسب لهذه المشكلة هو إيراد وتحليل مواصفات هذا (البارقليط) أو (المعزّي) كما وردت في إنجيل يوحنا لنرى على أيِّ نبيٍّ أو شخصٍ تدلُّ، وذلك على النحو الآتي:

1. إنّ استخدام كلمة روح الحقّ في النصوص السابقة لا تدلُّ على الروح القدس، وذلك لما يلي:

أ. إنّ يوحنّا نفسه الذي وردت البشاراتُ السابقة في إنجيله قد عبَّر عن معنى النبيِّ الصادقِ بكلمة (روح الحقّ) كما عبَّرَ عن معنى النبيِّ الكاذبِ بكلمة (روح الضلال)، وقد ورد ذلك في رسالته الأولى، الإصحاح الرابع عند تحذيره من اتّباع الأنبياء الكَذَبةِ فقال: "أيّها الأحبّةُ لا تصدِّقوا كلَّ روحٍ، بل امتحنوا الأرواحَ هل هي من الله؟ لأنّ أنبياءَ كَذَبةً كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله"([[199]](#footnote-199)). وقال: "من هذا نعرفُ **روحَ الحقِّ وروحَ الضَّلال"([[200]](#footnote-200)).** وواضحٌ أنَّ يوحنا يتحدث هنا عن النبيِّ الحق الذي بَشَّرَ به المسيحُ، عليه السلام، وتمييزه عن الأنبياء الكَذَبَةِ الذين حذَّرَ منهم المسيحُ عليه السلام ... ولا معنى للحديث عن تمييز روح القدس عن الأنبياء الكذبة فليس ذلك ما يريد.

ب. إنَّ الروح التي زعموا أنها زارت جماعةً منهم لم تمكُثْ معهم إلى الأبد، ولم تُبَيِّنْ للعالم ضلالَ عقيدته عن الله وعن المسيح وعن الخطيئة والبِرِّ ويومِ الدينونة، ولا تنطبق بقيةُ الصفات أعلاه عليها، ثمّ كيف وهم يؤلِّهونَها والذي بَشَّرَ به المسيحُ، عليه السلام، مِنْ بعده يُوصفُ بأنه لا ينطقُ من ذات نفسه بل مما يُوحى إليه، **ثُمَّ إنها لم تُسمَّ هنا بروح القدس بل سُمِّيَتْ روحَ الحق.**

2. إنَّ محمداً هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، فَمَجَّدهُ والأنبياءَ ودفع عنهم افتراءات اليهود بأنَّ منهم مَنْ عبدَ الأصنام أو ارتكبَ الفواحش أو سرقَ أو سكرَ ... ودفعَ افتراءات اليهود عن المسيح وعن أُمّهِ عليهما السلام.

3. إنّ محمداً هو الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وبيَّن للناس أوجَه البِرِّ وأنذرهم يومَ الدينونة، وأخبرَ أنّ تعاليمه للناس هي الأخيرةُ من عند الله تعالى وبالتالي فهي أبديّةٌ ولن تتغيّر، ولن تُنسخَ.

4. إنّ محمداً هو النبيُّ الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، أُمّيّاً لا يقرأ بل يتلقّى الوحيَ سَمَاعاً ويقول للناس إنّه لا ينطقُ عن نفسه بل عن وحيٍ يُوحى من الله تعالى.

5. إنّ محمداً هو النبيُّ الذي جاء بعد عيسى، عليه السلام، وأخبرَ الناس بأحداثٍ قادمةٍ ستقعُ، ونبؤاتٍ ستتحقّقُ وقد وقعتْ وتحقّقتْ.

ونترك لرأي القارئ الكريم أن يختارَ ويقرّرَ مَنْ هو الذي تنطبق عليه الأوصاف السابقة أمحمدٌ هو أم الروح الحقّ؟؟؟ كما نتركُ لرأيه كذلك أن يتفكَّر فيما سُقناه من بشاراتٍ بنبوّته، عليه السلام، في الكتاب المقدّس ليقرِّرَ بنفسه أوردَ ذِكرهُ، عليه السلام، في الكتاب المقدّس أم لا؟؟.

**الشُّبهةُ العشرون ودفْعُها**

**إن كانّ قرآنُ محمدٍ موحىً به من عند الله كما يزعمُ، فكيف نُسَوِّغُ وجودَ النَّسخِ فيه؟ كيف يقول اللهُ قولاً ثمَّ يرجعُ عنه وينسخُه بقولٍ آخر؟؟ وإن كان اللهُ يعلمُ الغيبَ فكيف ينسِبُ إليه محمّدٌ أقوالاً ثمّ يزعمُ أنّه غَيَّرَها فيما بعد؟؟**

- إنّ الذي دفع هؤلاء الرهبان الطاعنين لنحت هذه الشبهة أمران اثنان: أمّا الأوّلُ فهو تصوُّرهم أنّ النسخ يُجَوِّزُ على الله تعالى البدَاء؛ بمعنى أنّه يأمرُ بأمرٍ ثم يعودُ عنه لحكمةٍ بدت له وظهرت بعد أنْ كانت خافيةً عليه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ هؤلاء الطاعنين يتوهّمون أنّ النّسخَ لم يَرِدْ في كتابهم المقدّس، وهذا أمرٌ غير صحيحٍ فقد وردت في الكتاب المقدّس آياتٌ ناسخةٌ للعديد من الأحكام في العهدين القديم والجديد، وهو ما سنذكرُ شواهده في نهاية تفنيدنا لهذه الشّبهة وردِّنا عليها.

ونقرُّ بادئ ذي بدءٍ أنَّ القرآن الكريم ذَكَرَ النسخ في عدّةٍ آياتٍ نذكرُ منها قوله تعالى: "مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ منْهَا أَوْ مِثْلِهَا"([[201]](#footnote-201)). ومنها قوله تعالى: "وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ"([[202]](#footnote-202)). وقد لخَّصَ الزرقانيُّ، يرحمه الله، الحِكَمَ الإلهيةَ في النسخ، فقال: "إنَّ الله تعالى حينَ نسخ بعضَ أحكامه ببعضٍ، ما ظَهَرَ له أمرٌ كان خافياً عليه وما نشأ له رأيٌ جديدٌ، كان يفقده مِن قبلُ، وإنّما كان سبحانه يعلمُ الناسخَ والمنسوخَ أزلاً من قبل أن يشرعهما لعباده، بل مِن قبلِ أن يخلقَ الخَلْقَ، ويبدأ السماء، والأرض؛ إلاّ أنه ـ جلَّت حكمتُه ـ عَلِمَ أنّ الحُكمَ الأول المنسوخ منوطٌ بحكمةٍ، أو مصلحةٍ تنتهي في وقتٍ معلوم. وعَلِمَ بجانب هذا أنَّ الناسخَ يجيءُ في هذا الوقت المعلوم منوطاً بحكمةٍ، ومصلحةٍ أخرى. ولا ريْبَ أنّ الحِكَمَ، والمصالحَ تختلفُ باختلاف النّاس، وتتجدَّدُ بتجدُّدِ ظروفهم، وأحوالهم، وأنّ الأحكام، وحِكَمَها، والعباد، ومصالحهم، والنواسخ، والمنسوخات كانت كلّها معلومةً له من قبل، ظاهرةً لديه لم يخفَ شيءٌ منها عليه. والجديدُ في النسخ إنما هو إظهاره تعالى ما عُلِمَ لعباده لا ظهور ذلك له"([[203]](#footnote-203)).

وقد ذكر صاحبُ "هدى الفرقان" كلاماً قريباً من كلام الزرقانيّ السابق في ردّه على إمكانية تجويز النسخ للبداء على الله تعالى فقال: "إنَّ نسخَ الله تعالى لحُكمٍ من أحكامه، أساسُه حِكمةٌ ظاهرةٌ، ومعلومةٌ لله تعالى، ويستحيلُ أن تخفَى عليه. وغايةُ الأمر أنّ الله تعالى عندما ينسخُ حكماً بحُكْمٍ آخر، فإنّ الحُكمَ الناسخ يأتي بحكمةٍ غير الحِكمة التي أتى بها الحكمُ الأولُ المنسوخ. وعلى اعتبار أنّ هناك مصلحةً جديدةً للعباد اقتضتها عمليةُ النّسخ، وجاء بها الحكمُ الناسخ. فمصالحُ العباد تتجدَّدُ بتجدُّدِ الأزمان، وتختلفُ باختلاف الأشخاص، والأحوال. ولذا فإنّ النَّسْخ يعني أن هناك مصلحةً جديدةً فيأتي الله بِحُكمٍ جديدٍ يتضمَّنُها، وينسخُ به الحكمَ السابق الذي يتضمن المصلحةَ السابقة. والله تعالى أَحَاطَ بكُلِّ شيءٍ علماً، فلا يستلزم النسخ إذن الجهلَ، أو العبثَ على الله تعالى"([[204]](#footnote-204)).

ولربّما يعترضُ مُعترِضٌ فيقول: إن النَّسخَ يقتضي اجتماع الضّدَّيْنِ، وهذا مُحالٌ وتوضيح ذلك: أن الله إذا أمرَ بحكمٍ فيعني هذا أنه حَسنٌ، ومرغوبٌ فيه، وإذا نهى عنه فيعني هذا أنه خبيثٌ، وغيرُ مرغوبٍ فيه، ولذا فالأمر بالشيء، والنهي عن معناه اجتماع الصِّفات المتضادة في الحكم الواحد، أو الفعل الواحد الذي تعلَّقَ به الأمر، والنهي.

**وهذا الاعتراض مردودٌ بما يلي:**

"إنَّ الحُسْنَ، والقُبحَ ليست من صفات الفعل الذاتي حتى تكون ثابتةً فيها لا تتغير؛ بل هي تابعةٌ لتعلُّق أمر الله، ونهيةِ بالفعل. وعلى هذا يكون الفعلُ حسناً، ومرغوباً فيه ما دام مأموراً به من الله تعالى، وكذلك يكون هذا الفعل نفسُه قبيحاً، وغيرَ مرغوبٍ فيه عند الله تعالى ما دام منهياً عنه منه تعالى. والقائلون بالحسن، والقبح العقلييْن هم المعتزلة، وهم يعترفون أنَّ الحُسنَ، والقُبحَ يختلفان باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأوقات. وبهذا التأصيل ينتفي اجتماعُ الضّديْن؛ لأنّ الوقتَ الذي يكون فيه الفعل حسناً غيرُ الوقت الذي يكون فيه ذلك الفعل قبيحاً، فلم يجتمع الحسنُ، والقبحُ في فعلٍ واحدٍ، وفي وقت واحدٍ"([[205]](#footnote-205)).

ولمزيدٍ من الفائدة التي نرجو أن تتحقّق للقارئ الكريم فإننا نَضَعُ بين يديه مزيداً من الفوائد والحِكَم التي تناسبُ أنواعَ النسخ المتعدّدة، نعم فلكُلِّ نوعٍ من أنواع النَّسخ حِكَمٌ وتُرافقه وتناسبه، ومِنْ ذلك ما يلي([[206]](#footnote-206)):

**أولاً: حكمة نسخ بعض أحكام الإسلام ببعض:** تتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في أنَّ الله أخذَ الناسَ بالتدريج في فرضيّة الأحكام، رأفةً بهم، وتيسيراً عليهم، وتدريباً للنفوس على تَقَبُّلِ الأحكام، وتلطُّفاً بالأمّة في التطبيق للفرائض، ومراعاةً للشعور في التحليل، والتحريم. ويدعم صحّة هذا الكلام قولُ عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها: "إنّما نزلَ أوَّلَ ما نزلَ منه سورةٌ من المُفَصَّلِ فيها ذِكرُ الجنة والنار، حتّى إذا ثابَ الناسُ إلى الإسلام نزلَ الحلالُ والحرامُ، ولو نزلَ أولَّ شيءٍ: لا تشربوا الخمر؟ لقالوا: لا نَدَعُ الخمرَ أبداً. ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا نَدَعُ الزنا أبداً"([[207]](#footnote-207)).

**ثانياً: حكمة نسخ الحكم الأصعب إلى الأسهل منه:** وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في التخفيف، والتسهيل، والتهوين على الناس؛ وإظهاراً لفضل الله، ورحمته بالعباد، وابتلاءً لهم في الشكر لله على نعمائه، وحفزاً لهم على طاعته.

**ثالثاً: حكمة نسخ الحكم الأسهل إلى الأصعب:** وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في كون هذا ابتلاءً، واختباراً للمؤمن في طاعة ربه، وتمحيصاً للنفس البشرية المؤمنة، من الكافرة، والصابرة من الهلوعة، والمُطْمَئِنَّةِ من المتُشَكِّكَةِ.

**رابعاً: حكمة نسخة الحكم إلى المساوي له:** وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في تثبيت أفئدة المؤمنين على الأحكام الربانيّة بِتَقَبُّلِ ما يُملى عليهم منها، ودعوتهم إلى الاستمرارية في الطاعة، والامتثال؛ حفزاً لهم في الأخذ، والتطبيق، وامتحاناً لهم في الطاعة، والقبول.

**خامساً: حكمة نسخة الحكم مع بقاء التلاوة:** وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في إسباغ الثواب الالهي على التلاوة؛ حيث إنَّ الآيات المنسوخة حكماً الباقية تلاوةً مُتَعَبَّدٌ بتلاوتها يُثاب المؤمن على مجرد قراءتها، وإنْ لم يُطَبِّقْ حُكمَها، فضلاً عن الثواب لمجرد الاستماع إلى التلاوة؛ وكل هذا من شأنه أن يغرس شواهد الإيمان في النفوس، ويعمق شواهد الطاعة للخالق المعبود.

**سادساً: حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:** وتتجلّى حكمة الله في هذا النوع من النسخ في الابتلاء الربانيّ للمؤمنين بتطبيق الأحكام، ومدى الالتزام بالأمر الربانيّ في تطبيق الحكم دون وجود اللفظ.

لقد كان من الجدير بالرهبان الطاعنين الاطَّلاعُ على الحِكَمِ الربّانية في النسخ والتماسها وفهمها عوضاً عن تقديمها في ثوب المَنْقَصَةِ والطَّعنِ فيها. وإننا إذ نقول ما نقول فسنقفُ بهؤلاء على أبرز ما ورد في كتابهم المقدَّسِ من الناسخ والمنسوخ الذي أنكروه ورفضوا الاعتراف بوجوده فيه.

**شواهد الناسخ والمنسوخ في الكتاب المقدّس**

نكتفي تحت هذا العنوان بإيراد بعض الشواهد من الكتاب المقدّس التي تُثبتُ وقوع النسخ فيه([[208]](#footnote-208)) وهي التالية:

**أولاً: الفرضُ بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام**، ودليله: "أجَابَ يَسُوعُ: وَإنْ كُنْتُ أشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ"([[209]](#footnote-209)). ثُمَّ **نُسِخَ هذا الفرضُ بصدق شهادة المسيح ابن مريم عليه السلام** وأنّها الآن ليستْ حقاً. ودليلهُ ما يلي: "إنْ كُنْتُ أشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقّاً"([[210]](#footnote-210)).

**ثانياً: السماح بالزواج من أُختين في نفس الوقت ليعقوب**، عليه السلام. ودليلهُ أنّ يعقوب قد تزّوج الأختين "ليئة وراحيل"([[211]](#footnote-211)) **ثُمَّ جاءَ نسخُ السَّماح بالزواج من الأختين**، ودليل ذلك: "وَلاَ تَأخُذِ امْرَأةً عَلَى أخْتِهَا للِضِّرِّ لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا"([[212]](#footnote-212)).

**ثالثاً: السماح بالزواج من العَمَّةِ** لعمرام أبي موسى عليه السلام. ودليلهُ: أثبت سفر الخروج إباحة الزواج بالعمة: "وَأخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتهُ زَوْجَةً لَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُون ومُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً"([[213]](#footnote-213)). ثم **جاءَ نسخُ السماح بالزواج من العمّة**، ودليل ذلك: "عَوْرَةَ أخْتِ أبيكَ لا تَكْشِفْ. إنَّهَا قَريِبَةُ أبيكَ"([[214]](#footnote-214)).

**رابعاً: إباحة الحلف بالله.** ودليله: "الرَّبَّ إلهَكَ تَتَّقِي وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ"([[215]](#footnote-215)). ثم جاء **نسخُ إباحة الحلف بالله**، ودليله ما يلي: "أيْضاً سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَحْنَثْ بَلْ أوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأمَّا أنَا فَأقْولُ لكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّة لاَ بالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللُّهِ وَلاَ بالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلاَ بأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلاَ تَحْلِفْ برَأسِكَ لأنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةٍ بَيْضَاءَ أوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّير"([[216]](#footnote-216)).

**خامساً: جاء الأمرُ بالقصاص في شريعة التوراة.** ودليل ذلك: "وإن حصلتْ أذيّةٌ تُعطي نفساً بنَفْسس وعيناً بعينٍ وسِنِّاً بِسِنٍّ ويداً بيدٍ ورِجلاً برِجلٍ وكَيّاً بكيٍّ وجُرْحاً بجُرحٍ ورضّاً برضٍّ"([[217]](#footnote-217)). ثمّ **جاء الإنجيل ونسخَ القصاصَ**. ودليلُ ذلك على لسان المسيح عليه السلام: "سمعتُم أنّه قِيلَ عينٌ بعينٍ وسِنٌّ بِسنٍّ، وأمّا أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرَّ بَلَ من لطمَك على خدِّكَ الأيمن فَحوِّل له الآخرَ أيضاً، ومن أرادَ أن يخاصمك ويأخذ ثوبكَ فاترُك له الرداء أيضاً"([[218]](#footnote-218)).

**سادساً: إباحة أكل كلِّ حيوانات الأرض.** ودليلهُ، "كلُّ دابّةٍ حيّةٍ تكونُ لكم طعاماً كالعُشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع"([[219]](#footnote-219)). **ثمّ جاء الأمرُ بنسخ ذلك، بتحريم أكل بعضها** كالخنزير على سبيل المثال، ودليل ذلك ما يلي: "والخنزيرَ لأنّهُ يشقُّ ظلفاً ويقسِمُه ظلفينِ لكنّه لا يجتَرُّ، فهو نِجسٌ لكم، من لحمها لا تأكلوا، وجُثَّتَها لا تلمسوا، إنّها نجسةٌ لكم"([[220]](#footnote-220)).

**سابعاً: قالت التوراة بفرض الختان على كل الذكور**، "وقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: وَأمَّا أنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي أنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ فَيَكُونُ عَلاَمَة عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أجْيَالكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ وَالْمُبْتَاعُ بفِضَّةٍ مِنْ كُلَّ ابْنِ غَرِيبٍ ليْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَاناً وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بفِضَّتِكَ فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لحْمِكُمْ عَهْداً أبَديّاً"([[221]](#footnote-221)).

وقد اختتن يوحنا المعمدان، "وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصِّبِيَّ وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أبيهِ زَكَرِيَّا. فَقَالَتْ أُمُّهُ: لاَ بَلْ يُسَمَّى يوحنّا"([[222]](#footnote-222)).

وكذلك اختتن المسيح ابن مريم عليه السلام: "وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ"([[223]](#footnote-223)).

ثم **قال الإنجيل بنسخ فرض الختان** حيثُ ألغاه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "هَا أنَا بُولُسُ أقُولُ لَكُمْ: إنَّهُ إنِ اخْتَتَنْتُمْ لاَ يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً! لَكِنْ أشْهَدُ أيْضاً لِكُلِّ إنْسَانٍ مُخْتَتِنٍ أنَّهُ مُلْتَزِمٌ أنْ يَعْمَلَ بكُلِّ النَّامُوس. قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أيُّهَا الَّذِينَ تَتَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوس. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ"([[224]](#footnote-224)).

**ثامناً:** تحدَّثَ إنجيلُ متّى عن أنّ **رسالة المسيح، عليه السلام، كانت موجّهةً لبني إسرائيل فقط.** ودليل ذلك "وقالَ لم أُرْسَلْ إلاّ إلى خِرافِ بيت إسرائيل الضّالَّةِ"([[225]](#footnote-225)).

ثم جاءَ إنجيل مرقس ليقرِّرَ بأنَّ **المسيح لم يُرسَلْ لبني إسرائيل فقط، بل للعالم كلِّه.** ودليل ذلك "وقال لهم: إذهبوا إلى العالمِ أجمَعَ، واكرزوا بالإنجيل"([[226]](#footnote-226)).

**تاسعاً: سمحت التوراةُ بالزواج من الأخت**، فقد ذكرتْ أنّ إبراهيم، عليه السلام، قد تزوج أخته سارة من أبيه: "وَبالْحَقِيقَةِ أيْضاً هِيَ أُخْتِي ابْنَة أبِي غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتِ ابْنَةَ أُمِّي فَصَارَتْ لِي زَوْجَةَ"([[227]](#footnote-227)).

ثمُ **جاءَ الأمُر بنسخ السماح بالزواج من الأخت**، ودليلُ ذلك: "مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ يَضَاجِعُ أُخْتَهُ ابْنَةَ أُمِّهِ أوِ ابْنَة أبِيهِ. وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ: آمِين"([[228]](#footnote-228)).

**عاشراً:** **أباحت التوراةُ الطلاق**َ "إذا أخذَ رجلٌ امرأةً وتزوّجَ بها فإنْ لم تَجِدْ نعمةً في عينيه لأنّه وجَد فيها عيبَ شيءٍ وكَتَبَ لها كتابَ طلاقٍ ودفَعهُ إلى يدها وأطلقَها من بيته ..."([[229]](#footnote-229)).

**ثم جاء الإنجيل بنسخ الطَّلاق وتحريمه**، ودليل ذلك ما يلي: "فالذي جَمَعُه اللهُ لا يفرِّقُه إنسانٌ. قالوا له فَلِمَاذَا أوْصَى مُوسَى أنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلّقُ؟ قَالَ لَهُمْ: إنَّ مُوسَى مِنْ أجْلِ قَسَاوِةَ قُلُوبِكُمْ أذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنْ الْبَدْءٍ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأقْولُ لَكُمْ: إنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأتَهُ إلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بأخْرَى يَزْنِي وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي"([[230]](#footnote-230)).

**حادي عشر: جاءت التوراة بحكم تقديس يوم السبت وتعظيمه** وتخصيصه للعبادة، لأنّه اليوم الذي استراح فيه الربُّ بعد إتمامه لخلق السماوات والأرض كما ذكرت التوراة "فأُكْمِلت السمواتُ والأرضُ وكلُّ جُندها، وفرغَ اللهُ في اليوم السّابع من عملهِ الذي عَمِلَ، فاستراح في اليوم السّابع من جميع عمله الذي عَمِلَ، وباركَ اللهُ اليومَ السابعَ وقدَّسهُ لأنّه فيه استراحَ من جميع عَملهِ الذي عَمِلَ اللهُ خالقاً"([[231]](#footnote-231)).

**ثُمَّ جاء الإنجيلُ لينسخَ تقديسَ السبت ويستبدِلَهُ بتقديس** وتعظيم يوم الأحد وجعله للعبادة. حيث يذكر الإنجيلُ أنّ السبب في ذلك راجعٌ لكون الأحد اليوم الذي قام فيه المسيحُ من قبره بعد الصَّلب ولكونه كذلك اليوم الذي كان فيه الرسل (تلاميذ المسيح) يجتمعون للعبادة أيام الكنيسة الأولى. وهنا نشيرُ إلى أنّ لفظ الأحد لم يُذكر في الإنجيل ولكنّ الذي ذُكِرَ هو الإشارة إليه بـ "اليوم الأوّل من الأسبوع"([[232]](#footnote-232)). كما جاء التعبيرُ عنه في رؤيا يوحنا بـ "يوم الربّ"([[233]](#footnote-233)).

**يُعتبَرُ ما سبق إيراده من شواهدَ أدلّةً قاطعةً على ورود الناسخ والمنسوخ في كتاب الرّهبان الطّاعنين المُقَدَّسِ. ولكن يبدو أنّ هؤلاء لا يقرؤون كتابهم حقَّ القراءة. وهذا صحيحٌ؛ فهم مُنشغِلون بقراءة كتابنا العزيز في محاولةٍ يائسةٍ منهم لإثبات بشرّيته ووقوع التناقض والاختلاف فيه، فعجباً لهم، عجباً!!!.**

**الشّبهةُ الحادية والعشرون ودَفْعُها**

**إنّ القرآن الذي جاء به محمدٌ مليءٌ بالتناقضات. وفيه آياتٌ تعارضُ وتناقضُ في مضمونها آياتٍ أُخريات. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:**

|  |  |
| --- | --- |
| **الآية** | **الآية التي تعارضها وتناقضُها** |
| **لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** | **وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ** |
| **لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ** | **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا** |
| **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** | **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** |

- مما لا شكّ فيه أنّ هذه الشبهة مُلتصقةٌ تمام الالتصاق بما سبقها من شبهة الناسخ والمنسوخ. وقد حرصنا على إيرادها وذِكرِ المُرَاد منها، والله أعلم بمراده، وذلك توضيحاً للقارئ الكريم، لئلا يقع في قلبه ما يرجوا الرهبانُ الطَّاعنون أن يقعَ، وإنّا لموردوها مع توثيقها وتخريجها، حيث حرص الرهبان على إيرادها دون توثيقٍ كما حرصوا على اقتطاعها وإخراجها من السِّياق الذي وردت فيه لِيُوهموا الناسَ بوقوع التعارض والتناقض فيها.

أمّا الآية الأولى فقد وردت في سياق قوله تعالى: "أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ \* لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"([[234]](#footnote-234)).

ومعنى قوله تعالى "لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ" "أيْ أنّ هذا الوعد بالبُشرى لعباد الله الصالحين في الدنيا والآخرة لا يُبَدَّلُ ولا يُخْلَفُ ولا يُغَيَّرُ، بل هو مُثْبَتٌ لا محالة، ذلك هو الفوز العظيم. فلا تبديل لأقوال الله تعالى ولا إخلافَ لمواعيده سُبحانه، كقوله تعالى: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ"، وذلك إشارةٌ إلى كونهم من المُبَشَّرِين في الدَّارين فلا خُلْفَ لوعده سُبحانه"([[235]](#footnote-235)).

وقيلَ في تفسيرها كذلك: لا تبديلَ لأخباره أيْ لا يَنسخُها بشيءٍ ولا تكون إلاّ كما قال([[236]](#footnote-236)).

أمّا قوله تعالى " وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ"([[237]](#footnote-237)). فهو يَتَحَّدثُ عن الناسخ والمنسوخ، والذي تقدّم القولُ فيه، ونُشيرُ هنا إلى أنّ "النسخ لا يكون إلاّ في الأحكام، أمّا العقائدُ فلأنّها حقائقُ صحيحةٌ لا تقبلُ التغييرَ والتبديلَ فبدهيٌ أَلاّ يتعلَّقَ بها نسخ ... ولا نسخَ لمدلولات الأخبار المَحْضَةِ لأنّ نسخها يؤدّي إلى كذب الشارع في أحد خبريه الناسخ والمنسوخ، وهو مُحَالٌ عقلاً ونقلاً"([[238]](#footnote-238)). وإنّه من الواضح تماماً أنّ الآية الأولى كانت تتحدث عن إخبار الله أنّ وعدَ عباده المصّالحين بالبشرى والتثبيت في الدنيا والآخرة وهو إخبارٌ لا يُخْلَفُ ولا يطاله النسخُ.

أمّا قوله تعالى: "وَاتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً"([[239]](#footnote-239)) فيعني أنه "لا مُغَيِّرَ ولا مُحَرِّفَ ولا مُزُيِل لكلمات الله تعالى ولا يقدرُ أحدٌ على تبديلها وتغييرها، إنّما يقدرُ على ذلك هو وحده " وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ"([[240]](#footnote-240)).

وقال القرطبيُّ: قيلَ هو مِن تمام قصّة أصحاب الكهف: أيْ اتَّبِع القرآن فلا مُبَدِّلَ لكلمات الله ولا خُلفَ فيما أخبر به من قصّة أصحاب الكهف([[241]](#footnote-241)). وقال الطبريُّ: لا مُغَيِّرَ لما أَوعدَ بكلماته التي أنزلها عليك أهلَ معاصيه والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناهُ إليك"([[242]](#footnote-242)).

ونُشيرُ هنا إلى أنّ بعض التفاسير المعاصرة لـِ (كلماته) أو (كلمات الله) قد جاءت بمعنى سنن الله وقوانينه في الكون. وعلى ذلك يكون معنى (كلمات الله) أو (كلماته) "آيات الله تعالى في الكون والسنن والقوانين التي وضعها اللهُ له فهي لا تتغيّرُ ولا تتبدّل"([[243]](#footnote-243)).

ومن المعاصرين مَن فسّرها بـ "قضاء الله الذي يقضيه في شؤون الكائنات"([[244]](#footnote-244)). ولا تعارض بين الآية السابقة من سورة الكهف (لا مبدِّلَ لكلماته) وبين قوله تعالى في سورة البقرة " مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"([[245]](#footnote-245)) لأنّ الآية الأولى تقول باستحالة أن يَقدِرَ أحدٌ على تغيير أو تبديل أو تحريف كلام الله، بينما الثانية تتحّدث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن، والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده ولا يقدرُ على نسخه أو تبديله أحدٌ سواه. وأنّه لا يكون إلاّ لِحِكَمٍ وفوائدَ سبقَ لنا ذكرُها وتعدادها في ردّنا على الشُّبهة السابقة.

أما قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"([[246]](#footnote-246))، فلا ندري كيف فهم الرهبانُ الطّاعنون تعارضه وتناقضه مع قول الله تعالى: " يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"([[247]](#footnote-247))؟؟

فالآية الأولى صريحةٌ في الدلالة على حفظ الله تعالى للقرآن الكريم من التغيير والتحريف والتبديل، والآية الثانية تتحدّث عن الناسخ والمنسوخ في القرآن والذي هو من اختصاص الله تعالى وحده، بل وهي تدلُّ على أنّ النسخ الذي يُحدثه الله تعالى لبعض آياته في القرآن الكريم معلومٌ مُقدَّرٌ عنده في اللوح المحفوظ (أم الكتاب) قبل خلقه تعالى للخلق.

قال قتادة وابن زيدٍ وسعيد جُبَير: يمحو اللهُ ما يشاء من الفرائض والنوافل فينسخُه ويُبَدِّلُه ويُثبِتُ ما يشاء فلا ينسخه، وجُملةُ الناسخ والمنسوخ عنده في أمِّ الكتاب"([[248]](#footnote-248)).

وإن كان الرهبان الطاعنون يتوهّمون ويزعمون وجود تناقضاتٍ وتحريفاتٍ في القرآن الكريم فإنّهم مطالَبون بالإجابة عن السؤالين التاليين:

**السؤال الأول: كيف نوفِّقُ بين نسخ الإنجيل لكثيرٍ من أحكام وتشريعات التوراة وبين قول المسيح عليه السلام "لا تظنّوا أنّي جئتُ لأنقُضَ الناموس أو الأنبياءَ. ما جئتُ لأَنقُضَ بل لأكمِّلَ. فإنّي الحقَّ أقولُ لكم إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ، لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يكون الكُلُّ"([[249]](#footnote-249))؟؟**

**فإنّ الذي نراه أن النسخَ الذي أحدثه الإنجيل على الكثير من أحكام وتشريعات التوراة إنّما هو نقضٌ وتبديلٌ وتغييرٌ وليس تكميلاً!!.**

**السؤال الثاني: ما تعليقُ الرهبان الطاعنين، يا تُرى، على نشر الهيئة الكهنوتية في الكنيسة الكاثوليكية لوثيقة "هِبَة الكتاب المقدَّس"، التي ذكرت أنّ بعضَ أجزاء الكتاب المقدّس غيرُ صحيحةٍ وأنّ علينا أَلاَّ نتوقَّعَ العثورَ على كلامٍ علميٍ دقيقٍ وإحكامٍ تاريخيٍ بالغِ الدّقّةِ أو تامٍّ في الكتاب المقدّس!!**

"أوردت صحيفة "التايمز" البريطانية، في عددها الصادر الأربعاء 5/10/2005، أنَّ الأساقفة ذكروا في وثيقتهم المُسَمّاة "هبة الكتاب المقدس"، "يجب علينا ألاّ نتوقَّع العثور على كلامٍ علميٍ دقيقٍ وإحكامٍ تاريخيٍ بالغ الدقة أو تامٍّ في الكتاب المقدس".

ويتزامن تقديمُ هذه الوثيقة مع النهوض المستمر لليمين المسيحي وخاصّةً في الولايات المتحدة الأمريكية. ويطلب بعضُ المسيحيين التأويلَ الحرفيَّ لقصَّة الخلق في سفر التكوين التي يتمُّ تعليمها مع نظرية النشوء والتَطُّورِ لـ "داروين"، معتقدين أنها نظريةٌ جديرةٌ بالتصديق حول كيفية نشوء العالم. وفصول سفر التكوين الـ 11 التي تروي قصّتين متناقضتين حول الخلق، هي من بين القصص التي يصرُّ الأساقفة الكاثوليك على أنها لا يمكن أن تكون "تاريخيةً".

وتضيف الصحيفة إنَّ الوثيقة تسرد موقف الكنيسة الكاثوليكية منذ القرن السابع عشر عندما أدانت غاليليو واعتبرته "مُهَرْطِقا" لسخريته من اعتقادٍ كان سائداً آنذاك حول الوحي الإلهي للكتاب المقدس، وذلك بدفاعه عن وجهة نظر كوبرنيكوس حول النظام الشمسي.

ويرى الأساقفة أنَّ الاطِّلاع على الكتابِ المقدَّسِ يجب أن يكون في ضوء معرفة أنه ـ أي الكتاب المقدس ـ كلمة الله التي تم التعبير عنها في لُغةٍ بشريةٍ.

ويقولون إنّ الكنيسة يجب أن تُقَدِّمَ الكتابَ المقدَّسَ عبر طرقٍ مناسبةٍ للزمن المتغير وطرق ذكية للناس الذي يعيشون في هذا العصر.

ويتابعون: "الكتاب المقدس فيه فقراتٌ صحيحةٌ تتحدَّثُ عن تخليص الإنسان ... لكن يجب علينا ألاَّ نتوقع دقةً كاملةً في الكتاب المقدس في مسائلَ دنيويةٍ أخرى".

وفي نفس السياق، يرفضُ الأساقفةُ في وثيقتهم نبوءات سفر الرؤيا، آخرِ كتابٍ في الإنجيل المسيحي، والذي يصف كتابهُ قيامةَ المسيح وموت البهيمة. ويعلِّقُ الأساقفة: إنَّ هذه اللغة الرمزية يجب أن تُحترمَ لما هي عليه ولكن ليس لكي يتم تأويلها بشكلٍ حرفيٍّ، كما يجب ألا نتوقعَ اكتشافَ تفاصيل في هذا الكتاب حول نهاية العالم".

وتختم صحيفة "التايمز" أن الأساقفة يذكرون في وثيقتهم أيضاً أنَّ الناسَ يتطلَّعون اليوم نحو الأشياء القابلة للتصديق والصحيحة والتي تكون جديرةً بالاهتمام"([[250]](#footnote-250))!!!

**الشُّبهةُ الثانية والعشرون ودَفْعُها**

**هاجم الرهبانُ الطاعنون عقيدةَ المسلمين في موضوع الجبر والاختيار، وكانوا في هجومهم هذا فريقين اثنين:**

**أما الفريق الأول: فقال بأن المسلمين جبريّون يعتقدون بعدم حرّية الإرادة البشريّة ويفرضون قَسْراً على التصرّفات البشريّة بسبب المعرفة الإلهية المُسبقة وبسبب النظام الإلهي، وهم يعتقدون بأنّ لكلِّ إنسانٍ قَدَرَهُ المكتوبَ على جبينه.**

**وأمّا الفريق الثاني: فَوَجَّهَ نقداً للإسلام في هذه القضيّة بحجّة أنّ محمداً نفسه كان غيرَ حاسمٍ في الإجابة عن سؤال (هل الإنسان حرٌّ أم مُجبرٌ في تصّرفاته؟) وأنَّ القرآن نفسَه فيه آياتٌ تتحدّث عن الجبر وأخرى تتحدّث عن الاختيار، وأنّ علماء الإسلام لم يتّفقوا على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة.**

**- أمّا عن عدم اتفاق علماء المسلمين على رأيٍ واحدٍ في هذه المسألة فهو كلامٌ باطلٌ مردودٌ.** لأنّ الذين كانوا يقولون بأنّ الإنسان مجبورٌ في أفعاله وأنّه لا خيار ولا قدرة له وأنّه كالريشة في مهبّ الريح، فهؤلاءِ نفرٌ قليلٌ ظهروا في التاريخ الإسلاميّ ثم ماتوا ومات معهم مُعتَقَدُهم وكان من هؤلاء الجعد بن درهم والجهمُ بن صفوان، وبعض المعتزلة. أمّا بقيةُ علماء الإسلام من أهل السنّة والجماعة فمتّفقون على أن الإنسان، فيما هو محاسبٌ عليه ومُجازىً به في الدنيا والآخرة، مُخَيّرٌ قد أعطاهُ اللهُ عقلاً وأعطاه مشيئةً وإرادةً يتصرّفُ بها، فإنْ فعلَ الخيرَ نال الثوابَ والأجرَ من الله تعالى، وإذا فعل الشرَّ استحقَّ العقابَ من الله تعالى. ولا شكّ أنَّ أهل السُّنّة والجماعة هم السواد الأعظم والأغلبية الساحقة من أبناء الإسلام. ولمّا كانت هذه الدراسة غيرَ مختصةٍ بدراسة موضوع الجبر والاختيار فإننا سنكتفي، لردّ شبهة الرهبان ومطعنهم في الموضوعِ، بإيراد إيجازٍ يُلَخِّصُ موقفَ ومُعتقَدَ أهل السّنّة والجماعة في موضوع الجبر والاختيار، على النحو التالي([[251]](#footnote-251)):

أ. لا خالقَ غيرُ الله، فأفعال العباد التي صاروا بها مُطيعينَ وعُصاةً، يخلقهُا الله تعالى، فالحقُّ سبحانه منفرِدٌ بخلق المخلوقات.

ب. أفعال الناس كلُّها لا تقعُ بغير مشية الله وقدرته، فالأدلة كلُّها تدلُّ على عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأشياء والأفعال.

ج. والإنسانُ، مع ذلك، غيرُ مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنها ليست لا إراديةً، وأنّ أفعال الإنسان، وإن كان اللهُ هو الذي خلقها، إلاّ أنّ الإنسان هو الذي فَعَلَها حقيقةً، وأنه اختارها وأرادها حقيقةً، وأنَّ نسبةَ أفعاله إليه نسبةٌ حقيقيّةٌ وليست مجازاً، ولذا بما أنَّ البشرّ فاعلون لأفعالهم حقيقةً، فإنّهم يستوجبون عليها المدحَ أو الذمَّ.

وباختصارٍ فإنَّ أفعال الناس لا يخلقها الناسُ، بل هي من خلق الله تعالى، وفعلِ الإنسان وكَسْبِه.

د. كونُ الله سبحانه وتعالى خالقاً لأفعال العباد، لا يعني أنَّ فعل العبد هو نفسُ فعلِ الله، ففعلُ العبد يخلقه الله، ويفعله العبد، ويكسب آثارَهُ العبدُ، سواء كانت هذه الآثار والنتائج، نفعاً أو ضرراً.

وقد بَيّن اللهُ تعالى أنه قد خلقَ كلَّ شيء، قال تعالى: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ"([[252]](#footnote-252)). وقال تعالى: "كُلٌّ مِنْ عِندِ اللَّهِ"([[253]](#footnote-253)). إنّ الله سبحانه وتعالى قد خصَّ الإنسانَ بطبيعةٍ خاصّةٍ، فقد خلق له قدرةً وإرادةً حُرّةً مُخْتارةً، تختار ما تريدُ من الأفعال دون إكراهٍ ولا إجبارٍ، وهذا واضح في قوله تعالى: "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ"([[254]](#footnote-254)) وفي قوله عز وجل " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً"([[255]](#footnote-255)) وفي قوله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**"([[256]](#footnote-256)).** وبناءً على ذلك فالإنسانُ يشاءُ ويريد ويفعل ويعمل ويصنع ويكسب، والله عزَّ وجلَّ بعد أن منحَ الإنسانَ الحريةَ والاختيارَ سَهَّلَ له السبيل إلى ما يختارُ أيّا كان اختياره، فلا يحملهُ عليه كرهاً ولا يجبره، ولكنه يُسَهِّلُ له سلوك ما يختار من سبيلٍ. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى"([[257]](#footnote-257)) ويقول تعالى: " فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"([[258]](#footnote-258)).

وأمثالُ هذه الآيات كثيرٌ جداً في القرآن، ويُلاحَظُ في الآيات كلِّها أنَّ العبد هو الذي يبدأ باختيار السبيل الأقوم، فتكون حينئذٍ هداية الله بفتح باب الخير له، أو باختياره طريق الشر ويتبع ذلك الإضلالُ مِن الله لمن بادر الضلال.

وخلاصةُ القول، إنَّ الجبرَ لا يكون مُطلَقاً، وإنَّ الاختيار، لا يجوز أن يكونَ مُطلقاً، بل الحقُّ التوسُّطُ بين هذين الرأيين، وذلك أن أفعال الإنسان ليست اختياريةً تماماً ولا اضطراريةً تماماً.

**- أمّا بالنسبة لردّنا على الرهبان الطاعنين الذين يتّهمون الإسلام بالجبرية فنقول([[259]](#footnote-259)):**

**أولاً:** إن الله الذي خلق الكون وقَدَّرَ سُنَنَهُ وأجرى حوادثه وفق تلك السنن التي قَدَّرها، عالِمٌ به وبحوادثه قبل وقوعها، وهو الذي خلق الإنسان، وخلق له إرادةً حُرَّةً وهو عالِمٌ به وبما سيختار. وعلِمُ الله هذا السابق لوقوع الحوادث، ومن جملتها أفعال البشر، لا يقتضي حَمْلَ الناس وإكراههم على تنفيذ مُقْتَضَى علْمِهِ. ولنضرب مثلاً من البشر أنفسهم على سبيل التقريب ـ ولله المثل الأعلى ـ فلو أنَّ مُعَلِّماً عرفَ مِن مجرى حياة تلاميذه خلال السنة كلها: صفاتهم، عاداتهم، ومواهبهم، لتمكَّنَ قبلَ الامتحان من أن يعرفَ إلى حدٍّ كبيرٍ الناجحَ والراسبَ، فهل نجاحُ أيِّ طالبٍ أو رسوبُه كما قال المعلم، كان إجبارياً لأنَّ المعلم علم بذلك؟؟

**ثانياً:** إذا كان ما يجري في الكون من حوادث، وما يفعله البشر كذلك من أفعالٍ ضمنَ مشيئة الله وتحقيقاً لقوانين أو خِطَطٍ أو سُنَنٍ قَدَّرَها لها، فلا ينتج عن ذلك وقوفُ الإنسان أمامها موقفَ الموافق لها والراضي عنها كُلِّها، لأنَّ مِن تلك التقديرات الإلهية: إرادة الإنسان، ومن الأوامر الإلهية الموجَّهة إلى الإنسان، أن يتولى تغيير أحوال وأوضاع واقعةِ أي (مُقَدَّرهِ).

فالقرآن الكريم يأمرُ الإنسان بمحاربة الكفر والظلم ... ومعنى ذلك أنَّ بعض ما يجري في الكون من الأقدار نفسها ينبغي مكافتحه، وهذه المحاربة نفسها من القدر، فقد جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهد خلافته قاصداً دخول الشام، فوجد الطاعونَ منتشراً فيها، فلم يدخل، فقال أبو عبيدةَ، رضي الله عنه: أتفرُّ مِن قدرِ الله؟! قال: أفَرُّ من قدِر إلى قدر الله؟! وهكذا يخطئُ مَنْ يظنُّ أنَّ الإسلام يطلب من الإنسان أن يقبل الواقع مُطَلقاً وأيّاً كان ذلك الواقع، وتسقط حجَّةُ مَنْ يقول كذلك بقبول الواقع، لأنه قدرٌ إلهي، فَمِنَ القدَرِ ما أُمِرْنَا أن نقاومه بَقَدَرٍ مثلهِ، فَعَمَلُنَا جزءٌ من القَدَرِ.

**ثالثاً:** القولُ بالجبر منافٍ للتوحيد، ومع منافاته للتوحيد فهو منافٍ للشرائع ودعوة الرسل والثواب والعقاب، فلو صحَّ الجبرُ لبطلت الشرائعُ، وبطل الأمرُ والنهي، ويلزم من بطلانِ ذلك بطلانُ الثواب والعقاب.

**أمّا بالنسبة لاعتراض الرهبان الطّاعنين على ذكر القرآن للجبر في آياتٍ وللاختيار في آياتٍ أُخرى،** **فنقول**: "لو أنّ القرآن الكريم صَرَّح بأنّ الإنسان مسلوبُ الاختيار دائماً لما كان هناك معنىً للمسؤولية، ولو سقطت المسؤوليةُ لسقطَ الجزاءُ على الأعمال، فلا يكون هناك فَرقٌ بين المُحسنِ والمُسيء. ولو صَرَّحَ بأنَّ له الاختيار المُطلَقَ في أفعاله، حتى أنّه يقدرُ على كلِّ ما يريد، لكان في هذا ما يُشبه أن يكونَ مُشَارَكةً لله في خلقه ... فَوقف القرآنُ فيها عند هذا الحدِّ، وعبرَّ عنها بآياتٍ، تدلُّ في مجموعها على أنَّ للإنسان اختياراً بمقدار ما يُصَحِّحُ مسؤوليَّتهُ، لا اختياراً مُطلَقاً يجعله يخرج عن حدوده البشرية، ولا جبراً مطلقاً يسلب عنه المسؤوليّة"([[260]](#footnote-260)).

**الشّبهةُ الثّالثةُ والعشرون ودفْعُها**

**في مواصلةٍ منه لنهج الضّغط والتضييق على غير المسلمين الذين يسكنون في البلاد الإسلامية شَرَعَ محمدٌ مبدأ الجزية عقاباً لِكُلِّ مَنْ رفَضَ اعتناق الإسلام من اليهود والمسيحيّين!!**

- يبدو أنَّ الرهبان الطّاعنين في حيرةٍ من أمرهم؛ فتارةً يقولون: إنّ محمداً قد أَجبرَ اليهود والمسحيّين الذين يعيشون في البلاد الإسلامية على اعتناق الإسلام بالقوّة والإكراه.وتارةً يقولون: إنّه قد فرضَ عليهم الجزية عقاباً لهم لأنّهم رفضوا الدخول في الإسلام!!.

ومن الواضح تماماً مدى التناقض بين هاتين الفِرْيتين، وقد تقدّم سابقاً الردُّ على أولاهما، ونذكر تالياً الردّ على أُخراهما:

إنَّ الذي فَرضَ الجزية هو الله تبارك وتعالى، وقد جاء الأمرُ بها في سورة التوبة في قوله تعالى: " قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"([[261]](#footnote-261)).

وتكاد تفاسير القرآن الكريم التي رجعنا إليها تُجمِعُ على أنّ معنى "وهم صاغرون" أي أَذِلاَّءُ مقهورون خاضعون لأحكام الإسلام. وليس هناك مجالٌ لتقديم تفسيرٍ جديدٍ يُخالِفُ التفاسيرَ السابقةَ من أجل التقرُّبِ من غير المسلمين وتطييب خاطرهم بتفسيرٍ أكثر ليونةً يرضون عنه ويقبلون به، لأنّ تفسيراً كهذا سيكون مُنافياً للحكمة التي لأجلها شرعَ اللهُ تعالى الجزية على أهل الكتاب. وهنا نلحظُ اختلافاً بين بعض الفقهاء والعلماء حول تعليل دفع أهل الكتاب للجزية على النحو التالي:

1. يرى صاحب الأحكام السلطانية([[262]](#footnote-262))، أنّه يجبُ على وليِّ الأمر المسلم أن يضعَ الجزية على رقاب مَن دَخلَ في الذَّمةِ مِن أهل الكتاب لِيقرّوا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حَقّانِ: أحدُهما الكفُّ عنهم، والثاني: الحمايةُ لهم ليكونوا بالكفّ آمنين وبالحماية محروسين.

2. يرى الإمام الشافعي أنها "وجبت بدلاً عن الدم وسُكنى الدار"([[263]](#footnote-263)). أي بدلاً عن عصمة دمائهم من القتل وبدلاً عن سُكناهم لدار الإسلام.

3. يرى المالكيةُ أنّها وجبت بدلاً عن القتل بسبب الكُفر([[264]](#footnote-264)).

والذي نختاره مِمّا سبق ذِكرُه وإيرادُه قولَ الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وهو منسجمٌ مع الآية الكرية الواردة في الموضوع (وهم صاغرون)، "فالصوابُ في الآية أنّ الصَّغَار هو التزامهم لجريان أحكام المِلَّةِ عليهم وإعطاءُ الجزية، فإنّ التزام ذلك هو الصَّغار"([[265]](#footnote-265)).

ولا يُجانبُ الصّواب أن نقول: إنّ الإسلام أجبرَ أهل الكتاب الذين يعيشون في دياره على دفعِ الجزيةِ مقابلَ تأمينه لسكنهم بأمانٍ وحمايته لهم ومنع أيِّ إنسانٍ من التعرُّض لهم أو الإساءة لهم، ومقابل ماذا؟ مقابل مردودٍ ماليٍّ صغيرٍ جدّاً "قدّره الشافعي، رحمه الله، بأربعةِ دنانير في السّنة على الكتابي الغنيِّ وبدينارٍ واحدٍ فقط في السنّة على الفقير المعتملِ منهم، وقدّره أصحابُ مالك بأربعة دنانير على أهل الذهب لا يُزادُ عليها. فإن كان منهم ضعيفٌ خُفِّفَ عنه بقدر ما يراهُ الإمام المسلم"([[266]](#footnote-266)). وذلك رَاجِعٌ لعدم تحديد مقدارها شرعاً.

وقد تقدّم معنا أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وضعَ الجزيةَ عن فقيرٍ من أهل الكتاب لا يقدرُ على دفعها وأنّه أعطاهُ من صدقات بيت المال. ويُفهم من هذا أنّ الجزية تسقطُ عَمَّنْ عَجِزَ عن دفعها من أهل الكتاب، "ولا يُكَلَّفُ أغنياءُ أهل الكتاب دفعها عن فقرائهم"([[267]](#footnote-267)). ومن المفيد هنا التنبيه على أنّ الإسلام لم يفرض الجزيةَ على كُلِّ فئات أهل الكتاب "فالذي دلَّ عليه القرآنُ أنَّ الجزيَة تُؤخذُ من الرجال المقاتِلين؛ لأنه تعالى قال: "قَاتِلُوا الذَّينَ" إلى قوله ـ "حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" فيقتضي ذلك وجوبَها على مَنُ يقاتل.ويدلّ على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتِلاً؛ لأنه لا مال له. وهذا إجماعٌ من العلماء على أنَّ الجزية إنما تُوضَعُ على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يُقاتِلون دون النساء والذرّية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني([[268]](#footnote-268)).

كما أنّه من المفيد التنبيه هنا إلى أنّ أهل الجزية إذا دفعوها فإنّه لا يجوزُ أن يُؤْخَذَ بعدها شيءٌ من ثِمَارِهم ولا تجارِتهم ولا زروعِهم.

ولعلَّ قصرَ دفع الجزية على الرجال القادرين على القتال وحملِ السلاح يعود لرغبة الشارع الحكيم في إشعار هذه الفئة من أهل الكتاب بهيبة السُّلطان المسلم وباستمراريّة خضوع هذه الفئة لأحكامه وسلطاته. ولو كان المقصود من الجزية، كما يزعم الرهبان الطّاعنون، الإمعان في إهانة وإذلال أهل الكتاب واستمرارية الضغط عليهم لفَرَضَ الإسلامُ الجزيةَ عليهم جميعاً رجالاً ونساءً وأولاداً وبناتٍ وشيوخاً ... ولفرضَ عليهم أداءَ مبالغَ ماليةٍ ضخمةٍ ترهقهم في الدَّفع والسَّداد وتجبرهم على الهجرة إلى ديارٍ غير ديار الإسلام. ثُمَّ لماذا يتجاهل ويتناسى الرهبان الطاعنون حقَّ الحكومات والدّول في فرض رسومٍ ومطالبَ ماليةٍ على رعاياها دون استثناء، فالرعايا المسلمون يدفعون الزكاة والرعايا غير المسلمين يدفعون الجزية.

ولعلَّ مقارنةً سريعةً بين الجزية والزكاة لكفيلةٌ بتذكيرنا بأنّ قيمة الجزية التي يدفعها غير المسلم مرّةً في السّنة لهي أقلُّ بكثيرٍ من قيمة الزكاة التي يدفعها المسلم مرّةً في السّنة، ويكون (الذميُّ) مُتمتِّعاً مقابل ذلك بالأمان والطمأنينة على نفسه وأهله وبيته وذريّته، وممارساً لعقائده وشعائره في دور عبادته وفي بيته بسقفٍ من الحريّةِ لم تعرف البشريةُ مثيلاً له في غير ظلِّ الإسلام. إننا نقول هذا الكلام ونحن نرى ما نراه من ظلمٍ واضطهادٍ وأذىً يلحق بالمسلمين الذين يعيشون في ديار الحضارة المسيحية الغربيّة من منعٍ للحجاب في بعض تلك الدول، ومن منعٍ لمآذن المساجد في بعضها الآخر، ومن حملاتٍ تشهيرّيةٍ يتعرّضون لها وهم الحبيب المصطفى ، هذا إضافةً لما تمارسه دول وحكومات الغرب (المُتَحَضِّرِ) بحقّهم من تمييزٍ في المعاملات وفي الوظائف العامّة، لا لشيءٍ إِلا لأنّهم مُسلمون لا يدينون دينَ الدولة المسيحية التي يعيشون في كنفها سواءً في أوروبا أو في أمريكا.

ينزعج الرهبان من كلمة (الجزية) ومن كلمة (صاغرون) وهم يتعامون تماماً عمّا تمارسه حكومات بلادهم من إذلالٍ وقهرٍ لشعوب العالم الإسلامي صباحَ مساء حتى جَعَلَتْهُمْ صاغرين حتى وهم في عقر دارهم!! ينزعجون من دينار ذهبٍ كان المسيحي يدفعه للدولة الإسلامية مرّةً واحدةً في السنّة ويتناسون المبالغ الضخمة والشروط والكفالات المالية المُرْهِقةَ التي يدفعها المسلمُ عندما يسعى للحصول على تأشيرة زيارةٍ أو عملٍ في بلاد الغرب المسيحي!!!.

بقي أن نضع بين أيدي القارئ الكريم معلومةً مفادها أنّ مفهوم (الجزية) غيرُ جديدٍ على الرهبان الطّاعنين فهم يعرفونه حقَّ المعرفة؛ إذ وَرَدَ في كتابهم المقدّس بعهديه القديم والجديد. فنحنُ نقرأ في العهد الجديد أنّ بولس الرسول قد حثّ أتباعه على دفعها وعدمَ التعرُّضِ للسلطان، وكذلك فعلَ المسيح، عليه السلام، عن محاولة اليهود لإيقاع الفتنة بينه وبين حكومة القيصر الروماني آنذاك. والدليل ما يلي:

أولاً: "فاعطوا الجميع حقوقهم: الجزيةَ لمن له الجزيةُ، الجبايةَ لمن له الجبايةُ. والخوفَ لمن له الخوف. والإكرامَ لمن له الإكرام"([[269]](#footnote-269)).

ثانياً: "أيجوزُ لنا أن نُعطيَ جزيةً لقيصرَ أم لا؟ فشعرَ بمكرهم وقال لهم: لماذ تُجَرِّبُونني؟ أروني ديناراً. لمن الصورةُ والكتابة؟" فأجابوا وقالوا: "لقيصر" فقال لهم: "أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله" قلم يقدروا أن يمسكوه بكلمةٍ قُدَّامَ الشّعبِ، وتعجبوا من جوابه وسكتوا"([[270]](#footnote-270)).

وقد وردَ في العهد القديم أنّ يعقوب، عليه السلام، قد أخذَ الجزية، كما وردَ أنّ يوسف عليه السلام قد دفعها والدليل على ما يلي:

أولاً: "وكانَ لمَّا تشدَّدَ إسرائيلُ أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً"([[271]](#footnote-271)).

ثانياً: "فعزم الأَمُوريون على السَّكنِ في جبل حارس في أيلّونَ وفي شعلبيّم. وقويت يدُ بيتِ يوسف فكانوا تحت الجزية"([[272]](#footnote-272)).

**الشُّبهةُ الرّابعةُ والعشرون ودَفْعُها**

**إنَّ القرآن الذي جاء به محمدٌ لا يتَّفقُ مع العقل في الكثيرِ من أحكامه وتشريعاته. وقد قام محمدٌ بفرض نصوص كتابه هذا على أتباعه، وأَوجبَ عليهم الالتزامَ بما جاء فيه وتنفيذه دونَ أن يسمحَ لهم بالتفكير في مضمامينه أو مناقشتها.**

**ولا زال التزامُ المسلمين بهذا الكتاب عائقاً أم تقّدُّمِهم العلميّ وتطوّرهم، حتى عصرنا هذا.**

- إنّ هذه التُّهمةَ والفرِية ساقطةٌ من عدَّة وجوهٍ، هي التالية:

**أولاً:** إنّ القرآن الكريم في إقامته لأدلّة وجود الخالق سبحانه وتعالى، أَمرَ الإنسانَ أوَّلَ ما أمره بإعمال النظر العقليّ في خلق الكون وموجوداته وما فيه من مخلوقاتٍ ليكون ذلك سبيلاً للاهتداء إلى وجود الله تعالى، ومن ثمّ ليكون سبيلاً للاهتداء إلى وحدانية الله عزّ وجلّ.

كما أنّ منهج القرآن في إثبات كلِّ قضايا الإيمان وأركانه يدعو العقل البشريّ إلى النظر والتأمُّل في مظاهر عظمة الله، عن طريق التفكير في كونه الواسع. والإنسانُ بحكم تفكيره القاصر لابدَّ له من الاستعانة بما ذكره القرآن الكريم عن تلك القضايا. ومن خلال النظر في الكون والنفس الإنسانية نتبيَّنُ أنه لا بُدَّ لكلِّ حادثٍ من مُحدِثٍ واستحالة أن يتمَّ هذا الخلق بلا خالق، قال الله تعالى: "أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ \* أَمْ خَلَقُواْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ"([[273]](#footnote-273)).

**ثانياً:** إنّ معرفة الله تعالى يجبُ أن تكون معرفةً يقينيّةً لا تحصُلُ بالتقليد. قال تعالى: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلا اللَّهُ"([[274]](#footnote-274)). ولذلك رفضَ القرآنُ الكريم التقليدَ في العقيدة وعدّه مانعاً للعقل البشري من التفكير. وأثنى اللهُ تعالى الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسَنه ويذرون ما هو غير حَسَنٍ " فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَـتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ"([[275]](#footnote-275)). كما ندَّدَ القرآنُ الكريم بالمقلِّدين الذين لا يُفكَّرون إلا بعقول غيرهم " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ"([[276]](#footnote-276)).

**ثالثاً:** إنَّ القرآن الكريم هو مصدُر العقلانية المؤمنةِ، والباعثُ عليها، والدّاعي لاستخدام العقل والتفكُّرِ والتدُّبرِ في آيات الله المنظورة والمسطورة جميعاً ... وآياتُ القرآن التي تحضُّ على العقل والتعقُّلِ تبلغُ تسعاً وأربعين آيةً ... والآياتُ التي تتحدث عن "اللُّبِّ" ـ بمعنى عقلِ وجوهرِ الإنسان ـ هي ستَّ عشرةَ آيةً. كما يتحدثُ القرآن عن "النُّهى" ـ بمعنى العقل ـ في آيتين ... وعن الفكرِ والتفكُّرِ في ثمانيةَ عشرَ موضعاً ... وعن الفقه والتفقُّهِ ـ بمعنى العقل والتعقُّل ـ في عشرين موضعاً ... وعن "التدبُّرِ" في أربعة آيات ... وعن "الاعتبار" في سبع آيات ... وعن "الحكمة" في تسعَ عشرةَ آيةً .. وعن "القلب" كأداةٍ للفقه والعقل ـ في مائةٍ واثنين وثلاثين موضعاً ... ناهيك عن آيات العلم والتعلم والعلماء التي تبلغُ في القرآن أكثرَ من ثمانمائة آيةٍ ... فالقرآن الكريم هو الدّاعي للتعقُّل والتدبُّرِ والتفقّه والتعلّم ... والعقل الإنساني هو أداة فقه الشرع، وشرطُ ومناطُ التديُّنِ بهذا الشرع الإلهي ... ولذلك لا أَثَرَ للشرع بدون العقل، كما أنه لا غنىَ للعقل عن الشرع، وخاصّةً فيما لا يستقلُّ العقلُ بإدراكه من أمورِ الغيب وأحكام الدين([[277]](#footnote-277)).

**رابعاً: أمّا بالنسبة لعلاقة القرآن بالعلم فنُذَكّرُ الرهبان الطاعنين بما يلي:**

1. تَمَيَّزَ الإسلام بكونه الدِّين الوحيد الذي جعل طلبَ العلم فريضةً على أتباعه. وقد كان أولَ ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ \* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ "([[278]](#footnote-278)).

2. ومِمّا يدلُّ على مكانة العلم في الإسلام، أنَّ الله تعالى أقسم به وبأدواته في القرآن الكريم، فقال الله تعالى: "ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"([[279]](#footnote-279)). فقد ابتدأت السورةُ بأحد الأحرف المُستَعمَلة في الكتابة، ثم أقسمَ اللهُ تعالى بالقلم الذي تُكتبُ به العلومُ والمعارف، وفي هذا تنبيهٌ من الله تعالى للخلق على ما أنعمَ به عليهم من تعليم الكتابة التي تُنال بها العلوم. ثم أقسمَ اللهُ تعالى بما يسطره الناس أي ما يكتبونه، وهذا قَسَمٌ بالعلم، وفي ذلك كله دلالةٌ على منزلة العلم وأهله([[280]](#footnote-280)).

3. الأمر بالاستزادة من العلم، فقد أمرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهَ محمداً ، بطلب المزيد من العلم بقوله تعالى: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً"([[281]](#footnote-281)). وإذا كان هذا الأمر للنبي وهو ذو منزلةٍ عاليةٍ علماً وفضلاً وكرامةً فإن المسلمين مدعوون لذلك لأنَّ خطابَ النبيِّ خطابٌ لأمّته([[282]](#footnote-282)).

4. أكَّدَ القرآن الكريم على أنّ العلم سببٌ مباشرٌ لرفعة العلماء وأنّه بالعلم يعلو قَدرُ الإنسان وتعلو منزلته، قال تعالى: " يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"([[283]](#footnote-283)).

**ولا نأتي بجديدٍ ولا نذيعُ سِرّاً إذا قلنا: إنّ القرآن الكريم قد قرَّر الكثير من الحقائق العلمية التي لم يقدر العلم على إثبات صحّتها إلاّ مؤخَّراً([[284]](#footnote-284)). إنّ الرهبان الطاعنين لمطالَبون أن يأتونا ولو بمثالٍ واحدٍ من القرآن الكريم يناقضُ حقيقةً علميةً ثابتةً.**

**وبعد أن طوينا صفحة الحديث عن منزلة العقل والعلم في القرآن الكريم نرى من المناسب أن نفتح الصفحةَ ذاتها في الكتاب المقدّس لنرى مدى انسجامه مع العقل وتوافقه مع العلم ولنرى موقع العلماء من سطوره.**

**أولاً:** يذكر العهدُ القديمُ من الكتاب المقدَّسِ أنّ الحيّة هي التي أغرت المرأة (حواء عليها السلام) لتأكل من الشجرة التي أوصى الربُّ آدم وحوّاءَ أَلاّ يأكُلا منها، فكانت النتيجةُ أن غَضِبَ اللهُ على الحيّة ولعنها وكتبَ عليها أن تسعى على بطنها زاحفةً وأن تأكل التراب طيلة حياتها!! وكذلك فقد حكمَ على المرأة عقاباً لها التعبَ والوجعَ عند الحمل وعند الولادة!!! "فقال الربُّ إلاله للحيّة لأنّك فعلتِ هذا ملعونِةٌ أنتِ من جميع البهائم ومن جميع وحوش البريّة، على بطنِك تسعين وتراباً تأكلين كلَّ أيام حياتك ... وقال للمرأة تكثيراً أُكَثِّرُ أتعابَ حَبَلكِ بالوجع تلدين أولاداً"([[285]](#footnote-285)).

**ثانياً:** يذكر العهد القديم من الكتاب المقدّس أنّ فترة النَّفَاس التي تقضيها المرأة بعد الولادة لتطهُرَ تكون أربعين يوماً إن كان مولودها ذكراً. بينما تمتدُّ هذه الفترة لتكون ثمانين يوماً إن كان مولودها أنثى!! "إذا حبلت امرأةٌ وولَدَت ذكراً تكون نجسه سبعة أيام ... ثم تُقيمُ ثلاثةً وثلاثين يوماً في دم تطهيرها ... وإن وَلَدت أنثى تكون نجسةً أسبوعين ... ثُمَّ تُقيمُ ستّةً وستّين يوماً في دم تطهيرها"([[286]](#footnote-286)).

**ثالثاً:** تتجلّى تناقضات العهد القديم مع العقل في أبرز صورها في سفر التكوين، والذي هو أولُ أسفار التوراة؛ ففي هذا السِّفر تبرز لدينا روايتان متناقضتان عن قضيّة الخلق وترتيبِ خلق المخلوقات في كلِّ واحدٍ من أيام الأسبوع، "كما يبرز لدينا تناقضٌ واضحٌ في الروايتين اللتين ذَكَرَتا موضوعَ الطُّوفان حيث أنّ إحداهما تذكر أنَّ سبب الطوفان هو ماءُ المطر، بينما تذكرُ الرواية الأخرى أنَّ سبب الطوفان مزدوجٌ؛ أيْ مِنْ ماء المطر ومن ينابيع الأرض. وبينما تذكر روايةٌ أنّ مدّة الطوفان أربعون يوماً تذكر نصوصٌ أخرى أنّ مدّة الطوفان كانت مائةً وخمسين يوماً"([[287]](#footnote-287)).

وممَّا يجدر ذكره هنا أنَّ كبار رهبان وعلماء المسيحيّة قد تصدُّوا للدفاع عن وجود التناقضات والأمور المنافية للعقل في الكتاب المقدّس بقولهم: إنّ ذلك يعود لضعف عقول الناس وعدم فهمهم له. وفي هذا يقول القديس أوغسطين "فعندما ألتقي في هذه الكتب بدعوى تبدو مناقضةً للحقيقة فإننّي عندئذٍ لا أشكُّ في أن نصَّ نُسختي لا يحتوي على خطأٍ أو أنّ المترجِمَ لم يترجم النصَّ الأصليّ بشكلٍ صحيحٍ أو أنّ مقدرتي على الفهم تَتَّسمُ بالضَّعف"([[288]](#footnote-288)).

**رابعاً:** المسيحيون متّفقون على أن المسيح، عليه السلام، هو الذي ألهم كُتَّابَ الأناجيل الأربعة (متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا) القيامَ بكتابتها، ويُفِهَمُ من ذلك وبكلِّ تأكيدٍ، استحالة وجود تناقضٍ أو تعارضٍ بينها وبين بعضها البعض، وذلك لأنها إلهامٌ من المسيح الربِّ وهنا نُذَكِّرُ الرهبان الطاعنين في القرآن الكريم والزَّاعمين وجود التناقض بين آياته ووجود التعارض بينه وبين العقل بما يلي([[289]](#footnote-289)):

1. إنّ الفصح([[290]](#footnote-290)) في الأناجيل الثلاثة مختلفٌ زمنياً مع عشاء المسيح الأخير مع الرسل، عنه في الإنجيل الرابع، فبينما يضعُ يوحنّا العشاءَ السريَّ "قبل عيد الفصح" يضعه الثلاثة الآخرون أثناء الفصح نفسه. ويُستنتَجُ من هذا اختلافٌ صريحٌ مع الحقيقة. ولا يمكن قبول هذه الواقعة بسبب وضع عيد الفصح المُعَيَّنِ بالنسبة إليه. وعندما نعلم أهمية الفصح في الطقوس الدينية اليهودية وأهميّة عشاء المسيح الوداعيّ مع تلاميذه، فكيف يُتَصَوَّرُ أن تفقد الذاكرةُ مركز أحدهما بالنسبة إلى الآخر في الرواية المنقولة فيما بعد من الإنجيليين!!.

2. تختلف روايات "الآلام"([[291]](#footnote-291)) بصورةٍ عامّةٍ فيما بين الإنجيلييّن وبخاصّةٍ بين الأناجيل الثلاثة الأوائل وإنجيل يوحنا. ويشغل العشاءُ الأخيرُ للمسيحِ والآلامُ في إنجيل يوحنا حَيِّزَاً كبيراً يكاد يكون ضعفَيْ الحَيِّزِ الذي عند مرقس ولوقا. وطولُ نَصِّهِ أكبرُ من الذي عند متى بمرّةٍ ونصفِ المرَّة. هذا ويروي يوحنا أيضاً خطاباً طويلاً جداً من المسيح إلى تلاميذه، يملأ من إنجيله أربعةَ فصولٍ أعطى فيه تلاميذَهُ الذين يوّدعهم آخرَ توجيهاته، ووصيته الروحيَّةَ، بينما لا نجدُ لذلك أيَّ أثرٍ في الأناجيل الأخرى. بل على العكس فإنّ متى ولوقا ومرقس، يروون صلاةَ المسيح في حديقة الزيتون التي لا يتكلَّمُ عنها يوحنا أبداً!!

3. إنّ الحدثَ الأهم الذي يصدم قارئ قصّةِ الآلام في إنجيل يوحنا، هو أنه لا يَتَعَّرضُ لأيِّ ذكرٍ لتأسيس سر "الأفخارستيا"([[292]](#footnote-292)) خلال عشاء المسيح الأخير مع الرسل!!

وما من مسيحيٍ لا يعرف صورة "العشاء السري"؛ حيث كان المسيح يجلسُ للمرَّةِ الأخيرة، إلى المائدة وسط الرسل. وقد أبرزَ أعاظمُ الرسّامين في هذا الاجتماع الأخير وبالقرب من عيسى يوحنا الذي جرت العادةُ على اعتباره كاتب الإنجيل المعروف باسمه.

ويوحنا الرسول، مهما كان مُدهِشاً هذا للكثيرين، ليس مُعتبرَاً في نظر أكثرية الاختصاصيّين كاتبَ الإنجيل الرابع الذي لم يذكر تأسيس الإفخارستيا. وهذا التقديس للخبز وللخمر اللذينِ يستحيلان جسدَ المسيح ودمَهُ هو العمل الطقسيُّ الأساسيُّ للمسيحيّة، يتكلم عنه الانجيليّون الثلاثة الآخرون كما ذكرنا آنفاً وإن كان بعباراتٍ مُختلِفةٍ. أَمَّا يُوَحنَّا فلا يذكرُ عنه أيَّة كلمةٍ!!.

4. إنّ يوحنا هو الإنجيليُّ الوحيد الذي نقل في نهاية عشاء المسيح السريِّ وقبلَ توقيفه واقعة الأحاديث الختامية مع الرسل التي خُتِمَتْ بخطابٍ طويلٍ جداً خصّصَ له أربعةَ فصولٍ من إنجيله، لا نجدُ أيَّةَ صلةٍ بها في الأناجيل الأخرى. ومع ذلك فإنَّ هذه الفصول تعالج عند يوحنا مسائلَ أوليَّةً في رؤى المستقبل ذاتَ أهميةٍ أساسيةٍ معروضةٍ بأسلوبٍ فخمٍ وإطارٍ عظيمٍ يتميز بهما هذا المشهد الوداعيُّ بين المعلم وتلاميذه.

وكيف يمكننا تفسيرُ انعدامِ الوجود المطلَقِ لرواية الوداع المؤثِّرةِ التي تحتوي وصية المسيح الروحية لدى متى ومرقس ولوقا؟؟

5. لم يذكر يوحنّا ومتّى قصّةَ صعودِ عيسى، عليه السلام، إلى السماء وجلوسه عن يمين أبيه، بينما ذكرها كلٌّ من مرقس ولوقا!!.

6. كيف يمكنُ التوفيق بين اعتزاز المسيح، عليه السلام، ببطرس وثقته العالية به وترشيحه ليكون رأساً للكنيسة، وأمرِه له ببنائها حين قال "أنت بطرس، وعلى هذه الصّخرة أبني كنيستي، وقوّاتُ الجحيم لن تقدر عليها، وأُعطيكَ مفاتيح ملكوت السماوات"([[293]](#footnote-293)).

نقول كيف نوفّق بين هذا القول للمسيح، عليه السلام، وبين توبيخ المسيح لبطرس لمّا حاول أن يُبعِدَهُ عن طريق الصّلب وقوله له: "إذهب عنّي يا شيطان"([[294]](#footnote-294))!! هذا عدا عن إخبار المسيح، عليه السلام، أنَّ بطرسَ سَيُنِكرُه ثلاثَ مرّاتٍ ويحلفُ بأنّه لا يعرفه([[295]](#footnote-295)).

7. بماذا نعلِّلُ فقدان النسخ الأصلية للأناجيل الأربعة؟ وبماذا نُعَلِّلُ الخلافَ حول اللغة التي كُتِبَ بها كلٌّ منها؟ وبماذا نُعَلِّلُ عدمَ معرفة المترجِمِ الحقيقيِّ لكلِّ واحدٍ منها؟ وبماذا نُعَلِّلُ الاختلافات التي بين الأناجيل في ذكر نسب المسيح، عليه السلام؟؟؟

**- أمّا بالنسبة لاتّهام الرهبان الطاعنين القرآن الكريم بأنّه السبب الذي يعوق التطوّر والتقدُّمَ العلميّ للمسلمين،** فقد كان حَرِيّاً بهؤلاء أن يتذكّروا أنّ النهضة العلمية والتطوُّرَ الذي عَرَفَتْهُ القارةُ الأوروبية لم يقُمْ إلا بعد أن أزاحت الكنيسةَ عن طريقها وعزلَتْها عن التدخُّل في كل نواحي الحياة.

وكان حرّياً بهم أن يراجعوا صفحات تاريخهم الملطّخة بدماء العلماء الأبرياء الذين لم يكن لهم ذنبٌ سوى أنّهم وضعوا نظرياتٍ علميّةً هامّةً خالفت في مضمونها بعضَ كلمات الكتاب المقدَّس، والأمثلة على ذلك كثيرةٌ وشهيرةٌ، ومنها:

**أولاً:** قامت مجموعةٌ من رهبان الكنيسة المسيحية في عام 415 للميلاد بقتل "هيباثيا" ابنة "نيون السَّكَندريّ" الذي كان مُديراً لمكتبة الإسكندرية. وقد كانت "هيباثيا" آخرَ أكبرِ عالمة رياضياتٍ وفلسفةٍ في مدرسة الاسكندرية آنذاك. وقد تَمَّتْ عملية القتل بناءً على توجيهاتٍ وأوامرَ مِن أُسْقُفِ الإسكندرية "سيريل" الذي جَعَلَتْهُ الكنيسةُ البابوية قدّيساً فيما بعد!!! "وبعد إعدامها بلا محاكمةٍ، قام الجُناةُ بسحب جُثَّتِها داخل الكاتدرائية وتولَّى الرهبانُ تقطيعَ جسدها. وكانت حُجّةُ المسيحيين في النيل منها أنها كانت مُدَرِّسَةَ رياضياتٍ بارعةً وتُمَثِّلُ تهديداً ضد انتشار المسيحية بسبب تعليمها العلوم وفلسفة الأفلاطونية الجديدة. ويُمَثِّلُ مقتلُها نقطةَ تحولٍ كبرى إذا غادر العديدُ من العلماء مدينة الإسكندرية مُتَّجِهين إلى الهند أو فارس ولم تعد الإسكندرية تمثل مركزَ الإشعاع العلميَّ في العصر القديم"([[296]](#footnote-296)).

**ثانياً:** جاء العالِمُ "كوبر نيكوس" بنظريته التي تقول بأنَّ الشمسَ هي مركز الكون وليس الأرض، وإنّ الأرض والكواكب الأخرى تدور حول الشمس بسرعةٍ. فإذا نظرنا إلى السماء فتصَّورنا أنّ الأجرام السماوية تتحركُ، فما ذلك إلا نتيجةً لدوران الأرض في الاتجاه المعاكس. وظَلَّتْ نظرية "كوبرنيكوس" ناقصةً، ولكنَّ عالم الفيزياء الألماني "يوهانز كيبلر" تمكّن من توفير الأدلة الحسابية على صِحَّتها، ثم قام الفلكي "جاليليو جاليلي"، بإجراء اختبارٍ علميٍّ تجريبيٍّ لتلك "الفرضية" عن طريق رصد الكواكب "بالتليسكوب". "وقد لاقت نظرية "كوبر نيكوس" مُحَارَبةً شديدةً من قِبَلِ رجال الكنيسة، لأنَّ فيها، كما يقولون، مخالفةً لما جاء في الكتب المقدسة، ومن ذلك ما كتبه "فروماندوس"، وهو أحد رجال الدِّينِ، في مقالته التي سمّاها "أرسطارخس" حيثُ بدأ أولَ صفحةٍ منها بلعنة "كوبرنيكوس" ثم أعلَنَ "أن التنزيل يقاوم "كوبر نيكوس وأنصاره"([[297]](#footnote-297)).

ومن أجل أن يُبرهنَ على فساد نظرية "كوبر نيكوس" وأنها ضربٌ من ضروب الكفر والإلحاد، رجعَ إلى النصوص المقدَّسة التي تتحدَّثُ عن شروق الشمس وغروبها وثبات الأرض، حيث استندَ على نصٍّ من التوراة جاء فيه، أنَّ الأرض ثابتةٌ إلى الأبد، "ما الفائدة للإنسان من كلِّ تعبه الذي يتبعهُ تحت الشمس، دورٌ يمضي ودورٌ يجيء، والأرض قائمةٌ إلى الأبد، والشمس تشرق والشمسُ تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تُشرق"([[298]](#footnote-298)).

**ثالثاً:** جاء العالم "جيوردانو برونو" بفرضيّةٍ علميّةٍ وصفَ من خلالها الكون بأنه "لا نهائي" كما تَضَمَّنتْ فرضيتهُ معلوماتٍ أخرى منها على سبيل المثال (أنّ هنالك أشكالاً من الحياة خارج الكرة الأرضية) مِمّا أثار غضبَ رجال الكنيسة الذين كانوا يعتقدون بأن الأرض مُنبسِطَةٌ، وبناءً على ذلك فقد وجَّهت الكنيسةُ تهمة (الهرطقة) إلى "جيوردانو برونو" وقامت بمحاكمته لمدّةٍ قاربت الثماني سنوات "تمَّ خلالها انتزاعُ الاعترافات من "برونو" عن طريق التعذيب وحُكِمَ على "جيوردانو برونو" بالموت لأنه "مُتَعنِّتٌ مُصِرٌّ على هرطقته" ... وكان قد جاهد ليشرح أنّ أفكاره ليست خطأً، دون جدوى. وتم حرقُه حيّاً في "كامبو دي فيوري" وقد كمَّموه قبل أن يأخذوه إلى المَحْرَقَةِ لتفادي أن تتسبّبَ عباراته في قلقلة معتقدات الجمهور الذي حضر لمشاهدة المَحْرَقِة. وقد تَمَّ إضفاءُ رُتْبةِ "كبير علماء الكنيسة" عام 1930م على "الكاردينال بلّلارمين" الذي تولّى إدانة "برونو" رسميا...([[299]](#footnote-299)).

**رابعاً:** كما ذكرنا في النقطة الثانية أنّ العالم (جاليليو جاليلي)، وهو أحدُ علماء الفلك الأكثر شهرةً في تاريخ إيطاليا قد تمكّن من إجراء اختباراتٍ علميةٍ تجريبيةٍ أثبت من خلالها صحّة نظرية "كوبر نيكوس"، وذلك عن طريق رصده للكواكب باستخدام "التليسكوب". وأثبتَ دوران الأرض حول الشمس على خلاف الاعتقاد الكنسيِّ القائم على أنَّ الأرض ثابتةٌ لا تتحرك، وأنّها مركز الكون، كما استطاع هذا العالِمُ الفذُّ المُبدِعُ أن يُثبتَ أنَّ هنالك كواكبَ سيّارةً تدور حولها، وأنَّ عددها يزيد عن سبعة كواكب على خلاف الاعتقاد الكنسيِّ السائد آنذاك والذي كان يحصرها في سبعة كواكب فقط. فثارت ثائرة الكنيسة وأعلنت هرطقةَ وكفرَ وإلحادَ هذا العالم مُستندةً إلى أنَّ أقواله تخالف ما ورد في الكتاب المقدس. وتم تحويل (جاليليو) إلى محكمة التفتيش في روما.

"وأجبرته لجنةُ المحكمة على الرجوع في رأيه بأن عرضتْ عليه أولاً وسائل التعذيب المستخدَمَةَ إذا ما أصرَّ على رأيه ... وكانت أعمالُ "جاليليو" قد أدُينت ووُضعت في كشف الممنوعات منذ عام 1616م([[300]](#footnote-300)). وقد أمضى بقية حياته معتقَلاً في منزله إذ أنَّ شهرته العالمية قد سمحتْ له بتفادي العواقب الوخيمة، فكانت عمليّةُ اعتقاله في منزله هي الوسيلة الوحيدة لتفادي عمليات التعذيب الرسمية التي تمارسها اللجنة .."([[301]](#footnote-301)) خصوصاً بعد أن صدر الحكم عن محكمة التفتيش بسجنه وتعذيبه بشدّةٍ مما اضطرّهُ للتراجع عن نظرياته العملية [التي أثبت العلُم صحَّتها تماماً] وأعلن أمام البابا "أربان الثامن" تراجعه وتوبتَهُ عمَّا قاله. وقال في إعلانه هذا: **"أنا غاليليو، وفي السبعين من عمري، سجينٌ جاثٍ على ركبتيَّ، وبحضور فخامتِكَ، وأمامي الكتاب المقدس، الذي ألمسُه الآن بيدي أُعْلِنُ أنّي لا أشايع، بل ألعنُ وأحتقر خطأَ القول وهرطقةَ الاعتقاد بأنَّ الأرض تدور"([[302]](#footnote-302)).**

ولرّبما يسألُ سائلٌ عن الدّافع الذي كان يؤدّي بالكنيسة ورجالها إلى فعل ما فَعلوه بعلماء من أمثال (جاليليلو وهيباثيا) وآخرين؟؟ والجواب على ذلك: أنّ رجال الكنيسة كانوا يعتقدون بأنّ الكتاب المقدَّس يتضمَّنُ كلَّ أنواع العلوم التي يحتاجها الناسُ، سواءٌ أكانت علوم دينٍ أو علوم دُنيا "وأنَّ أساس كلِّ علمٍ، عندهم، هو الكتاب المقدّس وتقاليدُ الكنيسة وأنَّ الله لم يقصُرْ تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدِّينِ فقط بل علَّمنا بالوحي كلَّ ما أراد أنْ نعلَمه من الكون، فالكتاب المقدّس يحتوي من المعرفة على المقدار الذي قُدِّر للبشر أن ينالوه، فجميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض، وما فيها، وتاريخ الأمم ممّا يجب تسليمُه مهما عارضَ العقلَ أو خالفَ شاهِدَ الحسِّ، فعلى الناس أن يُؤمنوا به أولاً، ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه"([[303]](#footnote-303)).

**ولأنّ الأوروبيين أعلمُ بشؤون بلادهم وأعلمُ بتاريخهم وأخبرُ بالجراحات والأذى الذي سبّبته لهم الكنيسةُ فقد رفضت أكبرُ جامعةٍ إيطاليةٍ استقبال بابا الفاتيكان بنديكتيوس السادس عشر عندما همَّ بزيارتها وتعرّضت شخصيّتهُ للاستهزاء والسّخرية، فما كان منه إلاّ أن تراجع عن زيارته لهذه الجامعة، وهي جامعة (الأسابينتسا) جامعة روما الأولى.**

"وكلُّ ما استطاع البابا أن يفعله هو التراجع عن زيارة الجامعة، وسط سُخريةِ وتهكُّمِ أهل العلم التجريبيِّ والفيزياء والأجيال الجديدة من الطلبة. حيث قال رئيس قسم الفيزياء في جامعة روما الأولى "جان كارلو رووكو"، وهو القسم الذي تَزَّعَم أساتذتُه وطلبتُه الاحتجاجات على الزيارة المُلْغَاة لبابا الفاتيكان، في حديثٍ مع قناة "سكاي تي جي 24" الإخبارية الإيطالية: **"تاريخ الصراع بين الفيزياء والكنيسة قديمٌ جداً ولا يزال قائماً حتى الآن" ... وأضاف: "لا نريد العودة إلى تاريخ وجغرافية الكنيسة ... لقد تجاوزنا القرون الوسطى حيث كانت الكنيسة تفرض تاريخاً وجغرافيةً مغلوطين عن تاريخ الكون وشكل الكرة الأرضة"([[304]](#footnote-304)).**

"وفي خضمِّ الجدل الدائر حول الزيارة المُلغاةِ لبابا الفاتيكان لجامعة روما الأولى (لاسابينتسا) بمناسبة افتتاح السنة الأكاديمية، قالت وزيرة التجارة الخارجية والسياسات الأوروبية "إيما بونينو": **"لا أحدَ يريد أن يُكَمِّمَ البابا أو يمنعه من الكلام ... إنَّ ما نشهده يومياً يدعو للقلق، فالوحيد الذي يتكلَّمُ صباحَ مساءَ هو البابا وأتباعه بالخزعبلات الكاثوليكية"، وأضافت: "أيُّ شخصٍ يُفَكِّرُ بشكلٍ مُختلفٍ، أو يتولَّى المسؤولية استجابةً لحاجات المواطنين الإيطاليين من أيِّ دينٍ كانوا، يجدُ نفسه في نهاية المطاف بلا صوتٍ، إنَّ البابا يريدُ من الأصوات الأخرى أن تخرس".**

وكان الفاتيكان قد حاول عبثاً دحض الشائعات التي سرت حول إلغاء الزيارة، وأَكَّدت الدائرةُ الصحافيةُ للفاتيكان أنَّ البابا بنديكت السادس عشر سيزور جامعة روما الأولى (لاسابينتسا) يوم الخميبس 17 كانون الثاني 2008م، وقال الأب "تشيرو بينيديتيني" نائب مدير الدائرة الصحفية: "سيقوم البابا بالزيارة وليس هناك أيُّ تغييرٍ سيطرأ عليها".

وقد أعلن الفاتيكان إلغاء زيارة البابا إلى حرم جامعة روما الأولى، وأصدرت الدارُ الصحافية في الفاتيكان بياناً رسمياً جاء فيه: نظراً للوقائع التي شهدتها الأيام الماضية فيما يتعلق بزيارة الأب الأقدس إلى جامعة روما الأولى للدراسات (لاسابينتسا) بدعوةٍ من رئيسها فقد اعْتُبِرَ أنَّ مِن الملائم إرجاء الزيارة" وختم بالقول: "وسيقوم الأب الأقدس بإرسال كلمته على أية حال"([[305]](#footnote-305)).

**ونشيرُ هنا إلى أن إلغاء زيارة البابا إلى جامعة روما الأولى بعد إصدار أكثر من ستين أستاذاً في الجامعة نفسها نداءً اعتبروا فيه زيارة رأس الفاتيكان إلى جامعةٍ علميةٍ أمراً "غير لائق"، بينما أعلن تجمعٌ طلابيٌ واسعُ النطاق في الجامعة أسبوعاً لـ "مناهضة الإكليروس".**

"وكان من ردود أفعال الكنيسة ما أطلق عليها رئيس أساقفة روما الكاردينال "كاميللو رويني" دعوةً لكل المؤمنين لحضور "صلاة الملاك" الأحد 20 كانون الثاني 2008م في ساحة كنيسة القديس بطرس، لإظهار تلاحمهم وتأييدهم للبابا "بنديكت السادس عشر". وقال في بيانٍ صادرٍ عن الكاردينال: إنه "تابع خطوةً بخطوةٍ بالتعاون مع أعضاء وهيئات الكرسي الرسولي الأحداث المؤسفة التي أرغمت الأبَ الأقدسَ على إلغاء زيارته لجامعة روما الأولى، والتي دُعي إليها منذ وقت طويل" ... وتابعَ: "وفي هذه الظروف المحْزنة والمؤثِّرةِ على المدينة بأكملها، تُعَبِّرُ كنيسةُ روما عن قربها من أسقفها البابا وترفع صوتها مُعلنةً حُبَّها وثقتها وتقديرها وامتنانها له ولمكانته التي تحتل قلوب سكانها..

وكان الرد سريعاً وحاسماً من أساتذة وطلبة الجامعة على حَمْلِةِ الفاتيكان ضدهم: لم نحرق أحداً. ونِسبةُ الغلط إلى المخالفين وإلى حدِّ الهرطقةِ وما يترتَّبُ عليها أمرٌ معروفٌ ومعهودٌ في تاريخ الكنيسة"([[306]](#footnote-306)).

وفي ختام ردّنا على فرية وشبهة عدم اتّفاق القرآن مع العقل، نذكِّرُ الرهبان الطاعنين بقول الراهب مارتن لوثر مؤسِّسِ المذهب البروتستانتي: **أنتَ لا تستطيعُ أن تقبلَ كُلاًّ مِن الإنجيل والعقل، فأحدُهما يجبُ أن يُفسحَ الطريق للآخر ... "إنَّ كلَّ آيات عقيدتنا المسيحية التي كشفَ لنا اللهُ عنها في كلمتهِ أمام العقل مستحيلةٌ تماماً ومنافيةٌ للمعقول وزائفةٌ. فإذاً كيف يعتقدُ ذلك الأحمق الصغير الماكر([[307]](#footnote-307)) أنّ هناك شيئاً يمكنُ أنْ يكونَ أكثرَ مجافاةً للعقل واستحالةً من أنَّ المسيح يُعطينا جسده لنأكله ودمه لنشربه في العشاء الأخير؟ ... أو أنَّ المسيحَ إبنَ الله حملتْ به مريمُ العذراء وولدته ثم غدا رجلاً يتعذَّبُ ثم يموتُ مِيتةً مُخْجِلةً على الصليب؟ ... إنَّ العقل هو أكبرُ عدوٍّ للإيمان"([[308]](#footnote-308)).**

**الشُّبهةُ الخامسة والعشرون ودَفْعُها**

**يزعمُ محمدٌ أنّ الله يصلّي عليه!! وكيف لعقلٍ أن يَتَخَيَّلَ قيامَ الربّ بأداء الصَّلاة على واحدٍ من الذين خلقهم؟؟**

- إنّ ممّا توهّمتهُ عقولُ الرهبان الطّاعنين أنّ الله تعالى يُصلّي على محمدٍ بهيئة الصّلاة المعروفة الظّاهرة في صلوات المسلمين!!.

وفي هذا التوهُّم دلالةٌ واضحةٌ على ضحالة فهمهم للإسلام وسوء تصوّرهم له. وتوضيحُ صلاة الله تعالى على حبيبه المصطفى هو التالي:

وردت صلاة الله تعالى على رسولنا الكريم في قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً"([[309]](#footnote-309)). وينقل لنا الإمام البخاري، رحمه الله تعالى، في صحيحه تفسير ذلك، فيقول: "قال أبو العالية: صلاةُ الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدُّعاءُ. قال ابن عبّاس: يُصلُّونَ: يُبَرِّكُون. أي يدعون له بالبركة"([[310]](#footnote-310)).

هذا عن تفسير معنى صلاة الله على النبيّ . أمّا عن معنى صلاة المؤمنين على النبي فيوضِّحُها الحديث الشريف التالي: روى البخاري عن سعيد بن يحيى قال: حَدَّثنا أبي حَدَّثنَا مِسعرٌ عن الحَكَمِ عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه: "قيل: يا رسولَ الله، أمَّا السَلامُ عليك فقد عرفناه، فكيف الصّلاةُ عليك؟ قال: قولوا: اللهُمَّ صلَّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، اللهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركتَ على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ"([[311]](#footnote-311)).

**الشُّبهةُ السادسة والعشرون ودفْعُها**

**كان محمدٌ يُغَيِّرُ خِطَطه حسبَ الظروف التي يُوجَدُ فيها. فعندما كان ضعيفاً في مكّة قدَّم الإسلام على أنّه دينٌ عربيٌ، ولمّا اشتدَّ عودُه وقَويَ جيشه بعد الهجرة إلى المدينة جَعَلَ محمدٌ الإسلام ديناً عالميّاً.**

- تشتمل هذه الفريةُ على مَطعنين هاميّن خطيرين؛ أولهما: مطعنٌ في أخلاق الرسول الكريم واتّهامه بالمصلحيّة والافتقار إلى وجود المبدأ. وثانيهما: مطعنٌ في الإسلام، وذلك بوصفه رسالةً خاصّةً بالعرب وحدهم.

وهذا الكلام مُتَهَالِكٌ وساقطٌ من عدّة وجوهٍ أبرزها ما يلي:

1. لن نُجَاريَ أولئك الذين يقولون بالتدرُّجِ في إعلان الإسلام على عالميَّته فهذا الأمرُ قد صرَّحتْ به الكثيرُ من الآيات المكيّة التي نزلت قبل الهجرة إلى المدينة (واشتداد عود مُحَمّدٍ على حدِّ قول الرهبان الطاعنين) ومن هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر.

أ. " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً"([[312]](#footnote-312)).

ب. " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِينَ"([[313]](#footnote-313)).

ج. "هَـذَا بَلاَغٌ للنَّاسِ"([[314]](#footnote-314)).

ويفهم من هذه الآيات أنَّ القرآن الكريم كان واضحاً وصريحاً في الإعلان عن عالميّة الدعوة التي يقدّمها للبشرية وأنّها ليست خاصّةً بقومٍ ولا بأهل بلدٍ مُعَيَّنةٍ.

2. ليس من الصواب الاستدلال على أنّ محمداً بُعثَ للعرب فقط بدليل أنّه كان يتحَّدثُ اللغةَ العربيةَ، فإنّ الحكمة من إرسال الرسل عموماً بألسنةِ أقوامهم لِيكونَ ذلك أبلغَ في الفهم بينه وبينهم، حتّى تقوم الحُجَّةُ ويحصلَ البلاغُ وحتّى يكون ذلك أدعى إلى فهم غيرهم.

3. "لو صَّح أنْ نقول: إنّ كونَ القرآنِ عربيّاً وتَحدُّثَ محمدٍ بالعربية دليلٌ على أنّه مرسلٌ للعرب فقط وأنَّ رسالته خاصّةٌ بهم، لَلَزِمَ من ذلك بأنّ المسيحيين مخطؤون في اتّباعهم لأحكام التوراة لأنّها نزلت بغير لسانهم"!([[315]](#footnote-315)).

4. "ومن الطبيعي أن يبدأ الرسول دعوتَه العلنيَّةَ بإنذار عشيرته الأقربين، إذ أنَّ مكّةَ بلدٌ توغَّلتْ في الرُّوح القَبَليةُ، فبدء الدعوة بالعشيرة قد يُعينُ على نصرته وتأييده وحمايته، كما أنّ القيام بالدعوة في مكة لابدَّ أن يكون له أثر خاصٌّ، لِمَا لهذا البلد من مركزٍ دينيٍّ خطيرٍ، فَجَلْبُها إلى حظيرة الإسلام لابدَّ وأن يكون له وقعٌ كبيرٌ على بقية القبائل ... على أنّ هذا لا يعني أنّ رسالة الإسلام كانت في أدوارها الأولى محدودةً بقريش، لأنَّ الإسلام كما يتجلّى من القرآن اتخذَ الدعوةَ في قريشٍ خطوةً أُولى لتحقيق رسالته العالمية، والواقع أنّ كثيراً من الآيات المكيّة كانت تنصُّ على أنَّ القرآن "وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ"([[316]](#footnote-316)) الأمر الذي يدل على أنَّ فكرة الدعوة العالمية كانت قائمةً منذ هذا الوقت المُبَكِّرِ"([[317]](#footnote-317)).

5. إنّ الدعوة التي جاءت خاصّةً بقومٍ بعينهم ليست دعوةَ الإسلام، بل هي دعوة المسيح، عليه السلام، ويشهدُ لذلك قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم"([[318]](#footnote-318))، كما يشهدُ لذلك قول المسيح، عليه السلام، "لم أُرسَلْ إلاّ إلى خِراف بيت إسرائيل الضّالَّةِ"([[319]](#footnote-319)). ولكنَّ الذين جاؤوا من بعده أحدثوا أمراً غير هذا، وارتأوا نشرَ دعوة المسيح خارج حدود بني إسرائيل فأصبحت الآية "اذهبوا إلى العالمِ أجمعَ واكرزوا بالإنجيل للخليقة كُلِّها"([[320]](#footnote-320)).

ويمكننا من خلال ذلك أن نقول وبكلِّ صراحةٍ: إنّ المسيح، عليه السلام، قدّم الدعوة المسيحيّة في ثوبٍ إسرائيليٍّ خاصٍّ ببني إسرائيل. ولمّا اشتدّ عودُ دعوتهِ وكَثُرَ عددُ أتباعها والمتعاطفين معها جعل منها هؤلاء ديناً عالميّاً.

ولرُبّما يسألٌ سائلٌ فيقول: لماذا جاهدَ محمدٌ في المدينة بالقتال والسّيف، ولم يفعل ذلك في مكّة؟ أليس هذا تغييراً للخطط وافتقاراً للمبدأ؟؟ والردُّ على هذا السؤال سهلٌ وميسورٌ ولا يختلفُ عمّا ذكرناه في النقاط الخمس السابقة؛ فتغييرُ الخِطَطِ يجب أن يُفْهَم في إطار الحكمة الإلهية في التدرُّج في التشريع، حيث كان من الطبيعي أن يتصرّف الرسولُ في العهد المكيّ وتحت ضغط المشركين على خلافِ تَصَرُّفِه في العهد المدنيّ، الذي تأسّست فيه الدولة الإسلامية وبرز فيه المجتمع المسلم بكلّ ما يشتمل عليه من معاملاتٍ وتصّرفات وعمليات تفاعلٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ وثقافيٍ وأخلاقيٍّ.

**كانت تلك أبرز الشّبهات والمطاعن والافتراءات التي أثارها رهبان الكنيسة الغربيّة حول الإسلام ونبوّة الحبيب المصطفى . وحقيقةُ الأمر أنّ المطاعن والشُّبهات أكثرُ من ذلك عدداً، ولكنَّ اختيارنا وَقَعَ على أبرزها وأخطرها، وذلك لما لها من شهرةٍ وتداولٍ عبر العصور والأزمنة، ولِمَا لبعضها من تأثيرٍ في نفوس بعض العوام من المسلمين.**

**وكُنّا قد عمدنا إلى دمج بعضها ببعضٍ وذلك لتقاربها وتداخُلِها في المضمون والمحتوى.**

**ونسألُ الله تعالى أن نكون قد وُفِّقنا في عرضها ونقدها ونقضها، مُبدين الاستعداد الكامل لقبول كلِّ إضافةٍ قد تطرأُ عليها أو تلحقُ بها، فنهاية هذا البحث وهذه الدراسة لا تعني أبداً توقُّفَنا عن الدراسة والبحث.**

**وختاماً، نذكّرُ القاري**ء **الكريم، إن رغب في الاستزادة، بالرجوع إلى ما خطّهُ علماؤنا الأفاضل قديماً وحديثاً، جزاهم الله خيراً، في كتبهم ومؤلَّفاتهم وبالذات تلك التي أوردناها في الفصل الأخير من هذه الدراسة.**

1. ( ) سورة آل عمران: الآية 118. [↑](#footnote-ref-1)
2. ( ) عبد العزيز زينب، محاصرة وإبادة، موقف الغرب من الإسلام، ص 40، ط 1، 1993، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت. [↑](#footnote-ref-2)
3. ( ) التمسماني، محمد حمادي الفقير، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها، ص 14 – 18 بتصرف واختصار. دراسة مطوّلة منشورة على شبكة الانترنت، في موقع شبكة التفسير والدراسات القرآنية [www.tafsir.org](http://www.tafsir.org). [↑](#footnote-ref-3)
4. ( ) المرجع السابق، نقلاً عن محمد صالح البنداق في كتابه "المستشرقون وترجمة القرآن الكريم" ص 108، ط2، 1983، دار الآفاق الجديدة، بيروت. [↑](#footnote-ref-4)
5. ( ) ابن قيم الجوزيّة، شمس الدين محمد بن أبي بكر، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق عصام الحرستاني، ص 27، ط1، 1994، المكتبة الثقافية، بيروت. [↑](#footnote-ref-5)
6. ( ) سورة الشورى: الآية 39. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( ) الجبري، عبد المتعال، السيرة النبويّة وأوهام المستشرقين، ص 59 بتصرف ، ط1، 1988، مكتبة وهبة، مصر. [↑](#footnote-ref-7)
8. ( ) سورة الكهف: الآية 6. [↑](#footnote-ref-8)
9. ( ) انظر: أ. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السّيوطي ج4، كتاب الجنائز، باب (ترك الصلاة على من قتل نفسه)، ص 66، 67، ط دار البشائر الإسلامية، بيروت.

ب. صحيح البخاري كتاب الطب، باب شرب السمّ والدواء به وما يُخاف منه والخبيث. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( ) المشاقص: نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريضٍ. [↑](#footnote-ref-10)
11. ( ) الخالدي [م. س]، ص 690. [↑](#footnote-ref-11)
12. ( ) سورة الفتح: الآية 2 [↑](#footnote-ref-12)
13. ( ) سورة الإسراء: الآيتان 73، 74. [↑](#footnote-ref-13)
14. ( ) السّيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدرُّ المنثور في التفسير المأثور، ط1، ج 15، ص 138، 319، بتصرف 1983، دار الفكر، بيروت. [↑](#footnote-ref-14)
15. ( ) مُرسي [م. س] ص 15، بتصرّف. [↑](#footnote-ref-15)
16. ( ) صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي، كتاب السلام، باب السحر، ج7، ص 351، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة. [↑](#footnote-ref-16)
17. ( ) صحيح البخاري، [م. س]، كتاب الأدب، باب الشرك والسّحر من الموبقات. [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) صحيح مسلم، [م. س]، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها. [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) المرجع السابق نفسه ج1، ص 292. [↑](#footnote-ref-19)
20. ( ) سورة آل عمران: الآية 67. [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) سورة الأنعام: الأيتان 162، 163. [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) انظر على سبيل المثال السيوطي [م. س] ج3، ص 410. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) رواه الإمام السيوطي في جمع الجوامع الجامع الكبير في الحديث، والجامع الصغير وزوائده، المجلد الأول، الحديث رقم (3167)، وقد صححه الالباني، انظر صحيح الجامع (209/4). [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) سورة الاسراء: الآية 59. [↑](#footnote-ref-24)
25. ( ) سورة الرعد: الآية 38. [↑](#footnote-ref-25)
26. ( ) الخالدي، [م. س]، ص 697. [↑](#footnote-ref-26)
27. ( ) سورة القمر، الآية 1. [↑](#footnote-ref-27)
28. ( ) صحيح البخاري، [م. س] كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر. [↑](#footnote-ref-28)
29. ( ) انظر الصورة والقياسات والتقرير المرفق معها على موقع وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) التالي:

[www.nasa.gov/mission-payes/LRO/multimeaia/iromageslroc-20090928-ariadaeus.html](http://www.nasa.gov/mission-payes/LRO/multimeaia/iromageslroc-20090928-ariadaeus.html) [↑](#footnote-ref-29)
30. ( ) مُرسي [م. س]، ص 418، 419، بتصرف. [↑](#footnote-ref-30)
31. ( ) وقعت خيبر في شهر محرم في العام الهجري السابع، بينما كانت وفاته في شهر ربيع الأول في العام الحادي عشر للهجرة. [↑](#footnote-ref-31)
32. ( ) انظر سنن أبي داود، كتاب الدّيات، باب (فيمن سقي رجلاً سُمّاً أو أطعمه فمات أيُقادُ منه). [↑](#footnote-ref-32)
33. ( ) سورة المائدة: الآية 67. [↑](#footnote-ref-33)
34. ( ) الخالدي [م. س]، ص 712، بتصرف. [↑](#footnote-ref-34)
35. ( ) الدرامي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، سنن الدارمي، تحقيق د. مصطفى البغا، ج1، ص 42، 43، ط1، 1991، دار القلم، دمشق. وقد وردت هذه الحادثة في باب (في وفاة النبي) رقم 83، وهو من الأبواب التي وردت في مقدمة الكتاب قبل البدء بكتبه والتي كان أولها كتاب الطهارة. [↑](#footnote-ref-35)
36. ( ) انظر أ. القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 1085، باب رقم 78 (فضل الجمعة) ج1، ص 345، ط1، المكتبة العلمية، بيروت.

ب. السّجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عادل مرشد وسليم عامر، رقم الحديث 1047، ص 174، ط1، 2003، دار الأعلام، عمان. [↑](#footnote-ref-36)
37. ( ) مُرسي [م. س]، ص 12 بتصرف. [↑](#footnote-ref-37)
38. ( ) سورة الضحى: الآية 7. [↑](#footnote-ref-38)
39. ( ) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، المجلد 12، ص 149، ط1، دار المعرفة، بيروت. [↑](#footnote-ref-39)
40. ( ) الزمخشري،محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج4، ص 768، ط1، 1986، دار الكتاب العربي، بيروت. [↑](#footnote-ref-40)
41. ( ) السّيوطي [م. س]، المجلد الثامن، ص 544. [↑](#footnote-ref-41)
42. ( ) التكوين: 9: 20 – 21. [↑](#footnote-ref-42)
43. ( ) الملوك الأول 11: 4، وانظر كذلك 11: 5 – 9. [↑](#footnote-ref-43)
44. ( ( التكوين: 19: 30 – 36. [↑](#footnote-ref-44)
45. ( ) للتوسع انظر الآرو [م. س]، ص 929 فما فوق في مبحث "العصمة البابويّة عرضاً ونقداً". [↑](#footnote-ref-45)
46. ( ) سورة المدّثر: الآيات 1 – 5. [↑](#footnote-ref-46)
47. ( ) الطبري [م. س] الجزء 28 – 30، تفسير سور المدّثر ص 93. [↑](#footnote-ref-47)
48. ( ) الزمخشري [م. س] ج4، ص 645. [↑](#footnote-ref-48)
49. ( ) السيوطي [م. س] ج4، ص 726. [↑](#footnote-ref-49)
50. ( ) سورة الإسراء: الآية 81. [↑](#footnote-ref-50)
51. ( ) العمري [م. س]، ص 483. [↑](#footnote-ref-51)
52. ( ) العمري [م. س]، ص 484. [↑](#footnote-ref-52)
53. ( ) صحيح البخاري [م. س]، كتاب الحج باب ما ذُكر في الحجر الأسود. [↑](#footnote-ref-53)
54. ( ) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، شرح كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود ج3، ص 525 دون رقم الطبعة، 2004، دار الحديث، القاهرة. [↑](#footnote-ref-54)
55. ( ) صححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ورقمه فيها 2618. [↑](#footnote-ref-55)
56. ( ) مرسي [م. س]، ص 74. [↑](#footnote-ref-56)
57. ( ) الآرو [م. س]، ص 819، 820، بتصرف. [↑](#footnote-ref-57)
58. ( ) سورة الأنفال: الآية 31. [↑](#footnote-ref-58)
59. ( ) المطعني، عبد العظيم إبراهيم، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ص 517، 518، بتصرف، ط1، 1987، دار الوفاء، السعودية. [↑](#footnote-ref-59)
60. ( ) انظر:

أ. زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات الغرب على الإسلام والردّ عليها، ص 230 – 233 باختصار وتصرّف. وهذا الكتاب منشورٌ على موقع الكاتب الإلكتروني على شبكة الإنترنت <http://anwarzanaty.maktoobblog.com>. كما أنه منشورٌ مجزّءاً على موقع شبكة ابن مريم الإسلامية ـ عن المسيح الحق وعنوانها [www.ebnmaryam.com](http://www.ebnmaryam.com) .=

= ب. النقبي، عبدالله أبو حفص، سلسلة مقالات علمية في مقارنة الأديان، هل القرآن هو كلام محمد؟ منشور على موقع [www.maktobblg.com](http://www.maktobblg.com) بتاريخ 27/11/2008. [↑](#footnote-ref-60)
61. ( ) سورة النساء، الآية 82. [↑](#footnote-ref-61)
62. ( ) سورة الروم، الآيات 1 – 3. [↑](#footnote-ref-62)
63. ( ) سورة يونس، الآية 16. [↑](#footnote-ref-63)
64. ( ) صحيح البخاري، [م. س] كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله . [↑](#footnote-ref-64)
65. ( ) يوسف عبد الرحمن، الردّ على شبهة أن النبي تلقّى القرآن عن ورقة بن نوفل، مقالة منشورة بتاريخ 24/6/2008 في موقع [www.alhakeah.com](http://www.alhakeah.com) [↑](#footnote-ref-65)
66. ( ) سنن الترمذي، تحقيق عادل مرشد، أبواب المناقب، باب 4 – 5، ص 794، 795، رقم الحديث (3620) ط1، 2001، دار الأعلام، الأردن. [↑](#footnote-ref-66)
67. ( ) العمري، [م. س]، ص 109. [↑](#footnote-ref-67)
68. ( ) العبادي، زياد سليم، بحث غير منشور بعنوان (خبر بحيرا الراهب في ميزان النقد الحديث)، الخاتمة. [↑](#footnote-ref-68)
69. ( ) سورة النحل: الآية 103. [↑](#footnote-ref-69)
70. ( ) ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة النحل، الآية (103)، ج2، ص 956، ط1، 1985، دار إحياء التراث العربي، بيروت. [↑](#footnote-ref-70)
71. ( ) العمري [م. س] ص 110، 111. [↑](#footnote-ref-71)
72. ( ) هذه المقارنة والمقارنتان التاليتان لها مأخذوتان بالكامل من كتاب حقائق الإسلام في مواجهة المشككين [م. س] قسم (دعوى أن القرآن من الكلام المنقول عن غيره). [↑](#footnote-ref-72)
73. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-73)
74. ( ) المحص، عبد الجواد، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني عرض ومناقشة، ص 46 فما فوق، ط1، 2000، الدار المصرية، مصر. [↑](#footnote-ref-74)
75. ( ) آرمسترونج، سيرة النبي محمد [م. س]، ص 253. [↑](#footnote-ref-75)
76. ( ) سورة النحل: الآية 125. [↑](#footnote-ref-76)
77. ( ) سورة ، الآية [↑](#footnote-ref-77)
78. ( ) سورة ، الآية [↑](#footnote-ref-78)
79. ( ) رستم، أسد [م. س]، ج2، ص 15، 16، نقلاً عن محمد حسين هيكل في كتاب حياة محمد ص 186، 187. [↑](#footnote-ref-79)
80. ( ) سورة التوبة: الآية 32. [↑](#footnote-ref-80)
81. ( ) سورة البقرة: الآية 216. [↑](#footnote-ref-81)
82. ( ) سورة النساء: الآيتان 75، 76. [↑](#footnote-ref-82)
83. ( ) السيوطي [م. س] ج2، ص 593. [↑](#footnote-ref-83)
84. ( ) سورة الأنفال: الآية 39 [↑](#footnote-ref-84)
85. () السيوطي [م. س]، ج1، ص 497. [↑](#footnote-ref-85)
86. ( ) صحيح الأمام مسلم [م. س]، كتاب الجهاد والسِّير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب. [↑](#footnote-ref-86)
87. ( ) السيوطي [م. س]، ج2، ص 493. [↑](#footnote-ref-87)
88. ( ) حزقيال: 9: 4 – 7. [↑](#footnote-ref-88)
89. ( ) القضاة: 21: 10 – 11. [↑](#footnote-ref-89)
90. ( ) اشعياء: 13: 16. [↑](#footnote-ref-90)
91. ( ) هوشع: 13: 16. [↑](#footnote-ref-91)
92. ( ) للوقوف على تفاصيل هذه المعارك والإبادات انظر سفر المزامير. [↑](#footnote-ref-92)
93. () السّرجاني، راغب، عدم دموية الحروب النبويّة، دراسة منشورة على الإنترنت في الموقع الإلكتروني للمركز العالمي للتعريف بالرسول ونصرته / www.mercyprophet.org. [↑](#footnote-ref-93)
94. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-94)
95. ( ) انظر:

أ. ديورانت [م. س]، المجلد الرابع من الجزء الرابع الباب 23، الفصل الأول، الحروب الصليبية، ص 25.

ب. آرمسترونج، الحرب المقدسة [م. س] ص 231، 232 بتصرف.

ج. الفرا [م. س] ص 31 – 33.

د. زابورف، ميخائيل، الصليبيّون في الشرق، ص 122، 123.

هـ. حبشي، حسن، الحرب الصليبيّة الأولى، ص 179. [↑](#footnote-ref-95)
96. () رستم، أسد، [م. س]، ص 247، 248. [↑](#footnote-ref-96)
97. ( ) انظر المبحث الرابع من الفصل الأول من هذه الدراسة للوقوف على التفاصيل. [↑](#footnote-ref-97)
98. ( ) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي، ص 125 – 129 بتصرف، واختصار ط2، 1956، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة. [↑](#footnote-ref-98)
99. ( ) المرجع السابق نفسه ص 429، 430، بتصرف. [↑](#footnote-ref-99)
100. ( ) سورة البقرة: الآية 256. [↑](#footnote-ref-100)
101. ( ) السيوطي [م. س]، ج3، ص 21. [↑](#footnote-ref-101)
102. ( ) سورة الغاشية: الآيتان 21، 22. [↑](#footnote-ref-102)
103. ( ) ابن كثير، [م. س]، ج4، ص 836. [↑](#footnote-ref-103)
104. ( ) صحيح البخاري [م. س] كتاب المغازي، باب قصّة أهل نجران، ص 109، 110 بتصرف. [↑](#footnote-ref-104)
105. ( ) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، ص 85، 86، 87، بتصرف، ط1، 1927، المطبعة السلفيّة، القاهرة. [↑](#footnote-ref-105)
106. ( ) المرجع السابق، ص 87. [↑](#footnote-ref-106)
107. ( ) المرجع السابق، نفسه، ص 151. [↑](#footnote-ref-107)
108. ( ) المرجع السابق نفسه، ص 172، بتصرف. [↑](#footnote-ref-108)
109. ( ) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، ج3، ص 609، ط2، 1967، دار سويدان للنشر، بيروت. [↑](#footnote-ref-109)
110. ( ) الطبري [م. س] ص 226، 227. [↑](#footnote-ref-110)
111. ( ) قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم 154 (3/17) بشأن موقف الإسلام من الغلو والتطرف والإرهاب، منشورٌ في موقع المجمع الإلكتروني www.fiqhacademy.org. [↑](#footnote-ref-111)
112. ( ) صحيح البخاري [م. س] كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم". [↑](#footnote-ref-112)
113. ( ) صحيح مسلم [م. س] كتاب الإيمان، باب "الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله" [↑](#footnote-ref-113)
114. ( ) فتح الباري [م. س]، ج1، ص 97. [↑](#footnote-ref-114)
115. ( ) سورة آل عمران: الآية 173. [↑](#footnote-ref-115)
116. ( ) الزمخشري، [م. س]، ج1، ص 441، بتصرف واختصار. [↑](#footnote-ref-116)
117. ( ) صحيح البخاري [م. س] كتاب الجهاد والسِّير، باب لا تمنوا لقاء العدو. [↑](#footnote-ref-117)
118. ( ) متى: 10: 34 – 39. [↑](#footnote-ref-118)
119. ( ) لوقا: 12: 49. [↑](#footnote-ref-119)
120. ( ) لوقا: 19: 27. [↑](#footnote-ref-120)
121. ( ) التثنية: 20: 10 – 18. [↑](#footnote-ref-121)
122. ( ) صموئيل الثاني: 10: 18. [↑](#footnote-ref-122)
123. ( ) صموئيل الثاني: 12: 31. [↑](#footnote-ref-123)
124. () سورة القيامة: الآيتان 22، 23. [↑](#footnote-ref-124)
125. () سورة السجدة: الآية 17. [↑](#footnote-ref-125)
126. () صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (فلاتعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) [↑](#footnote-ref-126)
127. () الطبري، جامع البيان (م.7) ج1 ص135. [↑](#footnote-ref-127)
128. () ابن تيمية، رسالة الإكليل، من مجموعة الرسائل الكبرى 2: 11. [↑](#footnote-ref-128)
129. () لوقا: 22: 30 [↑](#footnote-ref-129)
130. () مرقس: 14: 25 [↑](#footnote-ref-130)
131. () لوقا: 14: 12 - 15 [↑](#footnote-ref-131)
132. () انظر:

أ. مرسي [م. س] ص 194-501 بتصرف. =

= ب. الرومي [م. س] ص328-331 بتصرف

ج. الإسلام بين الحقيقة والادعاء [م. س]، مبحث نساء الرسول.

د. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س] الشبهة 51 تعدد زوجات النبي.

هـ. السّقار (م.س) المطلب الثالث، تعدد زوجات النبي

و. عبد الرؤوف، حسام الدين صبري، الضياء المبين في الرد على المضلِّلين، ج1 شبهة تعدد زوجات النبي.

ز. الراسي، زيادة بن يحيى، البحث الصريح في أيّما هو الدين الصحيح، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، ص125-130. بتصرف، ط1، 2003، منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة. =

= ح. هيكل، محمد حسين، حياة محمد، ص257-265 بتصرف، من منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، ط1، 2008. [↑](#footnote-ref-132)
133. () سورة الأحزاب: الآية 50. [↑](#footnote-ref-133)
134. ( ) سفر الملوك الأول: 11: 1 – 3. [↑](#footnote-ref-134)
135. ( ) أخبار الأيام الثاني: 11: 21. [↑](#footnote-ref-135)
136. ( ) صموئيل الثاني: 8: 13. [↑](#footnote-ref-136)
137. ( ) انظر سفر صموئيل الأول 18: 20 – 27 و25: 42 و25: 43 وسفر صموئيل الثاني: 3: 2 – 5 و11: 27 وسفر الملوك الأول 1: 1 – 4. [↑](#footnote-ref-137)
138. ( ) سورة الأحزاب: الآية 37. [↑](#footnote-ref-138)
139. () سورة الأحزاب: الآيات 37 – 40. [↑](#footnote-ref-139)
140. ( ) انظر:

أ. هيكل [م. س] ص 262 – 265 بتصرف واختصار.

ب. الخالدي [م. س] 668، 669.

ج. ابن كثير [م. س]، ج3، ص 499، 500، بتصرّف.

د. القرطبي [م. س]، ج 14، ص 190 – 193، بتصرّف.

هـ. مرسي [م. س]، ص 511 – 517، بتصرّف.

و. حقائق الإسلام [م. س]، الشبهة 51 تعدد زوجات النبي، بتصرّف. [↑](#footnote-ref-140)
141. ( ) سورة الأحزاب: الآية 36. [↑](#footnote-ref-141)
142. ( ) سورة الأحزاب: الآية 4. [↑](#footnote-ref-142)
143. ( ) سورة الأحزاب: الآية 37. [↑](#footnote-ref-143)
144. ( ) سورة الأحزاب: الآية 37. [↑](#footnote-ref-144)
145. ( ) القرطبي [م. س]، ج14، ص 191. [↑](#footnote-ref-145)
146. ( ) ابن كثير [م. س]، ج3، ص 499. [↑](#footnote-ref-146)
147. ( ) انظر:

أ. عبد الرؤوف [م. س]، ج1، شبهة الرسول يعاشر طفلة.

ب. مرسي [م. س]، ص 504 – 510 بتصرف واختصار.

ج. حقائق الإسلام [م. س]، الرّد على شبهة تعدّد زوجات النبي، بتصرّف واختصار.

د. الهّواري، محمد عبد العزيز، شبهة زواج النبيّ من عائشة وهي صغيرة السنّ. مقالة منشورة بتاريخ 27/3/2008م على موقع لواء الشريعة الإلكتروني [www.shareah.com](http://www.shareah.com).

هـ. زناتي [م. س] 155 – 157، بتصرف،حرف الفاء، شبهة الرسول كان يتحرّش بالأطفال، ردّ الشيخ السيّد وفا على تصريحات القس جيري فاينز التي ذكر فيها أن الرسول كان يتحرش بالأطفال. [↑](#footnote-ref-147)
148. ( ) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المُستدرَك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج3، ص 212، ط1، 1990، دار الكتب العلمية، بيروت. [↑](#footnote-ref-148)
149. ( ) صحيح البخاري [م. س]، كاب التفسير، باب (وإن كُنتنّ تُردنَ الله ورسوله ....)، ج8، ص 609، 610. [↑](#footnote-ref-149)
150. ( ) مرسي [م. س]، ص 507 نقلاً عن "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" للزركشي. [↑](#footnote-ref-150)
151. ( ) جريدة الرأي الأردنية، بتاريخ 18/4/2008م. [↑](#footnote-ref-151)
152. ( ) مجلة المجتمع، العدد 1757، بتاريخ 23/6/2007م. [↑](#footnote-ref-152)
153. ( ) مجلة المجتمع، العدد 1757، بتاريخ 23/6/2007م. [↑](#footnote-ref-153)
154. ( ) مجلة العرب الإلكترونية بتاريخ 16/12/2006م على موقعها www.arabmag.blogpost.com. [↑](#footnote-ref-154)
155. ( ) جريدة "الرأي" الأردنية، بتاريخ 15/4/2005م. [↑](#footnote-ref-155)
156. ( ) قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ 13/7/2008م، على موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net. [↑](#footnote-ref-156)
157. ( ) قناة العربية الأخبارية، في موقعها الإلكتروني www.alarabiya. net. [↑](#footnote-ref-157)
158. ( ) للاستماع للاعتراف كاملاً (افتح ملف Ted Haggard's Downfall على موقع video.google.com ولقراءة التفاصيل مكتوبة راجع موقع [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) بتاريخ 6/11/2006م. تقرير محمد حامد. [↑](#footnote-ref-158)
159. ( ) قناة الجزيرة الفضائية، بتاريخ 21/3/2001م في موقعها الإلكتروني www.aljazeera.net. [↑](#footnote-ref-159)
160. ( ) سورة الحج: الآية 52. [↑](#footnote-ref-160)
161. ( ) للوقوف على تفاصيل القصّة كاملةً انظر الطبري، جامع البيان [م. س]، ج17، ص 131 – 133. والغرانيق جمع غرنوق وهو طائرٌ أبيض من الطيور التي تعيش قرب الماء. وكُنِّيَ بذلك الشاب الأبيض الناعم، وكان المشركون يزعمون أنّ الأصنام تقرّبهم من الله وتشفع لهم فشُبِّهَتْ بالطيور التي تعلو وترتفع. [↑](#footnote-ref-161)
162. ( ) سورة الكافرون: الآيات 1-3. [↑](#footnote-ref-162)
163. ( ) سورة النجم: الآيتان 19، 20. [↑](#footnote-ref-163)
164. ( ) سورة الإسراء: الآيتان 73، 74. [↑](#footnote-ref-164)
165. ( ) سورة الحج: الآية 52. [↑](#footnote-ref-165)
166. ( ) انظر:

أ. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصّة الغرانيق ص 24 – 26 بتصرف واختصار، ط1، 1952، المكتب الإسلامي، دمشق.

ب. الخالدي [م. س]، ص 664 – 666 بتصرف.

ج. مرسي [م. س]، ص 20 – 25 بتصرف.

د. الشريف، عبد الرحيم، إفتراء وردّ: مصدر القرآن الكريم هي الشياطين، بحث منشور في موقع شبكة الحقيقة الإسلامية بتاريخ 13/1/2007م على الموقع الإلكتروني للشبكة [www.trutheye.com](http://www.trutheye.com).

هـ. الأزهري، إسماعيل شعبان، قصّة الغرانيق في الميزان، بحث منشور في موقع الشبكة الإسلامية بتاريخ 2/1/2009م على الموقع الإلكتروني للشبكة [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net).

و. حقائق الإسلام [م. س] الشبهة 62، الشيطان يوحي إلى محمد والردّ عليها. [↑](#footnote-ref-166)
167. ( ) سورة الحاقة: الآيات 44 – 46. [↑](#footnote-ref-167)
168. ( ) سورة يونس: الآية: 15 [↑](#footnote-ref-168)
169. ( ) سورة الإسراء: الآية 73. [↑](#footnote-ref-169)
170. ( ) سورة الإسراء: الآية 74. [↑](#footnote-ref-170)
171. ( ) سورة الفرقان: الآية 32. [↑](#footnote-ref-171)
172. ( ) سورة الشعراء: الآيتان 210، 211. [↑](#footnote-ref-172)
173. ( ) وأسماؤهم على ترتيب وفياتهم ما يلي:

1. أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي توفي سنة (542)، في تفسيره "أحكام القرآن".

2. القاضي عياض بن موسى بن عياض (544) في كتابه "الشفا في حقوق المصطفى".

3. فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (606) في تفسيره "مفاتيح الغيب" (6/193 – 197).

4. محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله القرطبي في "أحكام القرآن" (12/80 – 84).

5. محمد بن يوسف بن علي الكرماني، مِن شُرّاح "البخاري" (786)، وقد نقل كلامه في ذلك الحافظ بن حجر في "الفتح" (8/498).

6. محمود بن أحمد بدر الدين العيني (855) في "عمدة القاري". (9/47).

7. محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني (1250) في "فتح القدير". (3/247 – 248).

8. السيد محمُود أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي (1270) في "روح المعاني" (17/160 – 169).

9. صديق حسن خان أبو الطيب (1307) في تفسير "فتح البيان". [↑](#footnote-ref-173)
174. ( ) سورة الحج: الآية 52. [↑](#footnote-ref-174)
175. ( ) ابن القيّم [م. س]، ص 90، 91 بتصرف واختصار. [↑](#footnote-ref-175)
176. انظر:

أ. ابن تيمية [م. س] ص 266 – 302.

ب. ابن القيم [م. س] ص 109 – 117، 147 – 157، 174 – 184.

ج. الهندي [م. س] ص 519 – 545

د. داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدّس، ترجمة فهمي شمّا، ص 30 – 35، 36 – 54.

هـ. أبو طالب، نصر الله عبد الرحمن، تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمدٍ ، ص 250، 251، 273، 274، 315، 316، 371، 372، ط2، كتاب منشور في موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنّة www.55a.net [↑](#footnote-ref-176)
177. ( ) سفر التثنية: 33: 2 [↑](#footnote-ref-177)
178. ( ) سورة التين: الآيات 1 – 3. [↑](#footnote-ref-178)
179. ( ) التكوين: 21: 21. [↑](#footnote-ref-179)
180. ( ) إشعياء: 42: 1 – 7. [↑](#footnote-ref-180)
181. ( ) إشعياء: 42: 9 - 13 [↑](#footnote-ref-181)
182. ( ) إشعياء: 42: 17 [↑](#footnote-ref-182)
183. ( ) سورة القلم، الآية 4 [↑](#footnote-ref-183)
184. ( ) التكوين: 16: 9 – 13. [↑](#footnote-ref-184)
185. ( ) التكوين: 17: 20. [↑](#footnote-ref-185)
186. ( ) التكوين: 21: 18. [↑](#footnote-ref-186)
187. ( ) التكوين: 22: 15 – 18. [↑](#footnote-ref-187)
188. ( ) وفي ترجمة البروتستانت (فأكون أنا المنتقم)، وفي بعض الترجمات الكاثوليكية الأُخْرى (فإني أحاسبُه). [↑](#footnote-ref-188)
189. ( ) التثنية: 18: 18 – 20. [↑](#footnote-ref-189)
190. ( ) سورة آل عمران، الآية 164. [↑](#footnote-ref-190)
191. ( ) التثنية: 34: 10، 11. [↑](#footnote-ref-191)
192. ( ) اشعياء: 54: 1 - 4 [↑](#footnote-ref-192)
193. ( ) يوحنا: 14: 25، 26. [↑](#footnote-ref-193)
194. ( ) يوحنا: 14: 16. [↑](#footnote-ref-194)
195. ( ) يوحنا: 16: 7، 8. [↑](#footnote-ref-195)
196. ( ) يوحنا: 15: 26، 27. [↑](#footnote-ref-196)
197. ( ) يوحنا: 16: 12 – 14. [↑](#footnote-ref-197)
198. ( ) للتوسع، انظر:

أ. الهندي [م. س]، ص 549، 550، 551.

ب. داود [م. س]، ص 216 – 218. [↑](#footnote-ref-198)
199. ( ) رسالة يوحنّا الرسولي: 4: 1، 2. [↑](#footnote-ref-199)
200. ( ) رسالة يوحنا الرسولي: 4: 6 [↑](#footnote-ref-200)
201. ( ) سورة البقرة: الآية 106. [↑](#footnote-ref-201)
202. ( ) سورة النحل: الآية 101. [↑](#footnote-ref-202)
203. ( ) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص 78، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت. [↑](#footnote-ref-203)
204. ( ) عناية، غازي، هُدى الفرقان في علوم القرآن، ج2، ص 187، ط1، 1996، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت. [↑](#footnote-ref-204)
205. ( ) المرجع السابق نفسه ص 188، 189. [↑](#footnote-ref-205)
206. ( ) المرجع السابق نفسه ص 194، 195، بتصرف واختصار. [↑](#footnote-ref-206)
207. ( ) صحيح البخاري [م. س]، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج9، ص 45. [↑](#footnote-ref-207)
208. ( ) للتوسع انظر: بحث الدكتور حبيب عبد الملك بن حبيب "الناسخ والمنسوخ بين الكتاب المقدّس والقرآن الكريم" المنشور على موقع شبكة ابن مريم الإسلامية، [www.ebnmaryam.com](http://www.ebnmaryam.com)، ضمن سلسلة مؤلفاته في مقارنة الأديان. وقد ذكر في هذا البحث ما يزيد على الثلاثين شاهداً على وقوع النسخ في الكتاب المقدّس. [↑](#footnote-ref-208)
209. ( ) يوحنّا: 8: 14 [↑](#footnote-ref-209)
210. ( ) يوحنّا: 5: 31. [↑](#footnote-ref-210)
211. ( ) انظر سفر التكوين: 29: 23 – 30. [↑](#footnote-ref-211)
212. ( ) اللاويين: 18: 18. [↑](#footnote-ref-212)
213. ( ) الخروج: 6: 20. [↑](#footnote-ref-213)
214. ( ) اللاويين: 18: 12. [↑](#footnote-ref-214)
215. ( ) التثنية: 6: 13. [↑](#footnote-ref-215)
216. ( ) متّى: 5: 33 – 37. [↑](#footnote-ref-216)
217. ( ) الخروج: 21: 23 – 25. [↑](#footnote-ref-217)
218. ( ) متى: 5: 38 – 40. [↑](#footnote-ref-218)
219. ( ) التكوين: 9: 3 [↑](#footnote-ref-219)
220. ( ) اللاويين: 11: 7، 8. [↑](#footnote-ref-220)
221. ( ) التكوين: 17: 9 – 13. [↑](#footnote-ref-221)
222. ( ) لوقا: 1: 59، 60. [↑](#footnote-ref-222)
223. ( ) لوقا: 2: 21. [↑](#footnote-ref-223)
224. ( ) رسالة بولس الخامس إلى غلاطية: 2 – 4. [↑](#footnote-ref-224)
225. ( ) متى: 15: 24. [↑](#footnote-ref-225)
226. ( ) مرقس: 16: 15 [↑](#footnote-ref-226)
227. ( ) التكوين: 20: 12 [↑](#footnote-ref-227)
228. ( ) التثنية: 27: 22 [↑](#footnote-ref-228)
229. ( ) التثنية: 24: 1 [↑](#footnote-ref-229)
230. ( ) متى: 19: 6 – 9. [↑](#footnote-ref-230)
231. ( ) التكوين: 2: 1 – 3. [↑](#footnote-ref-231)
232. ( ) انظر:

أ. لوقا: 24: 1 – 7.

ب. أعمال الرسل: 20: 7. [↑](#footnote-ref-232)
233. ( ) رؤيا يوحنّا: 1: 10. [↑](#footnote-ref-233)
234. ( ) سورة يونس، الآيات 62 – 64. [↑](#footnote-ref-234)
235. ( ) انظر: ابن كثير [م. س] ج2، ص 439، الزمخشري [م. س]، ج2، ص 357، بتصرف. [↑](#footnote-ref-235)
236. ( ) القرطبي [م. س]، المجلد الرابع، ج 7 – 8، ص 359. [↑](#footnote-ref-236)
237. ( ) سورة النحل، الآية 101. [↑](#footnote-ref-237)
238. ( ) الزرقاني [م. س]، ص 107، 108 بتصرف. [↑](#footnote-ref-238)
239. ( ) سورة الكهف، الآية 27 [↑](#footnote-ref-239)
240. ( ) انظر: ابن كثير [م. س] ج3، ص 84 والزمخشري [م. س]، ج2، ص 716. [↑](#footnote-ref-240)
241. ( ) القرطبي [م. س] المجلد 5، ج 9 - 10، ص 389. [↑](#footnote-ref-241)
242. ( ) الطبري، جامع البيان [م. س]، ج 15، ص 154. [↑](#footnote-ref-242)
243. ( ) انظر كتاب (كشف كذب اللئيم حول الإسلام العظيم) المنشور بتاريخ 5/4/1425 هـ في موقع ملتقى أهل الحديث [www.ahelalhadeeth.com](http://www.ahelalhadeeth.com) من غير اسم مؤلف. [↑](#footnote-ref-243)
244. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-244)
245. ( ) سورة البقرة، الآية 106. [↑](#footnote-ref-245)
246. ( ) سورة الحجر، الآية 9. [↑](#footnote-ref-246)
247. ( ) سورة الرعد، الآية 39. [↑](#footnote-ref-247)
248. ( ) القرطبي [م. س] المجلد ج 9 – 10، ص 331. [↑](#footnote-ref-248)
249. ( ) متى: 5: 17، 18. [↑](#footnote-ref-249)
250. ( ) قناة العربية الإخبارية، 5/10/2005، في موقعها الإلكتروني www.alarabiya.net. [↑](#footnote-ref-250)
251. ( ) الخطيب، محمد أحمد، الفرق الإسلامية، ص 71، 72، بتصرف واختصار، ط1، 1996، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن. [↑](#footnote-ref-251)
252. ( ) سورة الرعد، الآية 16. [↑](#footnote-ref-252)
253. ( ) سورة النساء، الآية 78. [↑](#footnote-ref-253)
254. ( ) سورة البلد، الآية 10. [↑](#footnote-ref-254)
255. ( ) الإنسان، الآية 3. [↑](#footnote-ref-255)
256. ( ) سورة الشمس، الآيتان 7، 8. [↑](#footnote-ref-256)
257. ( ) سورة الليل، الآيات 5 - 10 [↑](#footnote-ref-257)
258. ( ) سورة الصفّ، الآية 5. [↑](#footnote-ref-258)
259. ( ) الخطيب [م. س]، ص 76، 77، بتصرف واختصار. [↑](#footnote-ref-259)
260. ( ) الغرابي، علي مصطفى، تاريخ الفرق الإسلامية، ص 37، 38، بتصرف، ط2، 1985، مكتبة الانجلو، القاهرة. [↑](#footnote-ref-260)
261. ( ) سورة التوبة، الآية 29. [↑](#footnote-ref-261)
262. ( ) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة، ص 182، 183، ط1، 1985، دار الكتب العلميّة، بيروت. [↑](#footnote-ref-262)
263. ( ) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، ج1، ص 118، ط1، 1997، دار ابن حزم، بيروت. [↑](#footnote-ref-263)
264. ( ) القرطبي [م. س]، ج8، ص 113. [↑](#footnote-ref-264)
265. ( ) ابن قيم الجوزية [م. س]، ص 121. [↑](#footnote-ref-265)
266. ( ) ابن قيم الجوزية [م. س]، ص 123. [↑](#footnote-ref-266)
267. ( ) القرطبي [م. س]، ج8، ص 115. [↑](#footnote-ref-267)
268. ( ) المرجع السابق نفسه، ج8، ص 112. [↑](#footnote-ref-268)
269. ( ) رومية: 13: 7 [↑](#footnote-ref-269)
270. ( ) لوقا: 20: 22 – 26. [↑](#footnote-ref-270)
271. ( ) القضاة: 1: 28 [↑](#footnote-ref-271)
272. ( ) القضاة: 1: 35، 36. [↑](#footnote-ref-272)
273. ( ) سورة الطُّور، الآيتان 35، 36. [↑](#footnote-ref-273)
274. ( ) سورة محمد، الآية 19. [↑](#footnote-ref-274)
275. ( ) سورة الزمر، الآيتان 17، 18. [↑](#footnote-ref-275)
276. ( ) سورة البقرة، الآية 170. [↑](#footnote-ref-276)
277. ( ) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين [م. س]، الرد على الشبهة رقم 63 حول تناقض القرآن مع العقل. [↑](#footnote-ref-277)
278. ( ) سورة العلق، الآيات 1 – 5. [↑](#footnote-ref-278)
279. ( ) سورة القلم، الآية 1. [↑](#footnote-ref-279)
280. ( ) الصوا، علي، وآخرون [م. س] ص 36. [↑](#footnote-ref-280)
281. ( ) سورة طه، الآية 114. [↑](#footnote-ref-281)
282. ( ) الصوا، [م. س]، ص 36. [↑](#footnote-ref-282)
283. ( ) سورة المجادلة، الآية 11. [↑](#footnote-ref-283)
284. ( ) انظر كتاب موريس بوكاي (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم). [↑](#footnote-ref-284)
285. ( ) التكوين: 3: 14 – 16. [↑](#footnote-ref-285)
286. ( ) اللاويين: 12: 1 – 5. [↑](#footnote-ref-286)
287. ( ) بوكاي موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 44 فما فوق بتصرف، ط1، 1978، دار الكندي، لبنان. [↑](#footnote-ref-287)
288. ( ) المرجع السابق نفسه ص 48. [↑](#footnote-ref-288)
289. ( ) بوكاي [م. س] ص 94، 95. [↑](#footnote-ref-289)
290. ( ) الفصح: اسم عبريٌ معناه عبور،وهو أول الأعياد السنوية الثلاثة، وهو يعرف أيضاً بعيد الفطير. [↑](#footnote-ref-290)
291. ( ) اشارة إلى آلام المسيح ابتداءً من ألمه في بُستان جشيماني وانتهاءً بموته على الصليب كما يعتقد المسيحيون. [↑](#footnote-ref-291)
292. ( ) الإفخارستيا أو سر التناول أو العشاء الرباني، هو أحد الأسرار السبعة المقدّسة في الكنيسة الكاثوليكية، وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله المسيح بصحبة تلاميذه عشيّة آلامه. [↑](#footnote-ref-292)
293. ( ) متّى 16: 18، 19. [↑](#footnote-ref-293)
294. ( ) متى 16: 23. [↑](#footnote-ref-294)
295. ( ) انظر متى: 26 [↑](#footnote-ref-295)
296. ( ) ريبوني، إنريكو، الإلحاد وأسبابه "الصفحة السوداء للكنيسة" ترجمة د. زينب عبد العزيز، ص 69، ط1، 2004، دار الكتاب العربي، مصر. [↑](#footnote-ref-296)
297. ( ) وايت، آندروديكسون، بين العلم والدِّين، ترجمة إسماعيل مظهر، ص 73، ط1، 1930، دار العصور، مصر. [↑](#footnote-ref-297)
298. ( ) سفر الجامعة : 1: 3 – 5. [↑](#footnote-ref-298)
299. ( ) ريبوني [م. س]، ص 100. [↑](#footnote-ref-299)
300. ( ) قامت اللجنة الخاصة بالحكر على الفكر التابعة للكنيسة بإصدار (الإندكس) أو قائمة الكتب التي يمُنع نشرها وتداولها وكان من ضمنها كتب (كوبر نيكوس) و(جاليلو). [↑](#footnote-ref-300)
301. ( ) ريبوني [م. س] ص 103. [↑](#footnote-ref-301)
302. ( ) وايت [م. س]، ص 79، 80. [↑](#footnote-ref-302)
303. ( ) عبده، محمد، الإسلام والنصرانيّة مع العلم والمدنيّة، ص 27، ط3، 1341 هـ، مطبعة المنار، مصر. [↑](#footnote-ref-303)
304. ( ) مجلة المجتمع، العدد 1788، بتاريخ 9/2/2008. [↑](#footnote-ref-304)
305. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-305)
306. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-306)
307. ( ) يقصد البابا [↑](#footnote-ref-307)
308. ( ) ديورانت، [م. س]، الكتاب الثالث والعشرين، ص 56 بتصرُّف. [↑](#footnote-ref-308)
309. ( ) سورة الأحزاب، الآية 56. [↑](#footnote-ref-309)
310. ( ) صحيح البخاري [م. س]، كتاب التفسير، باب "إن الله وملائكته يصلّون على النبي ...". [↑](#footnote-ref-310)
311. ( ) المرجع السابق نفسه. [↑](#footnote-ref-311)
312. ( ) سورة الفرقان، الآية 1. [↑](#footnote-ref-312)
313. ( ) سورة الأنبياء، الآية 107. [↑](#footnote-ref-313)
314. ( ) سورة إبراهيم، الآية 52. [↑](#footnote-ref-314)
315. ( ) الرومي [م. س]، ج1، ص 316. [↑](#footnote-ref-315)
316. ( ) سورة القلم، الآية 52. [↑](#footnote-ref-316)
317. ( ) العمري [م، س]، ج1، ص 143، نقلاً عن "دراسة في السيرة" ص 22 لعماد الدين خليل. [↑](#footnote-ref-317)
318. ( ) سورة الصفّ، الآية 6. [↑](#footnote-ref-318)
319. ( ) متى: 15: 24 [↑](#footnote-ref-319)
320. ( ) مرقص: 16: 15. [↑](#footnote-ref-320)